ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر في ذكر اعيان القرن الحادى عشر

هو داود بن عمر البصير الانطاكى نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء في زمانه شيخ العلوم الحكمية والاعجوبة الدهر وقد اطال في توصيفه أبو المعالى الطالوى في سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط راسه ومشتمل نبراسه فقال ان مولدى بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم في الاعصاب يمنع قوائمى من حركة الانتصاب وكان والدى رئيس قرية سيدى حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدى حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت أحمل كل يوم الى صحن الرباط حتى حفظت القرآن واتقنت مقدمات تثقيف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى محمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه فابتدأ في بعض العلوم الالهية فكنت استبقه اليه فلما رأى مارأى منى استخبر عن هنالك عنى فأجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لى دهنا مدنى به في حر الشمس ولفنى بلفافة من فرقى الى قدمى حتى كدت افقد عن الحس وكرر ذلك فغشت الحرارة الغريزية في مجاريات الحس في المفاصل ثم شد وثاقى وفصدنى من عضدى وساقى فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسى لا بمعونة احد ودخلت المنزل على والدى ففرح بي وضمنى الى صدره وسألنى فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه واجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضى ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا أخباره وخلت الديار من أهلها واقفرت بتنكرها على لانقلاب ابوى فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال ابو الطيب ملاعب جنة غير انها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبو قنياتهم الحسان عن حى شيب القذال ينفر احدهم عن كمالها السرمد نفرة الظليم وأى الظلام يجود ثم تمثل بقول المتنبي

مامقامى بارض نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

(وكان) اذا سئل عن شيء من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع مايبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فأملى عليه رسالة عظيمة في ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة في الجماع الفها باسم الاستاذ البكرى

وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التي اولها

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

(وله) منظومة في هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس واولها

من بحر انوار اليقين بحسنها * فلوصل او فصل تنوب كما ادعى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل ابي علي الحسين بن سطراء البغدادي التي تخاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا اولها مع ابيات منها

بربك ايها الفلك المدار * اقصد ذا المسير ام اضطرار

مسيرك قل لنا في اي شيء * ففي افهامنا منه انبهار

وفيك نرى القضاء فهل قضاء * سوى هذا القضاء به تدار

وعندك ترفع الارواح ام هل * مع الاجساد يدركها البوار

وموج ذي المجرة ام فرند * على لجج الدروع له اوار

وفيك الشمس رافعة شعاعا * باجنحة قوادمها قصار

الى آخر ما قال (وله) غاية المرام في تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان في اصلاح الابدان وزينة الطروس في احكام العقول والنفوس والفية في الطب ونظم قانونجك وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا نطيل بذكرها * ومن اعجب ما يحكى عنه في قوة معرفته بعلامات الامراض ما اخبرني به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة اصحاب الباس فورد عليه في بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء وتاتي الضرير تروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما اشفاه وما فهم كنه علته الا من تحرك شفته وعجائبه في هذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى واذا اردت تفاصيل احواله ومعتقداته واقواله فعليك بكتاب خلاصة الاثر المذكورة تجدا وما فيه فيها مسطورة

(فهرسة الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرسة الجزء الثاني من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

صحيفة

(تمت)

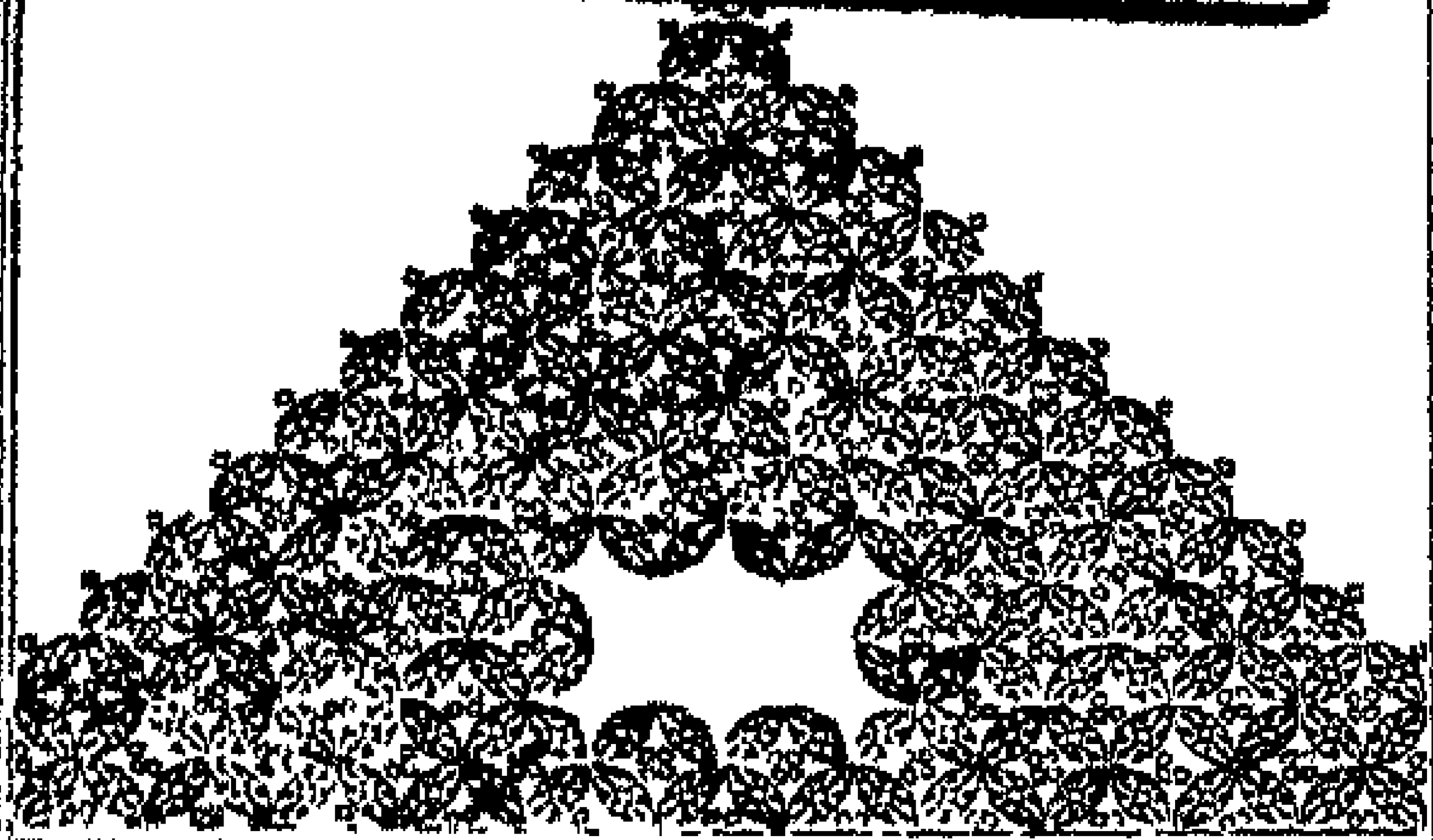
الجزء الاول من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق
العشاق تاليف العالم العلامة الشيخ
داود الانطاكي المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين
أحمد بن أبي حجلة المغربي رحمة الله تعالى عليه

(ترجمة ابن أبي حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار)
هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا الدمشقي منشأ
نزيل القاهرة الشهير بابن أبي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة
بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونوّر
ضريحه وكني جده بذلك لصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية
جده بالمغرب مشهورة وأحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء
والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع أبويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤية أبي
الهول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود ليس يعجبه العجب

وله أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والادب
وله شعر ونثر سيأتي شيء منه في أثناء ديوان الصبابة



الحمد لله الذي اطلع في بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل في منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما تنظم في الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوي البصائر ولطافة الافكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان فتراهم وان اختلفت اغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسي الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل في حسن التجمل وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر في الفرق بين الجهل والتعقل ونصلي ونسلم على من بعث بنهي النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الاخلاق والاوصاف وأجل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتأنق المتأنق وتألق الفائق *(وبعد)* فلما دل تنويع أصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشيء الواحد في كل حال واستراحتها في اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التي هي سبب السعادة الدينية وتشييد المباني الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي جعل للعاشقين
باحكام الغرام رضا وحبب اليهم
الموت في حب من يهوونه فلا تكن
يا فتى بالعذل معترضا فكم فيهم
من عاشق ومحب صادق

رأى غب فراق الوصل فاستعذبوا
فسام صبرا فاصابه لما قضى

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا في

حجازا وشاميا في نوى
طورا يمانيا اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدناني

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد

ولو أن ما بي من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص في موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بختام ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق *(أما بعد)* فان كتابنا هذا كما قيل

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى
وسار بهم في الحب في كل مذهب
مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل * تشبب فيه بالرباب وزينب

فهم ما هم تعرفهم بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد وشقي وسعيد

عقال التعب وتستريح فتعود الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما منّ الله تعالى عليّ بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فتشرفت بها بين يدي الاماثل وخدمت من سماقيها من أرباب الفضائل من أيضا سبحانه وتعالى بجاري عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أني بحيث في خلال الاشتغال بما شوش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت مني القوى النفسيه
فهي في كل ساعة في ازدياد * غيبت منه عن مدرك الحسيه
فأنا وهي في التلازم صرنا * كالهيولي والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من أعول اذا ضاق الامر عليه كان الزمان كما قيل

فني المساوي بدا التساوي * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكي الثاقب فقصرت عن بلوغ المآرب فاعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفي اللبس فانقدح في الفكر بعد طول التعب ان امتطي غارب الادب فارست من الاصحاب من هو له كالعناصر فمال اليه ذهني القاتر فشرعت في جمع شيء في محاسنه المختلفه وضمها بحيث تكون في الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان أول ما سطرته واحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم أزل أجيل النظر في مجاميع مختلفة الى ان وقع اختياري على اختصار أسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى أبي بكر محمد بن جعفر البغدادي السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وظرائف نكت العشق وأهله ورقيق اللفظ وجزله اذ هو صنيعة وحيد زمانه ورئيس اقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا أبي الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعي تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال في غير طائل وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذي هو شأن الاحاديث النبويه لتوثيق الاحكام الدينيه وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التي هي بهذا الفن أعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب أسباب وقوع بعض العشاق في شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر للمتأمل كتابه مع أصله اذا طرح الهوى وانتظم في سلك الانصاف ولحظه فألفت هذا الكتاب الذي هو في قلادة هذا الفن درة بيضاء وفي جبهة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده وأضفت ما نبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على أصله بامور اثني عشر أحدها وهو الاعظم تبديل ما في الباب

على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم وتباين مراتبهم وأحوالهم وغير ذلك مما أتحف به اوراقه بالنعمة التي وتعنى به صفحاته في كل ناحية من وجهها اقر فاذا نظرت الى الوجود بأسره شاهدت كل الكائنات الاحا ٣ على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب

وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذا كا

فربيع كتابنا هذا بذكر العامرية معمور وهو بالنسبة الى ما ألفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وأنشد في تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى مجلته يحجل وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل وعذرت طفلك في الجفاء لانه

يسري فيصبح دونها بمراحل

(آخر)

فبادارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم

في الخمر معنى ليس في العنب
وأحسن ما في الطاوس الذنب

فدع كل صوت بعد صوتي فانني
انا الصائح المحكي والآخر الصدا

فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

فقد سقط في يديه وقيل في الرد عليه

الغر يا آخر من كلفت بحبه * لا خير في حب الحبيب الاول
أتشك في ان النبي محمدا * ساد البرية وهو آخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم

كذب الذين تصدقوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الاول .

العاشر الذى سماه بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع بكمال الغيرة أصلا لنحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار لنحو صاحب الجارية فى عرفة وتامل اتلبال لنحو من عشق فى نومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو تمام ما بسط قبل وثانيها حسن التقسيم فى الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف باشارات كاو وقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز من جهل شئ من أحواله عمن علم بسائر أقواله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وامثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما فى الاصل من الالفاظ اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك باوضح منه وتاسعها شرح ما فى الاشعار من الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذا من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادى عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخوله فيها وثانى عشرها الزيادات فى الابواب فربما كانت أنواعا مستقلة او تكميلا لما وجد بعضه فى الجملة وربما زاد عليه باشياء غير المذكورة فى مطاوى معانيه فترى استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكرى القاصر وذهنى الفاتر اوظفرت به فى كتب ربما سمى بعضها فيه هذا كله مع انى والله لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندى مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل ان ينفع به فيما قصد بترتيبه وان يوفقنا الى أصح القول وتهذيبه انه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار ويلى ذلك أربعة فصول الاول فى الترغيب فيه والثانى فى رسمه والثالث فى مراتبه والرابع فى علاماته *(والباب الاول)* فى مصارع محبى الله تعالى وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية *(والباب الثانى)* فى عشاق الجوارى وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثانى فيمن جهل الثالث فى عشاق الاماء الرابع فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفى كل قسم أصناف وأنواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام *(والباب الثالث)* فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثانى فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطاوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة عن يقضى مراده والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلو عن الهوى *(والباب الرابع)* فى ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول فى الجن والثانى فى الحيوان والنبات

مالى احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يوهل فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
كذب الذين تخرصوا فى قولهم * ما الحب الا للحبيب المقبل ء انطيب فى الطعم ما قد ذقته * من مأكل او طعم ما لم يؤكل

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول حبيب هذا

ارغب عن الحب القديم الاول * وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديدا وكوصل مقبل

وقال ابو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف وبقوله يجب الاعتراف لانه احسن فى المقال حيث قال

زادوا على المعنى فكل محسن * والحق فيه مقالة لم تجهل
الحب للمحبوب ساعة وصله * ما الحب فيه لآخر ولاول

على انى لم اجحد ما فى منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ولا تحملت على مصنفه فواعجبا من قلبى المتحمل ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التاليف مواهب وان الناس فيما يعشقون مذاهب ومعلوم ان الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يزل كتابنا هذا فى مسوداته مندمج ويبوته من بحورها فى لجج لا ابيح ما فيه من منازل الاحباب لساكن ولا امكن عاشقا من المرور بتلك الاماكن

اغارا اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

حتى برز الطلبه المرسوم الشريف الملكى الناصرى ادام الله نشر اعلامه ولا اخلى كنانة من سهامه ما نفذت مراسيم سهام المقل وتثنى قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبك ابريزه حسب المرسوم والمعدن الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان يقال كل ما يصلح

للمولى على الهيئة الحرام لاجرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة الملحظة الخبر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق ٥ وللمهجور نجوة والنديم قهوة وللناسي تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره
وتحاوله عند المرور نوادره
ففيه له في كل يوم وليلة *
حبيب ملم او نديم يسامره
ولي فيه نظم ان تضوع نشره
ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما جفاني احور الطرف ساحره
ولي فيه اسرار الحروف لانه
ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره
خدودي اذا ما خط فيها دفاتره
تمد مداد الدمع اقلام هدبه
فدمعي حبري والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا
فباشر قلبي من سباني ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلي عاشق
ولا عمرت بالعامري مقابره
وفي غزلي ذكر الغزال ومربع
تطارحني فيه الحديث جآذره
انزهه عن وصف خد عنبرة
ومنزل قفر سرن عنه اباعره
تجر قوافيه معان غدا بها
جرير كعبد او ثقته بوائره
يشيب بها مود الوليد لانه * يسير وجنح الليل سود غدائره
واست ارى يوما بدارة جلجل * سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسي ذكرى حبيب ومنزل * فاني لي اهواه ما عشت ذاكره
اجاور في سفح المقطم جيرة * فيا حبذا المحبوب حين تجاوره

والمعدن والعناصر والافلاك *(والباب الخامس)* قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة وقد الزمت نفسي ان افتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما في الطريق من القواطع والعوارض سيدي عمر بن الفارض عمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترسمين من أهل الظاهر واختم الفصل بما سمحت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر عن أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك *(وأما الخاتمة)* ففي لطائف ونكت متفرقة لا التزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء في العشق من الاحاديث والآثار وفي حده ومراتبه)

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر واقربه من الكمال الذاتي فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذي نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشيء بأصوله كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام أحدها النفوس المعدنية وهي الجامدة التي لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم به بنيتها ويصدر عنها وذلك اما بالخاصية او بأمر اودعه صانعها فيها لمصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور في الجبال والطين ونحوهما وثانيها النباتية وهي ارفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من النوع كانقسامه في نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافي الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفي سلسلة العلل والمعلولات لاجرم كانت مقتدرة على ان تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة او تعمل في خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلي وهي النفس الملكية المقربة بالمبدا والمعاد المخلصة من محض الكثافة المنتظمة في سلك محض اللطافة او تجمع بين

الامرين وتؤلف بين الطريقين وهذه هي الانسان المطلق والاولى الحيوانى والثانية الملكى فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله ويمتاز بفعله ثم لاشبهة في انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كالمنزلا عليه فالحكيم محتاج في اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور او بالضرب والاهانة كالدب والحمار او باطعام الطعام كالخيل والكلاب او بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الامن قبل مبدءها والثالثة هي المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقي لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكى والحيوانى بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثانى لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما في الصفراويين وعكسه كما في السوداويين وسريع التعلق بطيء الزوال كما في الدمويين وعكسه كما في البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان وأما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قوامهم لكل أحد صورة الامن بجفت خلقته اوتشعثت بنيته اوخرجت عن الاعتدال أمزجته محمولا على الاعتدال النسبي الذى اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغي ان يكون عليه لا الحقيقي لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه امكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان أقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح وبحسن المرتبة في القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه اوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى المزايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعي بمطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع في غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع في كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغبياء * عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاى وأعله البيهقى والجرجانى والحاكم في التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه أيضا وحاصل الامر اما صحته او حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول

الجنة

يا طيف من اهواه طرقا ان غفا * اتهجره بالله ام انت زائره وحقك لو سايرته بعض ليلة * [illegible]
نقل الشوق الشديد لطرفه * فيجرى به كالحابري محاجره وبات به مطيفا من خيالك طارق * فيطرق اجلالا كانك حاضره
بى من يحيى الغصن رمح قوامها
ذابات في الروض النضير يناظره
ذا اقبلت في الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع ازاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
ايبردما القاه من سر هجرها
وقد جمعت يوما على هواجره
تحصنت في حصن الهوى من
عواذلى
وبات لقلبى جيش هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلى
لما عميت عن هو يت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها
يشاهدها يغضى ويطرق ناظره
ألا غصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره
ائن طاب ذلى في هواها فاننى
وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده
كما اهتز غصن طارف الحب طائره
مليك ترى قبل ما هو كائن
بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر في الدجى
فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم
يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة
بشير توالت بالهناء بشائره
مليك اسود الغاب تحذر باسه
لان ملوك الارض طرا تحاذره ترى وجههم شهب السما وبروقه * وما هى الا سمره وبواتره
اذا اقترعت اشكال حال اجتماعهم * فاى ضمير لم يدس فيه ضامره واى كام لم يرعهم نزاله * واى مكان ما علته منابره

الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهى مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه * وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من ان المراد بالاعجاب أثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا فى ذى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم برؤه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فى ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سا كتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فيا فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثير اللذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان الا ان خرج وجعل يعطلهم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك فقلت

ولقد كنتم رويتم * عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب * ان سعد بن عباده
قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه * يرفعه الشيخ الى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضى وعن غابر
قالوا جميعا ايما طفلة * علقها ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت له * على وصال الحافظ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولة * تمرح فى مرتعها الزاهر
واى معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
ففى عذاب الله مثوى له * بعدا له من ظالم غادر

واى قصيد جوهر المبرقه * وغائص فكرى ناظم الدر ناثره ولى فيه من غرر التصانيف نثرة * وهذا الذى تطوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما * تراوحه ريح الصبا ضياكره ٧ فكم فيه لى من مرقص حول مطرب
بتشبيه فى الحلى يطرب زامره
ولولم يكن مثل السكردان ما غدا
بحضرته يوما تطيب حواضره
ثم الفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح وتوليت لاجله حمله بنفسى نجاء كما قيل حمل الروح للروح
اهيم بمن هام الحبيب بحبه
ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل
وسلكت فى تأليفه الاختصار والاقتصار على النوادر القصار لانه كان يقال الوضع وضعات وضع له اختصار ووضع له تعبار وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وحدثوا باحسن ما تحفظون وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيأ عاداه * (وسميته) * ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه مولها ويعلم انه ان لم أكن أنا للصبابة من اهلها
ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها
اى والله
فلما يبرح المطيع هواه
كافا ذا صبابة وجنون
(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة أما المقدمة ففى ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل فى وصفه ورسمه وأسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ونحو ذلك واما الابواب فالباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفاء من الملوك والخلفاء . والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع

وفى وسناق الاتفاق فى ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدى
يرفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لاتكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كماهو شأننا فمن ذلك ماروى عن المهدى قال اشتهى ان أصلى على جنازة عاشق مات فى الحب وكان شريح يكثر الجلوس فى الطرقات ويقول لعلى أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضى مصر يكتب فى قتيا فسمع جارية تقول

ترى فى الحكومة ياسيدى * على من تعشق ان يقتلا

فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى اله معبود فقيل له اتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ماأشقى جدودهم * ان كان مثل الذى بى للمحبينا
يشقون فى هذه الدنيا بعشقهم * لايدركون بها دنيا ولادينا
يرق قلبى لاهل العشق انهم * اذا رأونى وما ألقى يرقونا

(وله أيضا)

أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
اندب العشاق لاغيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذرى عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال ياامام اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه أنت فى حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهى

سلوا مالك المفتى عن اللهو والغنا * وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم انى مصاب وانما * أسلى هموم النفس عنى بذلك
فهل فى محب يكتم الحب والهوى * اثام وهل فى ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ماأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعى برقعة فوقع فيها بعدما نظر وناوله اياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هى

سل العالم المكى هل فى تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح

(فكتب تحته)

أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق اكباد بهن جراح

فانكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمى وقد دخل بعرسه فى هذا الشهر يعنى رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع فعاودته

الى الحبيب فى نزاع والباب الرابع فى ذكر من نظر اولنظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة و وجل وحمرة وخجل ومافى معنى ذلك من عقد اللسان وحصر البيان والباب السادس فى ذكر الغيرة ومافيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن والباب السابع فى ذكر افشاء السر والكتمان عن ابناء الزمان والباب الثامن فى ذكر مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه والباب التاسع فى ذكر الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل والباب العاشر فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله ومافى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة والباب الرابع عشر فى ذكر الرقيب والنمام والواشى الكثير الكلام والباب الخامس عشر فى ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب ومافى معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر فى ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى ومايقاسيه اهل الهوى والباب الثامن عشر فى ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع عشر فى ذكر الدعاء على المحبوب ومافيه من الفقه المقلوب والباب العشرون فى ذكر الخضوع وانسكاب الدموع

فعاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى فى الاصل عن ابن حجر قال اخرج ابونعيم أيضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفى الطبقات الكبرى لابن السبكى وحكاه فى الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى أبى الطيب الطبرى سؤالا صورته

يا أيها العالم ماذا ترى * فى عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبى اهيف اغيد * سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائزا * فى الفم والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فانى اذا * أصيح من وجدى واستعدى

(فاجابه)

يا أيها السائل انى أرى * تقبيلك العين مع الخد
يفضى الى ما بعده فاجتنب * قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع فى روضة * لابد ان يجنى من الورد
وان من صحبه ناسكا * لابد ان يغلب بالوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى * يسلم لك الدين مع الود
تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالملك والعقد
تنال منها كلما تشتهى * من غير ما فحش ولا رد
هذا جوابى افتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدى

واخرج الخطيب البغدادى عن الغزى قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفى معناه انشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف الى * فحش ولا كفّ لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب اوزارى

ومنه ما حكى عن بعضهم قال حكت لى امرأة عن شخص هويها وهويته انه قال لها يوما هل لك ان نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله ان افعل ذلك وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابى ليلة تزويج محبوبته ايسرك ان تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب فى لثمها واعصى الشيطان فى اثمها * وعن الاصمعى قيل لاعرابى ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال امتع عينى من وجهها وسمعى من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وانشد ابن القاسم فى المعنى وان كان فيه

والباب الحادى والعشرون فى ذكر الوعد والامانى وما فيهما من راحة المعانى والباب الثانى والعشرون فى ذكر الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب والباب الثالث والعشرون فى ذكر اختلاط الارواح ٩ كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون فى ذكر عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده فى طلب الاحباب من الامور الصعاب والباب السادس والعشرون فى ذكر طيب ذكرى حبيب والباب السابع والعشرون فى ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتغل لى ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون فى ذكر طرف يسير من اخبار المطر بين المجيدين من الرجال وذوات الجمال وما فى معنى ذلك من ذكر صورالاتهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون فى ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غنى وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع فى ذكر ما يجلب الراحة كراوح الجيش

٢ تز ل وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة فى ذكر رسم العشق ووسمه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى او اضطرارى ويشتمل ذلك على خمسة فصول (الفصل الاول فى رسم العشق ووسمه وما قيل فى اسمه)

بعد لانك تعتبرا لحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن اهوى فيمنعنى * منه الحياء وتداودى بعقولى
يابى الحياء وشيبى ان ألم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

واصرح منه فى المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان وأهوى ان اجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

واخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمذانى قال لاعرابى حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذرى ورب الكعبة ثم سأله عن علة ذلك فقال لان فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة واخرجه فى الخليفيات ايضا وفى معناه انشد حرب

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا عصانى الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

هذا ما جاء فى الآثار من العشق مع العفة واما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير * فمن ذلك ما اخرجه التنوخى عن عروة بن الزبير قال قلت لعذرى انكم ارق الناس قلوبا يريد اصباهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها وفى منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حى اصدق فى الحب من بنى عذرة ولا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال (٣) قلت يوما لعذرى اتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال اما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم (وعن) أبى عمرو بن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذرى فسألته هل علقه الحب فانبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال فى ذلك فأنشد

تتبعن مرعى الوحش حتى رميننا * من النبل لا بالطائشات لخاطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شئ كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد عندنا الا وعزيناأهله فيه * وحكى الحافظ مغلطاى ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام اشد ما يكون مع الفراغ

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزر بحره المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام المباين والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم ١٠ سببه او باسم ما يؤل اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى
ووالله ما ادرى لهم كيف أنعت
فليس لشئ منه حد أحده
وليس لشئ منه وقت موقت

فمن حدوده المليحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذى أخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد فى كتاب الطبقات العشق طمع يتولد فى القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى فى الطمع والفكر والامانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء أو التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعا وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عن هذه حالته لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له

وتكرار

(٣ فى نسخة وقال فزارى)

وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون اخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما فى ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذى يجعل الحرير أريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان فى الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فانى وان حنت اليك ضمائرى * فما قدر حبى أن يذل له قدرى

ودونهم افرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به * ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفى معنى ذلك انشد بعضهم حيث قال فى رسالة أرسلها الى محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشدما * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وادنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها * وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

ومنهم من تحمله الانفة على ان يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل و كذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه أن الشوق لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منيه لا يرى وجودا لسوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه او يظن وجوده ودونوا ما صدر عن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن الطف ما قيل فى ذلك قول الهذلى

الا بلطف ربهم العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فاما اذا اجتمع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان ١١ اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فذلك هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الاطباء * ومنها قول افلاطون الآخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعى محدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفسانى والجنون الشوقى فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له * ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذى الود كله
ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب
وعين أخى الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما مشى عليه أبو على بن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسى شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقى اوجبها اكرم الله تعالى على كل ذى روح ليحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر

على مثلها الابتلاء الالفة وهي موجودة في الانفس بقدر مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان اشرف المراتب ١٢ في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها تخبر الهم عنها بصورة اللفظ وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفي عن ابصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته اورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم
العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون في الحين
اني جننت فهاتوا من جننت به
ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

وقيل لابي زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المأمون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى انما عليك ان تجيب في مسئلة طلاق أو محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها شأنك والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها وقود تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب

ويمنعني من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر
مخافة أني قد علمت اذا بدا * لي الهجر منها ما على هجرها صبر
واني لا ادري اذا النفس اشرفت * على هجرها ما يبلغن بي الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة واشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
ياقلب لم عرضت نفسك للهوى * او ما رأيت مصارع العشاق

(فصل في الترغيب في العشق والحث عليه)

قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فأخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على ان لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجواري يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فامرها الملك بالتجني عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة في العلم والملك فكان بسبب ذلك من اجل ملوك الفرس واعلاها وفي المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرني اني خلي من الهوى * ولو أن لي ما بين شرق الى غرب

وقال ابن أبي كثير لابن أبي الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال لن تفلح والله أبدا وأنشد الشعبي

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير في الفلاة سواء

وبعجزه غيره فقال

* فكن حجرا من يابس الصخر جلدا *

وانشد ابن معاذ

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه أيضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتل وأقربه خبل

(فصل في رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم في ذلك)

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وهذا في الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة عنه فان الجهل يعتري العشاق عند تزايد الطلب فيوجب الحيرة في الامر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما أجاب ابن اكثم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب فقال له ثمامة اغ

مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار وهذا القدر كاف في معرفة العشق وحده * (الفصل الثاني
في أسبابه وعلاماته) * أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق ١٣ النفسانية وعلاماته الجثمانية على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به من المحبين جم غفير وسنورد من ذلك ما يعذب وروده ويحقق كقلب العاشق بنوده ان شاء الله تعالى قال بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ان أكل الطيور المسموعة يورث العشق وقال أيضا في الخلاصة علامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى شيء لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لاسيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة فانها أشد عنده اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكي للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا في أصل المولد أو اجتمعوا وتناظروا في أشكال محمودة وقع منهم العشق والمحبة في بيت أحدهم أو في حده وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظرا اليه أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة في أشكال محمودة او متقارنة فزحل يهيج الفكرة والتمني والطمع والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يهيج قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والكذب.

شأنك ان تفتي في مسئلة طلاق أو محرم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطي عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى على الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار * وفي رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقل ويتصور من ذلك اللواح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقا اقول وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة اليق وايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطف الشمائل يوجب ارتسام انوار في النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفاء وهذا دليل على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب وأول باب تفتق به الاذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه يتلطف ويلطف ويظرف يعني أنه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء وليس ارق من الغزل ولا ادق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدي الى ما ذكر فان العاشق اذا علم ما يقربه الى محبوبه بذل نفسه امكانه والظرافة والملاطفة والنظافة اعظم مقرب فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون الا عن اريحية في الطبع ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينفع فيه عذل وفي معنى شدة العشق انشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ان ابتداءه حركة وعظم سلطانه من

القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء فيبدى الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الابدان والجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل و ينحل الجسم و يهمل الدمع بجدده مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءة المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعى وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال انه شئ يستغرق القلب فى محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب اعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من أهل المدينة فى الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا فى الحكمة لا تأمن اساءة الظن اذا جعلت نفسك غرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المنقصة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأى فيملكه ولا الى العقل فيدركه أما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير ✽ لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ✽ ى ولا بالقياس والتفكير
انما الامر فى الهوى خطرات ✽ محدثات الامور بعد الامور

وقيل هى لعلية بنت المهدى حكاه الصولى ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل اسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض ويم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اما ذو عقل ملكى يتعقل الاشياء فينزجر او نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة ✽ حكى الغنوى قال دعيت الى عيادة مريض احبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا اشتكى المريض شيأ اشتكى الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فخال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ما حكاه فى ذيل الامالى عن التميمى ان اخوين من امرأة يقال لهما فضل وفضيل قضى احدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فانهار عليه اللبن أنشد

سابكيك لا مستقصيا فيض عبرة ✽ ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

✽(فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والحزن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك أوعر المسالك ✽)

والتلطف والزهرة تهيج العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث فى النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة الى ان تبعث على الشبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه وقال بطليموس سببه ان تكون الشمس والقمر فى برج واحد او متناظرين من تثليث او تسديس فمتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما لكون سهمى سعادتهما فى مولديهما فى برج واحد أو يتناظر السهمان من تثليث أو تسديس بعد ان يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وأن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيد هذا قول الخبزارزى

ولكن أرواح المحبين تلتقى
اذا كانت الاجساد عنهن نوما
وأحسب روحينا من الاصل واحدا
ولكنه ما بيننا مقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت
لمهجتى بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته فى صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى ✽ فهيج اشجان الفؤاد وما يدرى

اعلم

اعلم انه الطف موجود نشاق الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لابدوان يشا كله لاحتياج كل اثنين تالفا الى نسبة تأليفية ولاشبهة ان الروح ألطف ما في البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبث بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هي الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق الروح ولاشك ان سريان اللطيف في اللطيف أسرع ملاكا وأعظم استهلاكا ويليه اللطيف في الكثيف كالحمى في البدن ثم الكثيف في الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول ان العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن واتما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والاقوى في نفسها صحيحة واما العشق فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يتعقل له في الذهن معنى يكون لديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها السفسطية برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسي وقال فيثاغورس لايسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندي ليس بشرط وان اشترط ففي حق البلداء من الناس ومن في حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف في ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهي عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس في الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذي يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر في غيره ضياعا واشغال الزمان بما سواه فسادا ونحو ذلك واليه اشار الفارضي بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصي المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم ان السهو لايحدث الامن كثرة الواردات ولم يبق على قلبي وارد سواك فكيف اسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذي ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيد لي وعدوا الجازه مني * ولي بغير البعدان يرم ينبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري دعا باسم ليلى اسخن الله عينه * وليلى بأرض الشام في بلد قفر

ومنها انه يستدعي سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في أخباره ويحب أهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكني اكناف دجلة كلكم
الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه لذا حدث واستغراب كل ما يأتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك والاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطي في المشي عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شيء فداك به •

ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمجاذبة على الشيء يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفي والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب في الاناء قلت ومنها تقبيل

بأسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله

ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادى فهى قبلة قبلتى

وقوله * ووجدى بها ماحى والفقد مثبتى *

يعنى ان وجدى الصحيح بالمحبوبة محانى أى صورتى التى كانت مع العالم الدنيوى فكان فقدى اياها هو الذى اثبتنى وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هى أول المراتب التى يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذى ذكرته الاطباء كالنظر فى الحساب والمحاورات وتذكر مساوى المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقار به الى غير ذلك مما هو مقرر فى مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق فى سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء أو رأى شيأ كالجيفة أو شم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية والا الحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتى والماليخوليا * والسابعة مرتبة العدم الكلى والمفارقة الابدية وهى التى اذا بلغتها النفس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكار وسماع ذكر او تنفس صعداء او امر من المحبوب وحالها ان يصير الموت اعظم امنية للنفس كما أشار اليه بقوله

فوى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى

وقد صرت ارجو ما يخاف فاسعدى * به روح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض أبدا وافرغ ذلك كله فى تحرير ما اودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض اعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وادواره وتنقلاته واطواره لفنى الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى اقل أبياته وكلماته مايدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت اتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصا ماذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على

انه فى غيبته وقد رأيت من فصل هذا وعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا المذكور بمكة وأرسل معى كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر بازيد عن عمرو فأنشد

وقه منى جانب لا أضيعه
وللهو منى والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا غير مرة للسلطان الملك الناصر أحمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فانه كان يمرض لمرضه ويصح لصحته أخبرنى بذلك من لا ارتاب فى قوله ممن كان فى خدمته ملازما له واما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن أبى نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفى فقال او كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد أنكرت علتى هذه ولم اعرف لها سببا غير انى توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت فى يومى هذا راحة فقدرت طمعا ان يكون الله عافاه منها قبلى ثم دعا بدواة وكتب الى عنان انى حممت ولم أشعر بحمالك حتى تحدث عوادى بشكوالك الماهية فقلت ما كانت الحمى لتطرقنى * من غير ما سبب الا بحمالك وخصلة كنت فيها غير متهم * عافانى الله منها حين عافاك

الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا احدفا حفظ مقادير ما ظفرت به وها انا ابين لك عدم انطباق ماذكروه على المطلوب قال ابن صاعد في طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبي الله عليه السلام العشق طمع يتولد في القلب يعمى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاستغراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة اوبرؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفي سيرة الاسكندر أن هذا الابقراط زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن في الاعضاء الرئيسة فتى تمكن افسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفي كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته فغشي عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى اهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهي ادق والطف واعظم سريانا ونماء لا وقال افلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشيء يعمي ويصم رواه أبو داود واحمد وانشد فيه

فلست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

ورأيت في نسخة * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وهي اليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفي اخرى * ولا بعض ما فيه وان كنت رائيا * وهذا أليق بالمقام والطف واحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا ارى له عيبا مع اني صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكري وابن أبي طاهر في المنثور والمنظوم وابو عبيد البكري في كتابه اللآلي في شرح الامالي ان البيتين لجرير بن الخطفي وقال السمعاني هما لعلي والاول اصح قال الحاتمي وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين اخ الرضا عن ذاك تعمى

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل ان يرى وخفي عن الورى فهو كامن في الصدور كالنار في الحجر ان قدح اورى وان ترك توارى وهذا حده بحقيقته في النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه واحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شيء به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فهذا لا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند

حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك لي * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك * ومنها انها اذا سئل عن أسبابه بخلافه وكثرة التثاؤب والتمطي والتكسل اذا نظر الى محبوبه وتنكيته في الارض بابهام رجله وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها على شفتها السفلى وضربها عضديها وثدييها واظهارها لمن تهواه توهمه انها تري لبعض اهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث في غير موضعه (اياك اعني واسمعي يا جاره) و الانقياد للمحبوب في جميع ما من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب في طلبه اشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المليحة المستحسنة بالغ المحب في طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد في تعلمها ان امكنه ذلك فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به * وفي اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويلات ذكره الصيمري وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث في مراتبه واسمائه)

اقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه واسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشيء اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهيه والمحبة لحرقته وما أدراك ما هيه

الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا لانقلابه الى الحد الاصلي كما ستجده واما هو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق في الحقيقة على ما ذكرناكن وربما كان لبعض منها مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوي ويليه الحب وهو في الحقيقة اول الالفة واشتق من حبة القلب او من حباب الماء او من حب البعير اذا برك او من حبب الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم او قيام المحبوب بما يحب وعدم مشاركة شئ معه وفيه انشد المتنبي

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والطف منه قوله

خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح والرأفة اشد لانها مبالغة في الرحمة قال الحرانى هي ارق الرحمة والرحمة اعم لوقوعها على غير ذى صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود أو خالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه الخلة والتتيم حالة يلتبس بها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله اعنى الخروج عن حد الترتيب وانشد في المعنى

الحب اوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * او مزحة اشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

(وانشد ايضا)

ثلاثة اسباب فحب علاقة * كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب أيضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هي تمام المحبة سواء كانت بلا علة وهي الصداقة او بها او هي فرط العشق الذى لا يخالطه غيره اخذت من الخلو أو الخلل فكان القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهي في الصحيح اسم لمبادى المحبة اخذت من علق بالتحريك اى حب وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نقص المحبوبة واما العشق فاعم منها

وضعوا لها اسماء كثيرة وتلك كانت عنايتهم به شهيرة ولا شئ يعدل اعتناءهم بالحب الذى يسلب اللب فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر

ولقد اردت الصبر عنك فعاقنى
علق بقلبي من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة وهي المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق و يتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم والكلف أيضا لون بين السواد والحمرة وهي حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب وفي الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكانهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما اولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمى العشق الذى يكون وقيل

وقيل اخص وهو اعجاب بالحب أو افراط فيه واخذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهي اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب اي غلافه او سويدائه وبالمهملة رأس القلب مما يلي باطنه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع او شوق ينزع النفس من البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق ارفع وهل يزيده الوصل او ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة نقص بقضائها بل ربما عدم والا بان كان كلفا لا تكلفا وطبعا لا تطبعا وميلا لنفسانيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على انه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو اعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين اجمعوا على ان الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما أنشد ابن الرومي في ذلك

اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة او هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع او هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق والغل من الغلل يعني العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر وتواتر احوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة او الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع اشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو السياحة فيه

بالانسان للزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشق يكون الفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله اعلم ثم الشغف قال العزيزي في غريب القرآن شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشعفها حبا ارتفع حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شعاف الجبال أي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة أي ذهب به الحب اقصى المذاهب واما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج اعني مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب اي حيره ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم اى عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذي يتبعه

والبه حق اوغفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة اسمائه التي جعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة او اول او تسمية جزء او سبب بكل او مسببه وعكس ذلك وانما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد اوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكر له من العلامات)

وهي احوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب او سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان واحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والعقل وقد مر ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والنقل (قيل) أتي بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال وهو قابض على نبضه لغلامه قد أخذني البرد فأتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وانشد

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما ينسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد يقول

ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(اقول) وفيه تظرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال باللهو حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا واللهو في شعره اعم من ان يكون بالمحبوب او غيره واما التشبه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد في تركته اثنا عشر جملا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليها او آخر الف هاون لسماع صوت هاون محبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض ابو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فاخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها انشدت فكتب اليها

اني حممت ولم أشعر بحماك * حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا لحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك

الحزن واكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشئ وقد جاء في السنة واسألك النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا الان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن الحب قال ابن الرومي

اعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي
فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحين يمتزجان

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب اوسكر اوغفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب اشد الى محبوبه . وقال الراجز

اني سأبدي لك فيما ابدي * لي شجنان شجن بنجد * وشجن لي ببلاد السند *

حتى

حتى قد اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

وفي معناه انشد

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

اجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم

ويقرب من هذا قول الشافعي

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذري عليه

واتى الحبيب يعودني * فبرئت من نظري اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ما سوى المحبوب بالطريق الاولى وكذا انظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب اليه ويقوله حسنا صحيحا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع هندي جارية كان يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الملاذ عقوبة لها اربعا وستين سنة حتى مات * واما حصول العشق برؤية في النوم او بالاثر او بالسماع او بالكلام او الوصف او اللمس او باول نظرة او بالمطاولة والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة وقد اسلفت في طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لي في ذلك أن الناس اما ناظرون بلا حجب اوبها اما من العاشق والمعشوق معا او من احدهما فقط وتختلف الحجب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطلوبات الدنيوية والاخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبا او الباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق او ميل نفسي الى المبدع باستيحاش عن سواه لاجرم قسمت المحبة قسمين اشرفها متعلقا الثواني وهو الحب في الله لانه لا يفنى متعلقه ولا تكيف غايته ولا يفضله شئ في الحقيقة اذ ما سواه اوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة في ان ادخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى في الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما ذكرنا في الاصل على ذكر من افنى نفسه في طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابي نعيم اذا تقرر هذا فحد المحبة كما قال المصري وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل في بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام اولا ثم يفصل وقال الاستاذ ابو يزيد

وقال آخر شغل أصحابي ولم يجدوا وجدي * والناس اشجان ولي شجن وحدي والوصب الم الحب ومرضه فان اهل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون والارق السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون اصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه وهي مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة بجميع اجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل من انعام الحب العام على الخاص والعام

حلت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

البسطامي هي استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندي قريب من الاول غير ان بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريفا بالمادة واظنه اخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحديث الجراني في شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيري قصدت واقربهما واحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضي الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هي الصفاء في الباطن مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا واقعه هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء في الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التي هي قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلائق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفي الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قيل في العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هنالك وجدت الكائنات تحالفت * على انها والعون مني معينتي

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت ممازجات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقية في مرآة الصورة الخلقية وانبسطت اشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشيه

فلم تهوني مالم تكن في فانيا * ولم تفن مالم تجتلي فيك صورتي

وقوله والوفاء في الظاهر يعني لكل معاهد بعهده وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقويته جده لان العارف المتصف بها ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبي وخلفاؤه ومن فصله على الاول فهم السلاطين او على الثاني فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وورثة الانبياء

فعالمنا منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

واما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التي عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التي قصر عنها الكلام واجتهاد النفس في جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء بيد ان ذلك قبا لم يخط على كل ذي قد واشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذي جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى اوج استقامة طاقتك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى اشرف منازل السعود واما قول بعضهم وينسب الى ذي النون المصري المحبة ارق بلا رقاد وجسم بلا فؤاد وتهتك في العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذي هو السهر من الفكر في الامور

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسماء آخر غير هذه اضربت عنها خوف الاطالة والمحبة أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الا ترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى ان يهوى الشيء فيتبعه غيا كان او رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذي يهوى الامر محب وللناس في حد المحبة كلام كثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبي

يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب اني احن اليهم
واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

خيالك في عيني وذكرك في فمي
ومثواك في قلبي فاين تغيب

وفي اشتقاقها ايضا اقوال فقيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هي مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه او ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذي يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع

الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور في الذهن وان الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا فني فهي كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه ان يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة المجانين باحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي ان المحبة ميل نفساني الى المراد يعقده الجزم بالاعتقاد ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد وفي الدين ارتداد واليه اشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك اخره وهذا هو فصل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطردا ومنعكسا احوال المحبة على وجه العموم فمن اراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة اوصاف وشروط منها ان لا يبالي المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذي ترضاه والموت دونه * به انا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف اوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك واوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعارج الى اسنى المعارج حيث قال * نم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها في البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحريرا احوال الغرام بأقصى المرام ثم اكد ما اسس وأبدع ما جنس وقوى جزئي الميل حتى صار كليا عاوشح من بديع نظامه واتى من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت

منعمة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبي ومهجتي

فجدوا ايها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا ايها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر الا من أراد علو همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا يتلبس بالعلم غير أهله ولا يبسق الفرع على غير أصله

فللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب يا خلي

الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقة وعباراته الرائقة والفاظه الشائقة التي

فيه اقتسير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذي يسميه المصريون الزير ما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في كوز الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب
فقل ما شئت في الصب

(الفصل الرابع في مدحه وذمه)

اقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وترياقه وسمه فكم مدحه عاقل وذمه متعاقل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب فمن خصاله المحموده وفضائله الموجوده ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان العجم وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وجلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق وقيل لبزرجمهر متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى او حبيبا وقد صدق فيما قال العباس ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

هي امواد قالهمم الى مقام الوصول سائقـه ولولا مافي ذلك من التطويل الذي يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت ماقي كلامه من الاسرار الدقيقة الدالة على ان ابيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة في الابرام والنقض لايجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف مااتفق لي) اني خلوت بنفسي ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور واحدى وسبعين وتسعمائة فاخذت أتفكر في كلامه متصفحا في دقائقه الى أن قام في فكري معارضة بين مااتفق له من قوله وعيدك لي وعد البيت وقوله عذب بماشئت غير البعد وقوله واصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذى ترضاه البيت فانه في جميع الابيات أشار الى انه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم اشار في هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندي جوابه ان ذلك عام خصص ثم غشيني النوم فرأيت كاني بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيري واذا برجل طويل غليظ شديد البياض في يده عكاز أخضر متوشح بثوبين أبيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندي انه الشيخ فاذا هو هو فسلم علي ووضع يده على كتفي ووقفنا متقابلين وهو يقول لي هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت ياسيدي وما الذي قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل مايكون في مبادى سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو وعصاه قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقي مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما في الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر فعلمت ان هذا الشأن لايدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الا ان تداركني الالطاف الباهرة (وقال بعض العارفين) شرط المحبة أن تكون ميلا بلانيل وشرطا بلاجزاء لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك في احباء الله عزوجل روى عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في مناجاته الهي ماعبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكني وجدتك أهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ماوقع دالا على استحقاق الله له بلاشرط نحو نحمدك يامن جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ماوقع في مقابلة شئ كالحمد لله على ماأنعم وأخبر السراج عن أبي بكر الازدستاني بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفي كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك ياابت قد مات الناس ثم يقول له العباد لاتعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يااله داود اغضبان أنت عليه أم راض الى أن يخر مغشيا عليه وأخرج عبد العزيز بن علي الطحان عن ابن عطاء في

وماسرني اني خلي من الهوى * ولو ان لي مابين شرق ومغرب وقال آخر ولا خير في الدنيا بغير صبابة * ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بصحبه * ذهب الزمان وانت منفرد وقال آخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة
فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تزر
حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها
فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لايعشق

وقلت انا معضدا لقول المتنبي هذا مع زيادة التورية

ان تسألوا عما لقيت من الهوى
فانا الذى مارسته وعرفته
خالفت في رشف الرضاب وطعمه
وعذلت أهل العشق حتى ذقته

(حكى) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنئ النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فاعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التي قيل انه عشقها ان تجني عليه وقولي انى لااصلح الا لشريف النفس عالي الهمة ملك او عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وماعليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وولي الملك فكان من خيرهم واثبت ذلك في حكمة الى كسرى ان الملك لايكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا أعظمهم أجرا

قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم باينة الانقياد لمن قادها ماشي سكنها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد في العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفي العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له راس ولا ذكر مع الناس * وقال المرزباني سئل أبو نوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافي الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو أحد من صبوة الا أن يكون جافي الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفي العاشق انه يرتاح للمعروف واغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف في طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو النجاب رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول

وددت بان الحب يجمع كله
فيقذف في قلبي وينغلق الصدر
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى * ومن فرحي بالحب أو ينقضي العمر

فقلت يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبي فتمكنت المنى والله ما سرني ما بقلبي منه ما فيه

معنى قوله عز وجل انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه فأكل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لانه قال أى رب لم أخف من بلاء ما دام قلبي عارفا بجلالك وذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام في سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت أحق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتني فوعزتي وجلالي لازوجنك بجوارى ولاولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء في بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بضم الراء يعني الخوف فلذ بالمعجمة يعني قطع كبده (وحكى) أبو نعيم في الحلية في ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه في الجنة فاذا بقائل يقول له هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت في طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلي فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفي رواية أخرى قالت جالت روحي وروحك في عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد اعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * غيك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي * موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادى * وأنت في النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بيني وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفي الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف في الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا مني اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء

وجدت الفقرا فبكيت فقالت ما بكاؤك ما أسرع ما وجدت طعم الدواء قلت [redacted] العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فانشدت

دنياك غرارة فذرها * فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها * منيته نفسه تطوح
لا تركب الشر فاجتنبه * فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهرا * فانه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أوما في هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لي عنه فقالت أحبب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه (وفيه) عن أبي الفيض ذي النون المصري رضي الله عنه قال بينما أنا في السياحة اذ لقيتني امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حيث نمت عن البكا ان قالت البكاء راحة القلب فما كتم شئ أحرق من الشهيق والزفير فاذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجبت من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فاقمت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعدها هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا قربت منه قربني وأدناني واذا بعدت صوب بي وناداني واذا قمت بالسهر رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر علي وتاباني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأنّ لهم * من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة * وان أرواحهم تختال في الحجب
لهفي على خلوة منه تسددني * اذا تضرعت بالاشفاق والرغب
يارب يارب أنت الله معتمدي * متى أراك جهارا غير محتجب

(وعن ابي الفتح بن سحنون) قال كان سعدون صاحب محبة لله لهجا بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لترديد قوله في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى ياذا النون متى يكون القلب أميرا بعدما كان أسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه الاهو قال نخر مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكي * ولا بدّ من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال ياأبا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل أن تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع قال ياأبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك في العباد وامراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المواهبة

أمير المؤمنين من الملك والى أدعو أن يثبته الله في قلبي عمري ويجعله ضجيعي في قبري در بشبه ثم لا أدرى هذا دعاء أو قصدت وفيه ترغيب بما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعري ما يعجبك فيها وأولها مرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافتك يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذا النشوات
وصفها بالسرور لن يستطاعا

* وأما ما جاء في ذمه وسريان سمه فأكثر من أن يحصر فكم ترك الغني صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته ذرا القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يأباه اي والله

والعشق يجتذب النفوس الى الردى
بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الي فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم أنشد

أنا في أمري رشاد * بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله بالقدوم

بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من آنس بمخلوق ولا مسترزق من مرزوق فهو في الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى (وعن أبي سليمان) قال مررت ليلة فسمعت في جبل اللكام رجلا يقول فدعائه سيدي واملي ومولى ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يجب فقلت له يا طبيب أعندك دواء الذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وانشد

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب

ليس حزني عليك شيء عجيب * انما الصبر عنك شيء عجيب

(وسئل ابو بكر الشبلي) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال التألف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه) قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألني من معي عنه فقلت قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق في الدنيا ثم استنقذه الله بلغني انه سر يوما من الايام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفي يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثرن فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذي انت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا ان بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور فسارع الى امر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا وخرج الى هذا الجبل فما زلت اتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكى) انه لما اراد الركوب يوما فدعا بثياب الزينة فجيء بها فردها وقال اريد ثياب كذا فجيء بها فردها حتى جيء باصناف كثيرة ثم اختار ما اراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس في انفه فملاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب احدا فبينما هو في موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لي اليك حاجة قال حتى ارجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال ادن مني فطأطأ فقال له انا

قال فوالله ما شربت الاهلاك بامن الحب نهلا ثم قتلا حتى تقتل (وقال الواواء الدمشقي)

سيل الهوى وعر وسلو الهوى مر * وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر . (وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة * وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

(وقال عبد المحسن الصوري)

وكان ابتداء الذي بي مجونا * فلما تمكن امسى جنونا

وكنت أظن الهوى هينا * فلاقيت منه عذابا مهينا

(وقال محمد اليزيدي)

كيف يطيق الناس وصف الهوى * وهو جليل ماله قدر

بل كيف يصفو لمحب الهوى * عشق وفيه البين والهجر

(وما أحسن قول عبد الله بن اسباط القيرواني)

قال الخلي الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته

فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته

وهل سوى زفرة ودمع * ان لم ترد جريه كففته

فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

(تنبيه) الهوى أكثر ما يستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو في الخير والصلاح وهوى مذموم وهو في الشر والفساد * وفي كتاب السهل المواتي في فضائل ابن عماتي ان بعض الصوفية قال انما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار

قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون   فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان أزيل عنه النون

ملك الموت فتغير واضطرب وسأله ان يعود فيودع اهله فأبى وقبضه مكانه (ويحكى) انه عارض في ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تقضي اليها فقال لا حاجة احب الي من لقاء الله فقال اختر على اى حالة اقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمي بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره علي بن سليمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الامير كيف اصبحت قال متفكرا في القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بألف درهم فقال قبلتها على أن تقضيني معها حاجة فقال وقد سر بذلك وماهي قال تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي النار النار قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا ما يقول اللهم يا عالما بحاجتي غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاك رقبتي من النار اللهم ان الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين (وعن سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن حيان القيسي) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب عليهم العذاب صبا فما ازدادوا بذلك الا حبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على ان لنا أن نتكلف للاول أن يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم الحق في القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن سمنون بن حمزة الخواص) ان أبا بكر البصري وكان رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ * فكيفما شئت فامتحني

فحصر بوله اثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب في المحبة (غيره)

ولو قيل طأ في النار أعلم انه * رضا لك أو مدن لنا من وصالك

لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

وله أيضا

وكان

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لاسماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض يهبط من السماء * قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فإنه اذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في * شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا * فأوله سقم وآخره قتل

(الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري أو اختياري)

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شيء في البلاد بأسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

وله ايضا

يامن فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه مصروف
ياحسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال انفذني السري في حاجة فلما قضيتها ادفع الي رقعة وقال قد أجرتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقي لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

(ودخل أبو بكر الشبلي) يوما المارستان فوجد غلاما أسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمني بحبه حتى قيدني وانشد يقول

على بعدك لا يصبر من عادته القرب
وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب
فان لم تراك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود * وعن علي ابن سعيد العطار قال مررت ببغداد بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا ارتد الحد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا أو صببت علي العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا وللشبلي رضي الله عنه

ان المحبين احياء ولو دفنوا * في الترب أو غرقوا في الماء او حرقوا
او يقتلوا بسيوف وسط معركة * او حتف انف وان أضناهم الغرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم * يوما البياء من بالحب يحترق

(وعن أحمد بن عيسى الخزاز) قال دعتني امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدي فقلت سبحان الله احياة بعد موت فقال ان المحبين لله احياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما بجماعة من الصوفية فاولم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل

أقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الطرفين وتضاد بين الصنفين فقائل بأنه اضطراري وقائل بأنه اختياري ولكل من القولين وجه مليح وقد رجح وفحن نذكر من ذلك ما يتم به الانتفاع ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمرو محمد ابن أحمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق اقتادهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك ام باضطرار لا بل باضطرار وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه في قلب (قلت) وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه اي رأينه في اعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن بحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألما لحز أيديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه * وما أحسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب ما لاحد كم يموت عشقا في هوى امرأة يالفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى * وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت

فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت اهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فأبت نفسي الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على ان لا يولما ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل ان عتبة عاهد الله على ان لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدي صالح المري بالمهجة نسبة الى قرية بدمشق وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة وقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون اخرى ما بين الذل والمهانة بالويل ثم صاح يا ويلتاه ويا ويلتاه ومنظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب نجيبة تائب فقال اوكل ذلك في القيامة يا ابا بشر فقال واكثر من ذلك لقد بلغني انهم يصرخون الى ان تنقطع اصواتهم فقال الشاب انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعدما استقبل ودعا بالتوبة فرؤى بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال ادخلني الجنة ببركة مجلس صالح ودعائه الخ يوما قريبه خشيت وهو يقول في دعائه اللهم اغفر لانسانا قتلتنا وجدنا ميتا واقربتنا بالذنوب عهدا فسمع الخنث مات فرؤى في المنام فقال كما قال الشاب وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسي يقبل غلاما من اهله فقلت اتحبه قال نعم قلت ما كنت اظن ان في قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما افاق مسح وجهه وقال انما هي رحمة منه القاها في قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التميمي قال نظرت الى جارية سوداء تسف الخوص وهي تقول

لك علم بما يجن فؤادي * فارحمن ذل ذاتي وانفرادي

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم برقيته فقام والجني يقول ويحك لاعدت اليه ابدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الاصل ما لا علاقة له الا بمعنى النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الاحباب)

قال عبد الرحمن الصوفي مررت في اسواق بغداد وفي الخناسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

الم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذي مات وانثنى * اما آن ان يبكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن اسارا مثل ذلك الا انه زاد والغصن غصن البان ان يتكلما * وفي البيت الاخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام ابو زهير في مجلس المري فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما عملوا من عمل الى قوله واحسن مقيلا

الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية * وروى ابو السائب المخزومي وكان من اهل العلم والدين بمكان متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة ثم انشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى الوانهم
عما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
درر تفيض كأنها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح ابن خاقان على قوله من ابيات

ايها العاشق المعذب صبرا
فخطايا اهل الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل في التشبيل

على انني راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعي في أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى * وقال التميمي في كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لا كثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة فقال لا فرق بينه وبين ذلك * وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان الذي هوي اختيارا لاخترت ان لا اهوى ولكن

فقال له اعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفى رواية الحافظ مغلطاى عن ابى القاسم فى الامالى وابن ابى الدنيا فى كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البنانى ومالك بن دينار انهم قالوا تينا ابازهير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكانه نشر من قبر فصلى وجاس كالمهموم فسلمنا عليه فقال ياصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا بعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا ومايدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لى ان قرأ على صالح قتلنى فجهزناه رحمه الله تعالى (اخبرنا ابو الطيب) وكان صوفيا من اهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما فى مجلس ومعنا رجل صوفى يقال له ابو الفتح فقرأ قارئ اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغنى بعد ايام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربى الاشبيلى المعروف بالمعدل

يابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج
ان بيتا انت ساكنه * غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتى الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خر ميتا وأخرج فى الامالى عن عبد المؤمن القصة الا ان البيت الاخير * وجهك المأمول حجتنا * قلت واعل الذى مات من سماعه الرجل هو هذا لان العارفين اذا سمعوا مايدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذا من نفوسهم ولاشبهة فى ان المأمول أبلغ * وحكى ابو الفرج الصوفى قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركى يرعى عنيزات وكلما دعوناه الى السماع ابى فغنيه صبى يوما بغنى

ان هواك الذى بقلبى * صيرنى سامعا مطيعا
أخذت قلبى وغمض عينى * سلبتنى العقل والهجوعا
فدع فؤادى وخذ رقادى * فقال لابل هما جميعا
فراح منى بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبى كيف قلت فخاف الصبى منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك نطيرية يقال له حامد الفاخورى وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات * وأخرج مغلطاى عن ابن أبى الدنيا والمنذرى آخر الترغيب فى فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت

لااختيار لذى هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لايختار العذاب لنفسه وفى هذا قال المؤمل
شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر يكفى المحبين فى الدنيا ٣١ عذابهم * والله لاعذبتهم بعدها سقر
حكى انه نال ماتمنى لانه عمى بعد قوله هذا * وقال أبو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب ياأمير المؤمنين انى رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لايملك وقال كامل فى سلمى

يلومونى فى حب سلمى كأنما
يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
الا انما الحب الذى صدع الحشا
قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل مالايطاق والمراد بالتحميل ههنا التحميل القدرى لا الشرعى الامرى انتهى كلامه * وقال عبد الله بن طاوس فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد فى تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم فى هذا الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه وما احسن قول بعضهم

ياعاذلى والامر فى يده * هلا عذلت وفى يدى الامر

وانما ينبغى العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب * وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختيارى لا اضطرارى وقد تقدم فى حد العشق الآتى ذكره ابن سينا وغيره انه

أ كون معك فى الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان الرجل ليجئ يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشى يا رسول الله وهل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه رضى الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته بيده رواه الطبرانى عن أيوب بن عتبة وأخرج مغلطاى عن ابن أبى الدنيا فى كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصرى قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الى رجل فسألنى يوما مصحفا ينظر فيه فأعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لى ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا فى أى شئ أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلى هنا فقالوا أنت أشقى من أن تعرف جاما ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فى تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية فى أنيس الجليس الا أنه زاد ورأيت المصحف مفتوحا وأول سطر فيه الله نزل أحسن الحديث الآية * وفى الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل أعرفه فسألته أن يدلنى على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر لم يكلمنا وخرجنا فقال لى اندخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أم له عجوز فقالت لاتذكروا لولدى نارا ولا جنة فتفجعونى فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال أما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدى من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا * وفيها قال دخل جماعة على أبى سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه وأصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه * وحكى مغلطاى عن ابن أبى الدنيا قال كرر ابن خالد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤسهم حتى ماتوا ورأيت فى أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحج فعدل عن الطريق تائها اثر نوم فاذا هو فى أرض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد أقبلوا الى ماء هناك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد

مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار فى العشق بتسليط فكرته الواقع فى بحار سكرته قالوا ولأن المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وأخبر أن عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال أن ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأنى لا أملك قلبى لم يقبلوا له عذرا (قلت) والقول الصحيح الذى ليس فيه ردّ ولا عن محبوبه صدّ التفصيل فى ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بنى آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم فى حق النسوة اللاتى متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب ابن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله
تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر اعتزلوا

فما هو الا ان يراها فجاءة فتصطك رجلاه ويسقط للجنب فهذا وامثاله عشقه اضطرارى والمخالفة فيه مكابرة فى المحسوس

ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة ٣٣ يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة
فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على

ذلك كما في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقا أو اختياري مطلقا غير مقبول عند ذوي العقول والله تعالى

اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وأنت ان أردت الحاج فامض أمامك فستظفر باصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك * وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشي عليها واحتملت الى بيتها فلم تبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم * وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا في جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلي وهو يقول في مناجاته الهي ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بمكانك جاهل ولكن خطيئة عرضت وأعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخى وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أتصل ان أنت قطعت حبلك مني واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما أصبحنا رجعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر فسألناها فقالت مر قارئ بولدي فقرأ آية فتقطرت مرارته ومات * وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك عني واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فياليت شعري أمع المثقلين أحط أومع المخفين أجوز ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبرسني كبرت خطاياي فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا استحيي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمي على باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلت الباب فلما رجعت الحكاية الا أنه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص * وعن ذي النون المصري قال بينما أنا أسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها أطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لاسمع ما تقول واذا هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فأفاقت وهي تقول سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك العلي القهار وأنشدت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات قد اقبلن فاحتفلنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمنني للصلاة وهن وراني فلما فرغت مضين بها * قال المختصر عن مغلطاي ورأيت غير ما مرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره

الناضر من باب زويلة الى المكتبين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان اهلا كم
أخذ ماله المتروك عن والده وأوراقا كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة لمحدث في سيرة
البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في
سبيل الله قال المغربي وانا أيضا أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فقعد الى جانبهم
فحركه فاذا هو ميت * وعن أبي الحسين احمد بن أبي الحوارى قال مررت في الشام بقبة
واذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت
اي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع الا بسير
حثيث ونصح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان
من أمسك عليك سيرك وارحلك فلم تقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرت مغشيا
عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هي ميتة وصبتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا
ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو اسعد لي والا فبعدا لنفسي * وفي الاصل قيل
كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله أسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم اسلم وصحب فتحا
الموصلي فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس
قربانهم فليت شعري ما قرباني وجعل يبكي حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من أول الباب
الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على
انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور
العين وقد أعطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا
الى آخر الباب لم يخالف أوله فلا فائدة في الفصل فتأمل * عن منصور بن عمار قال بينا انا
في السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكي لا تمكن الاحاطة بوصفه فهممت أن ادخله
فانتهروني فلم أبال بهم ودخلت فاذا أنا بشاب في أرفع طبقات الجمال والملابس وقد
استحضر صبية تناسبه فلما رآني هم بقتلي فقلت أنا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو
قلت ميلك الى الفاني وحبك ما لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما
فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما في القصر من البهجة
تعلقت به الصبية وقالت على من تتركني ثم تجردت وخرجا حاجين فلما كان بعد عام وانا في
الطواف اذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه الى أن قال لي اما تعرفني
يا طبيب ثم ذكرني بالحالة ثم قال لي هل لك ان تنظر الى أسوان يعني الصبية قلت نعم فاخذ
بيدي حتى أوقفني عليها فلما رأتني قالت مرحبا أيها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا
فقال الرجل اني على اثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا * وعن عبد الواحد بن زيد قال
اشتكيت ألما في ساقي حتى منعني القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازاري في المحراب
ووسدته فغفلت واذا أنا بجارية كانها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين

أعلم أقول والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها واعتدل وظهر بهاؤه وبهجة الورد سمرة الخجل وما بقي الا
الدخول في الابواب على الوجه المقترح والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

(الباب الاول في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل وأجمال)

أقول هذا باب عقدناه للكلام على الحسن وأقسامه * والحبيب وكلامه * ولا سيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب * فعذب مقبله * وتساوى من حسنه في الحال ماضيه ومستقبله * هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن * والظاعن والقاطن * فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعه * والجود والشجاعه * والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب * ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة والشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر بشاماته * ويقول لخده الذي ازداد بها حسنا من زاد الله في حسناته * فلذلك قيل الحسن الصريح * ما استنطق الافواه بالتسبيح * وقيل بل هو كما قيل شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه * حتى كأنه نكرة لا تتعرف * ومجهول لا يعرف * ولذلك قال بعضهم الحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى

قيل للشامات حسنات قال بعضهم في سوداء مليحة يارب سوداء تجلي * بحسنها الظلمات ماذا يعيبون فيها رؤيته
* وكلها حسنات وقلت أنا ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا فقل الحظ بالشامات امسى * فأحسناته الاذنوبا

رؤيته وخلفها جوار كانهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه وأقبلت تجلس على أملى ثم قالت قم الى صلاتك بلا أذى فانتبهت كالذى نشط من عقال وعنه من رواية اخرى انها قالت له انا لك فجد فى طلبى فانى فى طالبك قال فلم أنم بعدها وفى اخرى عنه قال فما أخذتنى السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولنى اياها واذا فيها

يا نائمًا من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد أفعال الخير واعمل الوقائع متعددة *وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسى الى السماء وقلت اللهم انك تعلم انى لا قدرة لى على ذلك وانى لو سألتك اياها لوهبتها لى ولكنى أسألك انفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندى ان لا انام ليلا ولا اطعم نهارا ولا أضحك الى احدوها أنا مجد فى المهر فلم ير بعد ذلك على غيرها قال حتى مات *وعن رابعة العدوية قالت كان لى ورد فى الليل قد اعتدته فرضت مرضا أعقبنى فترة عنه فبينما انا راقدة اذ نظرت كأنى فى روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا أخضر تريد أن تأخذه فالهتنى بحسنها عنه وقلت دعيه لانى لم أر احسن منه فقالت ألا أريك احسن منه فقلت بلى فاخذت بيدى فادخلتنى الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتح لها باب فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بايديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الى اين تأخذه بيدى الى اين فقالوا الى فلان قد قتل فى البحر فقالت الا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ فى ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم انم بعدها وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فاذنتها قليلة فلذلك أضربنا عنها

*(الباب الثانى فى أحوال عشاق الجوارى والكواعب
وذكر ما صدر لهم من العجائب)*

(وفيه خمسة أقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته) قد تقدم فى أحوال العشق أنه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين واظنه الجنيد كأن النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصريحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من امعن النظر فى مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة

وقيل الحسن امر مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن بذاك ٣٥ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضى الله عنها البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجسد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام واحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس

وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال آخر

ان المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة فى العينين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان ومنه قول الحسن رضى الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أى اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف *وفى الوجه المحاسن واليها الاستشراف *وفى المحاسن النكت التى هى الغاية فى الاستحسان والاستظراف * كالملاحة فى العين ونكتته الملاحة الدعج وكالحسن فى الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة فى الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق فى الخد ونكتة الخد الضرج *ومما يستحسن فى المرأة طول أربعة وهى اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها ...

الاخلاص * عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفي رواية أسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجتيه فقالت ان أمرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع وقد أخرج القصة البخاري وفي تتمة ذيل الامالي للقالي عن ابن الانباري قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد ساومه جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فأنشد

أبت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بالصاحبا ومؤانسا * وكذا الغواني وصلهن معار

وكان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكن ما أبقى حشاشة ما ترى * على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رمقا عافيا وحشاشة بالية فمكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق وأخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري وقال السيوطي في شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي فاقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها اخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت سافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية ففارقها رفقا بامه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاود أهلها فأبوا عليه فاقام أياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق * وحكي ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي الامالي ان اسمها غاضرة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وأنشد

ألا نادى هديلا ذات فلج * مع الاشراق في فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك * هوى نسقا واسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيا * وأنت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر أم حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
واني من بلادك أم حفص * سقى بلدا تحل به الغمام
أحل النعف من أحد وأدنى * مساكنها الشبيكة أو سنام
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر نيام

أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذ رماً في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها * وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها وسواد أربعة أهدابها وحاجبيها وعينيها وشعرها * وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس وإشراب بياضها بحمرة * وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنالك * وسعة أربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها * وضيق أربعة فمها ومنخرها ومنفذ أذنيها وما هنالك وهو المقصود الأعظم من المرأة * قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها ان يقال في حقها

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى
في الحسن عند موفق لقضى لها

وحكي ان بعض ورا دملوك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتملأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة اذرع تضرب اهداب عينيها خديها كأن بين اجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت

(فصل) قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل قال وقد نظم بعضهم هذا فقال يا حسن الوجه توق الخنا * لا تفسدن الزين بالشين * ويا قبيح الوجه كن محسنا * لا تجمعن بين قبيحين

فان يكن النكاح احل شئ * فان نكاحها مطر احرام

فلو لم ينكحوا الا كفاه * لكان كفيها الملك الهمام

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

وساق فى المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا فى الاول وهو

الا يا ظبية من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال فى البيت الاخير والا يعل مفرقك بدل عض * وأخرج أبو الفرج الاصفهانى عن زياد بن غطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابى ينادى من أراد ان يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسى فقلت ما عندك فقال اعلم انى علقت امرأة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر وانى عتبتها يوما فقالت انها الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وراجعنى الشوق فنذرت ان راجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت فى كساء فسلمت عليهما فردت احداهن وسالت عن شأنى فاخبرتها فاشارت لى بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة ام جحدر وقامت لتدخل الى واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما اخبرتنى عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرنى ان لا اجتماع ففارقتها وغدوت لما أصبح النهار فاخبرتنى امرأة أخيها ان شاميا خطبها الى أهلها فزوجوه بها فجئت بالقرب من خبائها مترددا أياما الى ان مضى بها فكنت أنشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب * على وبعض الآمنين تصيب

اجارتنا امت الغداة بسارح * ولكن مقيم ما أقام عسيب

فان تسأليني هل صبرت فاننى * صبور على ريب الزمان صليب

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب

نظرت فلم اعيف وعافت ويمنت * انها الطير قبلى والليب لبيب

فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب

اجارتنا صبرا فيارب هالك * تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم فى الجميع وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن ابرد بن ميادة المشار اليه والابيات له ما عدا الاولين ولهما ثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولهما حكاية عجيبة هى انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية اياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الا انعم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وأمره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا بالنفوس معظما فى القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال على بن أبى طالب وقد سئل أ كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٧ مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفى صفته صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه
يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كأحمد
نظام لحق او نكال لملحد

(وقال أيضا)

فأجمل منه لم تر قط عينى
وأكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا رآه يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر
كنت المضئ لليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كأن أبا كبير الهذلى انما عناك بقوله

واذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

وفى الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا وروى ان بعض الصحابة اتى راهبا فقال صف لى محمدا كأنى انظر اليه فانى رأيت صفته فى التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة أبيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالسبط بجمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد ادعج العينين أقنى الانف مفلج الثنايا كأن عنقه ابريق فضة وجهه كدارة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا

أحس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وأنشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وماذكر من ان الثالث لجاهلي لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام في شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله تطرت فلم أعيف يعني لم أدرك حال الشرقة من زجر الطير العرب وف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت سيدة الحضرمية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فانشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بناشمتا تلك العيون الكواشح

فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح

وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوي عليه الجوارح

وهذا الذي ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده واصدرها باحد العشاق الاربع قال الفارسي في تنزيه النفس من لدن اداراته الافق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فاما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في التائية وغيرها الى ماذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لانه كما قال انسب الاربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاي عن ابي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطيقا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسيب روى عنه كثير وهو عن هدبة ابن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشا خطبها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتحادثان فعلموا به فارادوا قتله وانها اغرته عن ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الصادون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلي

لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل ولو قطعت رجلي

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ما شئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد ولحواش قل وأنت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بواد البغيض واضطجع فاتت

الحسن قد القيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنه فكان أحسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ٣٨ ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم الحسن نصفين فبين سارة ويوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى يوسف ليلة الاسراء وقد أعطي شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا ابردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يا رب أي عبادك احب اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال أي عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يا رسول الله وأنت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ نفسه فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه ما يكرهه مما يمكن ازالته ما يمنع أحد كم اذا خرج من منزله ان يتعاهد اديم وجهه

(فصل) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي في أحسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصبا يتناول ما كوله بيده متزينا بالعقل مع لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد ما الخلاف بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني أحسن من هذا القمر فانت طالق فافتى

مع جوار علاّون الماء فعبثت بفصيل له فقتلها وهذا أخذ من قوله

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادى بغيض يا بثين سباب

وقلت لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمى وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعى بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سيد من بنى عذرة فأحسن مكانه وزين سبع بنات له رجاء ان يعلق واحدة منهن فيتزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا أقبل جميل ففطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلمى صادقا * وللصدق خير فى الامور وأنجح

لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عندى ألذ وأملح

من الدهر أو اخلو بكن واغما * اعالج قلبا طامحا حيث يطمح

(وفى نزهة النفوس)

لرؤية يوم واحد من بثينة * الذ من الدنيا لدى واملح

وهو أحسن تركيبا واظهر فى اعمال أفعل التفضيل وقوله من الدهر معمول ٣ حلفت وفى نسخة مدى الدهر وهو أحسن وأنسب فقال الشيخ أرخين الخباء فوالله لن يفلح أبدا يعنى لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

* أتانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى أو قاطع من لسانيا

ففى العيش منجاة وفى الارض مهرب * اذا نحن دافعنا لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود فى منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمى حبها ويزيد

وافنيت عمرى فى انتظار نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

(وللعشاق من امثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون)

* ولما ابى الا جماحا فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا اهل

تسلى بأخرى غيرها فاذا التى * تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

واعظم ما قيل فى هذا المعنى واسجم والطف وارق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معانى الابيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمرى انه لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاى عن ابى الفرج وشت جارية

عليه زمانه بالحنث الايمى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ٣٩ وجاء فى تفسير قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن والوجه الحسن ولهذا قال أبو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا
والناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذارا
تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير
يزيد فى الخلق ما يشاء

(وحكى) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها فى ذلك فقالت انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن ٣ وجهى * وحكى ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع أثرها فى الظاهر كانت صباحة واذا وقع أثرها فى الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان أحدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع أصحاب الفراسة من معرفة أحوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم والحسن أول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبع الخلقة تناسبا

مطرداواصلا لاينعكس وابداعا لايتقرد وماخلق الله نبياقط الاوقد بر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته أول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية فهوأولاهم مرتبة وأعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لايعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازى فى اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان أمرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة أفضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة أفضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لامحالة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى أنواع من البلايا منها ان اباه كان يحبه أزيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف أواطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى أسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته استصفاه لنفسه وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لايبقى الا أياما قلائل وأما حسن السيرة فانه لايزول اثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول

بجميل و بثينة الى ابيها وانه الليلة عندها فأتى واخوها مشتملين متقلدين سيفيهما فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طفء مابى بما يشمل المحبان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه ان ترى وجهى ابدا فضحك ثم قال والله ماقلته الا اختبارا ولو اجبت اليه لضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك اما سمعت قولى

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لوأبصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى واوائله

فقالا لا ينبغى لنا ابعاده من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل و بثينة فقال يا امير المؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن منى فدنا فأسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما أفاق انشد

فما ماء مزن فى جبال منيفة * ولا ماء كنت فى معادنها النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل أخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال به ادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت اباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشدته

وقلت لها ياعز ارسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل
بأن تجعلى بينى و بينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخر عهد منك يوم لقيتنى * بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال ابوها ماهذا فقال كلب اتانا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت واخبرته فاقبل حتى اجتمعا ليلة وسارره كما سلف الا انه انشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غير أن قال * فما مكنه ورقى بجماء حنة * ولا ماء سرت وعن مغلطاى قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر فقال لها ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت مارأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تمشط فتمثل بهذا البيت

ماانس لاانس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها فى هذا البيت موجودة فاستحضرها وسألها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة وانى زينتها يوما فاقبل على بعيره مارا فرآها بمؤخر عينيه فانشد البيت فأمرها مصعب ان تصنع لعائشة كذلك وصنع هو بجميل وله فيها من الاشعار مالايحصى مابين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك

مـحبار ها

هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج فدعا نصر بن حجاج وهو من بنى سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعره فقال لا تساكنى فى بلد فتشفع نصر اليه ان لا يخرجه

مستجادها اللامية التى أنشدها لعمر بن ابى ربيعة وكان من أجل معاصريه فى الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فأنشد

الم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن حليات دوارس بلقعا
أتانا رسول من ثلاث كواعب * وراتقه تستجمع الحسن اجمعا
فلما توقفنا وسلمت اقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفننى * وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل اثر هذا القصيد قصيدته المشهورة التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى * بثينة أو ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانى * لاقسم مالى عن بثينة من مهل
احلما فقبل اليوم كان أوانه * او أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

(ومنها)

اذا ما تناشدنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكى صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلى
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها * ويا ويح اهلى ما اصيب به اهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

ومنها بيتان أنشدهما وقد مر به رجل فأضافه فريدا فجعل يأكل ويبث وجده على ابنة عمه حتى اتى عليه وهما

ويعجبنى من جعفر ان جعفرا * يلح على قرصى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن * بطينا وانساك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك فى هذا الروى شئ قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فقربنى يوم الحصاب الى قتلى
وطارت بوجد من فؤادى ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فما انس م الاشياء لا انس موقفى * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل

(ومنها)

فسلمت واستأنست خيفة ان يرى * عدوى بكائى اويرى كاشح فعلى
فقالت وارخت جانب الستر انما * معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى

من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتنى قتل نفسى فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعدت لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك (أقول) ذكرت بحلقه شعره فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم فى ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا
غيرة منهم عليه وشحا
كان صبحا عليه ليل بهيم
فمحوا ليله وابقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الوراق فى مليح قلندرى

عشقت من ربقته قرقفا
وماله اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله
فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت جسمى نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضنى
فصرت كالك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

6 تز ل

(فصل) قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة ولنذكر ههنا ما قالته الشعراء فى تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد

والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن احسن ما قيل فى ذلك قول محاسن الشواء ارسل فرعا ولوى هاجرى
صدغا فأعيا بهما واصفه نخلت ذا من خلفه حية تسعى وهذا عقربا وانثنه ذى الف ليست لوصل ودى
واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
انى أعوذها بسورة طه

(وقول ابن مطروح)

قالت انا الف العذار بخده
فى ميم مبسمه شفاء الصادى

(وقول ابن نقادة)

صنم الجمال فصاده من عينها
والنون حاجبها الخالى نقط
والميم فوها فالحروف تألفت
مكتوبة والصبر عنها يكشط

(وقول الآخر)

لاتقل لى لا فمكتوب على
وجهك المشرق نورا انهم
بحروف صورت من قدرة
ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم

(وقال شهاب الدين أحمد بن الحلبى)

ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما
تم حسنا وبالعذار التمام
غير انى أراه وصل وداع
فيه يقضى افتراقنا والسلام

(وقلت أنا)

حبيب تغالى قده حين سمته
وقال قوامى دمعه ما يقوم
وخط عذارى أعجم الخال لامه
ولم أدر ان اللام فى الخط يعجم

(وقلت أيضا)

يرنو الى بعين نون حاجبها * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان (وقلت أيضا) فى عكس هذا المعنى اشارت
وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

وقيل ان جميلا لم ينشد فى هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد هجر على فقال دلنى على أبياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وثالثا فانشد جميل رائيته وهى

خليلى عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
فانكما ان عجتمالى ساعة * شكرتكما حتى اغيب فى قبرى
وانكما ان لم تعوجا فاننى * سأصرف وجدى فأذنا اليوم بالهجر
ومالى لا أبكى وفى الايك نائح * وقد فارقتنى شختة الكشح والخصر
أيبكى حمام الايك من فقد الفه * واصبر مالى عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجن بذكرها * فأقسم مابى من جنون ولا سحر
واقسم لا انساك ماذر شارق * وما هب آل فى ملمعة قفر
وما لاح نجم فى السماء معلق * وما اورق الاغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسى بثين بذكركم * كما شغف المجنون يابثن بالخمر
ذكرت مقامى ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم أملك اليها صبابة * أهيم وفاض الدمع منى على النحر
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * كليلتنا حتى ترى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهى قد قضى ذاك مرة * فيعلم ربى عند ذلك ماشكرى
ولو سألت منى حياتى بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمرى

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد * امن آل نعم أنت غاد فمبكر *

(ومنها)

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذهنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولى من عدوك حضر
فوالله ما أدرى أتعجيل حاجة * أتى بك أم قد نام ما كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى * اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ملقى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكى المسك منها مقبل * رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر
يرق اذا تفتر عنه كأنه * حصا برد أو أقحوان منور
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور

اشارت بأن القوم قد كان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فماراعني الامناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت أتحقيق لما قال كاشح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان ما لابد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء واستر
أقص على اختي بدء حديثنا * ومالى عما يعلما متأخر
لعلهما أن تبغيا لك حيلة * وأن ترحبا صدرا بما كنت أحصر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * اقلي عليك الخطب فالامر أيسر
يقوم فيمشي بيننا متسترا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما انخنا ساحة الحي قلن لي * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * أما تنتهي أو ترعوي أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق أهل ذلك العصر على انه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبي ربيعة وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر وجميل في لاميته والذي يظهر أن جميلا أشعر مطلقا عند التأمل ومن أشعار جميل أيضا قوله

ألا ليت ايام الصفاء جديد * ودهرا تولى يا بثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم * صديق واذ ما تبذلين زهيد
وما انس م الاشياء لا انس قولها * وقد قربت نضوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى * أتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر * ودمعي بما أخفي الفؤاد شهيد
الا قد أرى والله لا رب غيره * اذا الدار شطت بيننا سنرود
اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي أعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الا ذكرتها * ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يا بثين سلامة * اذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي * من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بيني وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود

فكم ألف بها أمسى * رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية ال * كتاب بخالها طره
وعين أصبحت في العيـ * ـن مثل العين والنقره

(وقلت أيضا) في تقريظ كتاب ورد علي من بعض الاحباب من رسالة افتتحتها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا علي * فلا تعجب لدمعي ان توالا
ووافاني كتاب منك عال * حكت ألفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رأيت له مثالا
لئن أمست به ألفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم ألف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
ظننت اللام فيه عذار خد * وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه * يعلم لينه الغصن الكمالا

(وقال القاضي الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيسراني وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن ألفات ألفت الهمزات غصونها حمائم ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادي والعيون الحوائم ومن واوات ذكرت ما في وجنة الاصداغ من المعطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغرها لتنال جنى الرشفات ومن سينات كأنها الثنايا في تلك الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بانحناء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحيته فيها الجلد ويده تضرب في ذهب ذائب .

فأفنيت عيشي بانتظار نوالها * وأبليت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها * يدوف لهم سما طماطم سود
وليتهم في كل ممسى وشارق * تضاعف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل أنني * اذا جئت اياهن كنت اريد
فأقسم طرفي بينهن فيستوى * وفي الصدر بون بينهن بعيد
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بوادى القرى اني اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا القاويات وئيد
وهل القين سعدى من الدهر مرة * وما رث من حبل الوصال جديد
فقد تلتقي الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل ازجرن حرفا علاة شملة * بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر مرهوب كأن نشوزه * اذا جار هلاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب * وصدر كمثل لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طي الوشاح ميود
اذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواى ويجتني * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كأني مجانب * ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها * فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * واي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا فكرت قالت قد ادركت وده * وما ضرني بخلي ففيم اجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري * فبرقاء ذي ضال على شهيد
الم تعلمي يا ام ذا الودع انني * اضاحك ذكراكم وانت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها واطنها معبد وكان من اشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض وكان اعظم منه حكي عنه في الاغاني ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فاقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده واقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه الا الغناء فانشد علقت الهوى منها وليدا البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فصادفنا وانشده (وما انس ما الاشياء لا انس قولها) الى خمسة ابيات ثم قال اغاغنيتك ذلك لاني علمت انك تريد ان اغنيك

وما انس ما الاشياء لا انس شادنا * بمكة مكحولا اسيلا مدامعه

وان الجن قد نهتني عنه قال معبد فقلت لم تعد ما اريد ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة

والناس تضرب في حديد بارد *(الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء)* أقول هذا باب
عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطولهم باعا واطيبهم عيشا واكثرهم طيشا وارقهم شعرا وادقهم
فكرا واقربهم رجوعا واكثرهم بالحبيب ولوعا اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك واحقهم بالنوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم وزينه لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهدا وستأتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من أصبح دونه في العفاف واقام سالف محبوبه مقام السلاف ومنهم من خلع العذار واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع ما بين ذات العقود وابنة العنقود ولكن مع صيانة ورجوع الى ديانة فهو وان طال به المجلس اختصر وان جنى فيه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان أكن قد جنيت في السكر ذنبا
فاعف عني يا راحة الارواح
اى عقل يبقى هناك لمثلي
بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة واخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة فجار النديم في الجريال ودعا الى الحبيب بحبوحة حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه وطابت
كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان ازرق وتحته لبد أبيض فوقع في ثمانمائة

وطلبت ان يكمل لى السرور بأن أضم الى اجتماعى به اجتماعى بمن رأى جميلا لآخذ عنه
القصيدة فنعت لى شيخ فى بنى عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدث انه كان فى ابل له واذا
رجل غشاه فنزل به فلما اتلفا قال له هل لك ان تصنع معى من الخير مالو كانت لك الدنيا
ذهبا وانفقتها على لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضى الى وراء السفح فتنشد لى بكرة
صفتها كذا قلت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطعمتهم عنها
ثم استأذنتهم فى البيوت وقلت لهم ان النساء ادرى بالمارة فأذنوا فانصرفت اتصفح الحى
الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لا انصرف اليه وأدع
هذا اليسر فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت
حاجتك ثم أدخلتنى بيتا وأتتنى بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شامية مفضضة فيها لبن
فتناولت كفايتى ثم قالت ان بكرتك تأتى هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه
وحدثته القصة فابتهج كالذى أصاب بغيته وأنا لا أدرى فلما جاء الليل وآنس ان قد نمت
عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر
ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضى الوشاة الى ان رأيا
الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت وجاء فصلى ثم نبهنى وهو مسرور فأكل معى وشرب
ثم اخبرنى انه جميل وانها بثينة ثم أعطانى بردا واعتذر وودعنى بعد ان قال هل لك ان
تمضى فتنشدها أبياتا قلتها بعد منصرفى عنها قلت نعم فانشدنى وما انس ما الاشياء الابيات
الجسة فمضيت اليها فقالت قد جئت بالامس طالبا واليوم مسلما وذكرت ثناء ووجدا ثم
قلت هل أنت بارزة الى قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه برد جميل ثم
خرجت فى زينة وقالت يا أخا تميم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة
بالعصفر واقسمت ان اتشح بها ففعلت وانشدتها ما قال ورجعت بلحفة بثينة وبرد جميل
وحكى الشيخ لعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمى حبها ويزيد
وافنيت عمرى فى انتظارى نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لى مما طلبت وعن أبى زيد حين قرئت عليه هذه
القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا أنا مردود البيت وفى نسخة ان قوله فما انس
ما الاشياء بعد قوله فما أنا مردود ومنه برواية مغلطاى

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور
نشوان ريح مدامة معلولة * بذكى مسك أو سحيق العنبر
انى لأحفظ غيبكم ويسرنى * لو تعلمين بصالح ان تذكرى
ويكون يوما لا أرى لك مرسلا * او نلتقى فيه على كأشهر
ياليتنى أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر

قصة فوالله لقد أصاب وما أخطأ واسرع فما ابطأ ثم قال يا ربيع اترانى لأحسن التدبير والسياسة واحسن
وجدت ثم الآس وشرب الكأس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الى من مقابلة الناس
وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد
وبعده المتوكل وغيرهم من
الخلفاء والامراء من آثر راحة
النفس على تعب السياسة والذى
اراه طلاق ما ذهبوا اليه بالصريح
ومفارقة الجميع على وجه مليح
كما قيل
لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه مليح
(وما أحسن قول أبى الفتح البستى)
اذا غدا ملك باللهو مشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس فى الميزان هابطة
لما غدا وهو برج اللهو والطرب
ومن هنا نشرع فى ذكر من ذل
لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه
مالكا له كالمملوك وهم فى ذلك
لشدة الباس على خلاف
ما عليه الناس وذلك لأن
العشق واصحابه طبقات فمنهم من
لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا
هو الغالب على العشاق
الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ
شرف الدين بن الفارض
ولو عز فيها الحب ما لذلى الهوى
ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى
وكما قيل
تذلل لمن تهوى لتكسب عزة
فكم عزة قد نالها المرء بالذل
ومنهم من يرى توحيد المحبوب
وعدم الشريك كما قيل
ليس فى القلب موضع لحبيبين ولا احدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى * خالقا غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى * غير فرد مباعدا ومدان
وكذا الدين واحد مستقيم * وكفور من عنده دينان

هو في شرعة المودة ذو شرك * لا بعيد من صحة الايمان   فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة كالرشيد وغيـ
ـره كما يأتي بيانه في بابه لم يكن محبا   حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ماليهم واختلاف الشكـ

لو استطيع تجلدا عن ذكركم * فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
فلتبكين الباكيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم اغدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت * هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادى * مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروي شيأ عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت تبرم غزلا والعرب قد اعترت الطريق شوف المارة الى الشام واذا برجل قد اقبل الينا فاستثبتناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك شرا فمن اين جئت قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة انتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فاني ذاهب الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك بجثته بقدح فيه تمر واقطفنا له منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء أهل الحي ومنه

اري كل معشوقين غيري وغيرها * يلذان في الدنيا ويغتبطان
وامشي وتمشي في البلاد كأننا * اسيران للاعداء مرتهنان
أصلي فابكي في الصلاة لذكرها * لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها * وقد وثقت مني بغير ضمان
الا يا عباد الله قوموا لتسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين أينما * أقاما وفي الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي ٢ قال قال لي رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الي وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فاني اظنه ناج قال انا قلت عجب منك تشبب ببثينة هذه المدة وأنت كذلك قال أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة واكثر ما كان مني أن اسندها الى فؤادي استريح ساعة ثم أغمي عليه فلما افاق أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

عليهم كما قيل
تنقل فلذات الهوى في التنقل
ورد كل صاف لا تقف عند منهل
فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم
على من يحبونه بالنقود النضة
والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة ثم قد يعشق الملك العظيم
فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير
ملكه وانما أكثر ما يظهر من
أمر الملوك ان يضعوا محبوبهم
في مقام مالكهم وهم مالكوه كما
قال الحكم بن هشام ملك الاندلس
ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب
للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر
اذا كان في الهوى مملوكا
وقال الرشيد وقد عشق ثلاث
جوار
ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها
واطيعهن وهن في عصياني
ماذاك الا ان سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني
(وقال) المستعين بالله بن الحكم
الاموي أحد خلفاء المغرب
واباد
عجبا يهاب الليث حد سناني
واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران   ولما
تملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان   حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطان

٢ الذي في شرح الشواهد للسيوطي العباس بن سهل الساعدي

فابعن من قلبي الحي وتركني * في عز ملكي كالاسير العاني   لانه ذلوا مل كاتذال الهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني

ناضر انى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

(قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان

ولما حضرته الوفاة قال من ينعانى الى بثينة قال رجل أنا فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحى فأنشد

بكر النعى وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعى بفارس ذى همة * بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوى عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعى يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتنى وان كنت كاذبا فقد فضحتنى فقال لها والله انى لصادق واخرج حلته فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم افاقت وانشدت وان سلوى البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

(اخبار كثير عزة)

هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابى جمعة اذا وصله الكلبى فى جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحد أولاد الازد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذى دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه فى النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد أيام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة ما يسرنى * بها حمر انعام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم واعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حقى فلما عاد سألنه ذلك فقال لا أقتضى الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد البيتين فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجفت من الحر ورفعت له نار فأمها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما أتينا خلة كى تزيلنا * ابين وقلن الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان أردت وصالنا * ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

قادر تذل لهيبته الاملاك وتذعن لسطوته الفتاك هدم الهوى اركانه واذل عزه وسلطانه فقصر جفنه فى الليالى الطوال وارقه مع عقله الحسن فى اسر الاعتقال فقال

امايكفيك انك تملكينى
وان الناس كلهم عبيدى
وانك لو قطعت يدى ورجلى
لقلت من الرضا احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا بغرناطة وأنشدنى شعرا وحضرت عنده انشاد الشعراء ومن شعره

ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى
على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى
واما بعز وهو اليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من مثلى فى عصرى
بستانى فى قصرى
معشوقى مملوكى
غنى لى من شعرى

(وقال الملك الظاهر) فى مملوكه ايبك الجامدار

انا مالك مملوك ظبى اغيد
ومن العجائب مالك مملوك

وانا الفتى واتى من وصله * بين البرية معدم صعلوك   ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف فى مملوكه) وكان خازنداره دوبيت   افدى قمرا تحار فيه الصفة * يسخو بدمى وهو أمين ثقة

يارب عارضة علينا وصالها * بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تأمل * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة * فضلا اغيرك ما أتتك رسائلي

والله لا سقيتك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدني في حب مية معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الآذان الا من القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل في الطبقات الابيات الا انه قال * يزهدني في حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها لذي الرمة بدليل قوله يزهدني في حب مية معشر وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل كثير على عبد الملك ابن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على هل رأيت اعشق منك فقال لو أقسمت على بحقك لاخبرتك فقال بحقي الا ما اخبرتني فقال يا امير المؤمنين خرجت يوما واذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له ان ساعدتك تشاركني فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت في الاحبولة فسبقني اليها فخلها ثم مسح وجهها وقبلها واطلقها وأنشد

اياشبه ليلى لا تراعى فانني * لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها * فانت لليلى ما حييت طليق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الدين الذي مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت فنجزيها وعلى اثمها وفي رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين وفي الذيل من رواية القارمي * قضى كل ذي دين فوفى ديونه * وفي أخرى غريمه وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هي ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله ممن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت في نساء اما آن ان تؤدي ما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذي دين وأنشد البيت فقلن له اتدري من غريمتك فقال لا قلن هي والله عزة فقال أشهدكن على انها في حل مما عندها ومضى فاخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك ورأيت في روضة الدولتين لابي شامة ان الذي وهبه كثير ألف دينار وأنشد حين أعتق الغلام

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسي سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

فاذا عجبا به ذا مالي ويري * ذوني تلقت به ولا يلتفت وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاول من تقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن ثلوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لي بوعد صدق
وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أظل أشكو
مثل محبك ليس يشكا

(وحكى) عن المأمون انه غضب على جارية تدعى عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى أرسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام
ولا يزرى محاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام
ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني
فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له يا أمير المؤمنين والدك أمير المؤمنين هرون الرشيد أعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الابيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون أيضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتحا بلواني
ويا عليما بطول شكواني
الحمد لله لا شريك له * مولاك عبدي وأنت مولاني

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن أروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل انه سألها عن قوله قضى كل ذى دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها فى الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهى

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفى رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المازمين وصلت
اناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها ياعز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميتة * تتم ولا غماء الا تجلت

كأنى انادى البيتين

اباحت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حزمنها فضلت
وغودر فى الحى المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواى فدلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت
أريد الثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما انصفت اما النساء فبغضت * الى واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن أول القصيدة الى قوله فما أنصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا فى البيت المذكور والبيتين اللذين بعده حكايه هى ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا

وقصد والده الرشيد يوما منزل زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فأشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فقد عابدواة وقرطاس فوقع فيه قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه فبارحت مكانى حتى وثبت عليه فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وأقام معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقة
كأنما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما
نفس كذا فليكن الحب

(وحدث) أبو جعفر قال بينما محمد ابن زبيدة يطوف فى قصره اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهى تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتنى مدة ولم يكن عندى علم بوافاتك فأنظرنى الليلة حتى أتهيأ للقائك وآتيك فى غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشى وأبو نواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فأنشأ الرقاشى يقول

فى تصرو قلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار (وقال مصعب) أتعذلنى وقلبى مستطار * كئيب لا يقر له قرار بحب مليحة صادت فؤادى *

٧ تز ل

ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الجمل وانشد

حبتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لى فارددها * مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو على بيتا بين هذين وهو

لو كنت حييتها ما زلت ذا مقة * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس نارا وقال فى النزهة ان تستعطى سمنا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب فى اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فأخبرته فحلف لتضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فأنشد يكافئها الغزير البيتين وفى منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبرى سهاما فجعل يبرى ساعده فدخلت عليه فسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له أنت اشعر أم جميل فقال كيف يكون اشعر منى وهو القائل

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * وفى الغر من انيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وانما يدل ذلك على ان كثيرا أرق قلبا واشفق على محبوبته وأشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان الصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

ووالله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مناديح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت * بعاقبة أسبابه قد تولت
خليلى ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذ ناقتى قد أكلت
أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن أنيلى واذكرى من مودة * بنا خلة كانت لديك تضلت
وانى وان صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت علينا أدلت
فما أنا بالداعى لعزة بالجوى * ولا شامتا ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتى * بعزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد ابليت من دنف بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
وما مر من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف ذلت
وانى وتهيامى بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت

بالحائط يخالطها حوار ولما ان مددت يدى اليها * لألمسها بدا منها نفار فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت فى غد منك المزار فلما جئت مقتضيا أجابت * كلام الليل يمحوه النهار (وقال أبو نواس)

وخود أقبلت فى القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت فى غد فضيت حتى
أتى الوقت الذى فيه المزار
وقلت الوعد سيدتى فقالت
كلام الليل يمحوه النهار
فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا
أو ثالثنا فى القصر فقال لا والله
يا أمير المؤمنين ولكن نظرت
اليك فعرفت ما فى نفسك وعبرت
عما فى ضميرك فأمر له بأربعة
آلاف درهم ولصاحبيه مثلها
وذكرت هنا ما قلته فى ابن نهار
أقول لموعدى زورا بليل
بدا كالبدر فيه ثم غابا
كلام الليل يا ابن نهار زبد
اذا طلعت عليه الشمس ذابا
(وقلت)
أتيت ريان الجفون من الكرى
وابيت اسهر فيك مع سمارى
وتلوم ان اصبحت فى يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار
(حكى) انه كان للمتوكل غلام اسمه
شفيع وكان من احسن الفتيان
فكان المتوكل يجن به جنونا
فاحب يوما ان ينادم حسين بن

الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد اسن فأحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتجمش اخص كالمرتجى

اكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

كأني واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا أوقدا لمندل الرطب على هذه الروثة أو بخرت به امك العجوز الشنا كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي

ألم تر يانى كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استرى على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب قال ليس على كثير شئ فان قوله اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحا لاثبات قصده وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن في مقابر المدينة وله في عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فأقبلت من اهلي اليها أعودها

فوالله ما أدري اذا أنا جئتها * أأبرئها من دائها ام أزيدها

اذا جئتها وسط النساء منحتها * صدودا كأن النفس ليس تريدها

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذي الرمة لانه بعدما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتي * وفي البرد رشاش من الدمع يسفح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح

وقد كنت أبكي من فراقك حية * فهذا لعمري اليوم انأى وانزح

فهلا فداك الموت من انت زينه * ومن هو أسوا منك حالا وأقبح

ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح

فان التي أحببت قد حال دونها * طوال الليالي والضريح الموجح

أرب بعيني البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح

شدي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة * من الورد يمشي في قراطق كالورد

تمنيت ان اسقى بعينيه شربة * تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت يا حسين

ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير وكان شفيع المذكور يكتب على طراز قبائه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه * في صفحة القمر المنير

(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة جاريته فخلا يوما في لهو معها وقال لاكذبن قول من قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما واحضر حاجبه وقال له لا تأذن لاحد يدخل علي ولا تعلمني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم وأقام معها في أتم حال فتناولت رمانا فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من دفنها حتى سأله جماعة من بني أمية في دفنها ولاطفوه في ذلك فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا في عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته في نقل الكرام في مدح المقام في الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه في

مخففة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء أيها الملك قد مات قلج فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها في ٥٢ الكتاب المذكور *(الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب في النزاع)* أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فأصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بمالم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعيرتين كم ليلة رقص فيها على السماع وجمع سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع فهو اعلى طبقة ممن عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر أو تعارف سابق في عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن في الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها
تسرى الى النفس أو تجرى مع النفس
ومالها آخر لكن أولها
تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر ناجاني البشير بها
أهلا بمنها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل
ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قولي لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لابد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبني الا وقد وافقته في بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سال عائشة رضي الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة

اذا لم يكن ما تسفح العين لي دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

ألا حيبا ليلى اجد رحيلي * وآذن أصحابي غدا بقفول
تبدت له ليلى لتذهب عقله * وشاقتك ام الصلت بعد ذهول
اريد لانسى ذكرها فكانما * تمثل لي ليلى بكل سبيل
اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة * تعل بها العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملا يمددن كل جديل
يمين امرئ مستغلظ من ألية * يكذب قيلا قد ألح بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا ارسلتهم برسول
فان جاءك الواشون عنى بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل
فلا تعجلي يا ليل ان تتفهمي * بنصح اتى الواشون ام بحبول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمهى * حسان بلفظ ناعم وقبول
وكنت اذا لاقيتهن كانني * مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى * فقلت البكى اشفى اذن لغليلي
تولت محزونا وقلت لصاحبي * اقاتلتي ليلى بغير قتيل
لعزة اذ ما حل بالخيف أهلها * فأوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * تبعث نكباء العشي جفول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها

لا تغدرن بوصل عزة بعدما * اخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا احب حبيبه * صدق الصفاء وأنجز الموعودا
* الله يعلم لو اردت زيادة * في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه * مسا ويخلد ان يراك خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاى كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوبا اليه

وبعد

وبعدماذكرتنا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيرا ما نقله النحاة هكذا

لالا أبوح بحب بثنة انها * اخذت على مواثقا وعهودا

قال القالى هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة اوان الشعراء كثيرا ما يعدلون عن اسم من يريدون الى ما لا يريدون تورية وغيرة وسيأتى لذلك ايضاح

ومنها

تفرق انواع الحجيج على منى * وفرقهم شعب النوى بين أربع

فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التف الحجيج بمجمع

اقل مقيما راضيا بمقامه * واكثر جارا ظاعنا لم يودع

فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * سراعا واخلوا عن منازل بلقع

فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم سالك خبت يفرع

(اخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفى رواية ابن الحباب يتصل نسبه بيكر بن عبد مناة عذرى وهو من خزاعة واسم ابيه على ما هو جدته وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن على بن ابى طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فى بنى كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما صدر قالت له الا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو اشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى ابيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغم منه وجاء الى امه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما وجاء الى الحسين بن على واخبره بالقصة فرق له والتزم له ان يكفيه هذا الشان فمضى معه الى أبى لبنى فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت الكفيت بيدان هذا من أبيه اليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبى قيس ونقل السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين بن على لما بلغه انقباض أبى قيس عن ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطى ان الحسين ادى المهر من عنده ولما تزوجها اقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من احسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فحسنت لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو

تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأنشد طرفة تعارف أرواح الرجال اذا التقوا * فمنهم عدو يتقى وخليل وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز فى دوران الفلك ولا فى تركيب الطبيعة ولا فى القياس ولا فى الحس ولا فى الممكن ولا فى الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذى ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من أحب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك أجوبة أحسنها أن يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثانى محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولا بد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير ما عنده أو فوقه أو دونه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة أشياء اما رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع صفة فهذه الثلاثة هى أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب أحد من ان يستند الى شئ منها وقد قيل ثلاث محبات فحب علاقة

وحب تملاق وحب هو القتل

وأحوال الناس تختلف فى ذلك (فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيفنى بمن وصف له محبة وما رآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فانى ان ارى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

اخذه القاضى الفاضل فقال عالونى عن الشام بذكرى

زوجته بين تحمل لتجيء بولد كان ابقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا اسيئها قط وأقام يدافعهما عشر سنين الى ان اقسم ابوه او هي امه لا يكنه سقف او يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد وعض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه اهلها وأخبروه انها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانى لمفن دمع عيني بالبكى * حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي * بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال ايضا

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت اعدائي وعاصيت ناصحي * واقررت عين الشامت المتملق
وددت وبيت الله انى عصيتهم * وحملت في رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * ابيت على اثباج موج مغرق
كأني ارى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

ووقع غراب بحيث ينظر فنعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك في تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فليم على ذلك فأنشد

وما أحببت أرضكم ولكن * اقبل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى * بلاء ما أسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى * عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل أوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ ويتمرغ في موضعه ويقول

بت والهم يا لبيني ضجيعي * وجرت مذ نأيت عيني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبينى فدتك نفسي وأهلي * هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال أيضا

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف * قضت لبانة ما قضيت فانصرف

ان قلبي عليه بالاشواق مثلته الذكرى لسمعي كأني * اتمشى هنالك بالاحداق وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب اميرا للجسد وملك الاعضاء بجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما أشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب ومارأى والاصم يحب وما سمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه قوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما ان أول الحريق الدخان ثم الشرر *(حكي)* عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم أفهم معانيها ولكن
شجت قلبي فلم اجهل شجاها
فكنت كأنني اعمى معنى
يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لابي تمام أخذت هذا المعنى من أحد فقال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه ابو يعقوب الخزيمي فقال قد قالت ونهز أبي غداة لقيتها * يا للرجال لصبوة العميان فأجبت انفسي ودا وذلك انما * عيني واذني في الهوى سيان

قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها * أف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت * لا تأمنن أبدا من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة * أهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت اليه يوما أمه بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض الى وصلهن فأنشد

يقصر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن مالك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكر لها أحب الناس اليها سكنت ثم قال

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * وريشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فانني * كانك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الابيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فياليت اني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامي بلبنى غواية * فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه افضى به الحال الى مرض الزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس اباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألون عن حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه انشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد
ولكنه باق على كل حادث * وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وانشد في ذلك يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما حست الحواس الخمس بواسطة توسطها النفس (وقد قال الخليل بن أحمد)

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه * وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها * فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما
من اين ارسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصلـ * ت لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى * وبه تتم اذا استتما
فاجبت أني موسوي * العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

(وقال المدني)

ايا من لامني في حب * من لم يره طرفي
لقد أفرطت في وصفـ * ـك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنة * يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب ابن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب مطلعها

واني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا * بأبناء أيوب فانت الموفق وقلت انا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة ٥٦ مطلعها وحياة وجهك وهو بدر مشرق * قلبي عليك كما علمت واشفق

فقال انما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

اذا ما مشت شبرا من الارض ارجفت * من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان اباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلم يفد ذلك فعرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها * بشيء من الدنيا وان كان مقنعا

وازجر عنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمره بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما افاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء اخوها على اثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده واقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت علي واجابه فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه المصاهرة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليه حتى عقد له على اخته ودخل بها فأقام معها اياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى اهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان ابا لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان يهدر دمه وأمره ان يزوج ابنته بخالد بن خلدة العطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبنى زوجها أصبح * لا حربوا زيه

له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه

فلا يبعده الله * وبعدا لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى اتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى اتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم

يتيم

يا من اذا ما لاح آس عذاره

امسى ولي بالعيش غصن مورق

ما لاح خدك بالعذار مكاتبا

الا ظننت بانه لي معتق

(ومنها)

كم ذا رقصت على السماع بذكره

والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى في محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث في الصحيح قال في الواضح المبين ومنهم من يعشق آثار آه كما يحكي ان رجلا عشق اثر كف امرأة رآه في حائط فلما ايس أهله من صلاحه تركوه حتى مات (ومنهم) من يحب في النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت

اطلعة الشمس كانت أم هي القمر

اظنها العقل ابداها تدبره

أو صورة الروح ابدتها الى الفكر

أو صورة مثلت في النفس من املي

فقد تحير في ادراكها البصر

أو لم يكن كل هذا فهي حادثة

اتى بها سببا في حتفي القدر

(ومنهم) من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة (ومنهم) من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره

وكذلك يعشق قبلك الانف والاذن (ومنهم) من أخبرني انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هي فاخذها واقامت عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما أشرف به على التلف كما قيل

يتيم جفاه الاقربون فجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدردمه)

فان يحجبوها او يحل دون وصلها * مقالة واش او وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري
الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى * ومن كرب تعتادني وزفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا * وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة * بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى * بانعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا)

وان تك لبنى قد اتى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا بالليل في الحين تلتقي * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضي * ترات يراها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروجه أيضا فتلاقيا فأبهت وارسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي * فاني يسليني عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي * غداة غد اذ حل ما أتوقع
تمنينني نيلا وتلوينني به * فنفسي شوقا كل يوم تقطع
الومك في شاني وانت مليمة * لعمري واجفى للمحب واقطع
وأخبرت اني فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكي علي جنازة * لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفي منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا

تلفت بشعري وجمعت عقري * يقول سلت من تلفي بشعره (ومنهم) من يعشق جنية رآها في نومه ووصفت نفسها له وبانت له غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموي ان جعفر بن أبي جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع في النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه أبو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال وأي مستصلح فيه وأي غاية لم يبلغها في الفساد فقال ويلك وبأي شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها وداأبه جمع اصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجني في الحي طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

قلت هذا الذي يقال في حقه الجنون فنون (ومثل هذا ما أخبرني) به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

(فصل في ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب)

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

(وما أحسن قول الآخر)

أهيم الى العذب من ريقه * كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وماذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

بشخص فسلمت عليه فلم يرد فضيت واذا هو ينادينى فرجعت فردّ علىّ السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل اطوارا هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من أنت قال قيس ابن ذريح وانشد

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فييأس طامع
ابى الله ان يلقى الرشاد متيم * الا كل شئ حم لا شك واقع
هما برحابى معولين كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أفنينا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاى واخبرت لبنى بمرضه فى سهافة التدفعا للوهم ثم تعارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبنى بالود لبنى وليتها * تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلين الغيب أيقنت اننى * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق
اذود سوام النفس عنك وماله * على أحد الا عليك طريق
شهدت على نفسى بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين منى صحابة * ولا أنا للهجران منك أطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف فى الحبال وثيق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراقى واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمى العلم فاسألى * وبعض لبعض فى الفعال يفوق
سلى هل قلانى من خليل صحبته * وهل ذم رحلى فى الرفاق رفيق
وهل يجتوى القوم الكرام صحابتى * اذا اغبر مخشى الفجاج عميق
واكتم اسرار الهوى فأميتها * اذا باح مزاح بهن بروق
هل الصبر الا ان أصد فلا أرى * بأرضك الا ان يكون طريق

وروى ان قيسا اشترى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتنى غدا فى دار كثير بن الصلت اقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكى أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ما هذا الذى فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

(وقال بشار بن برد) يا اطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك (وقال المتوكل الليثى) كأن مدامة صهباء صرفا * تزقرق بين راوق ودن تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلق وصحيح ظنى

(وقال امرؤ القيس)
وثغر لها طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظنى به
وبالظن يقضى على ما اكتتم

(وقال ابن حمديس الصقلى)
وما ذقت فاها ولكننى
نقلت شهادة عود الاراك

(وقال البهاء زهير)
فتنت به حلوا مليحا تحدثوا
باعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه
ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

(وقال ابن النقيب)
قالوا فلان يصوغ كذبا
يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لى
لو أنه صادق الحلاوه

(قلت) وبقى هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمق والمغفلين وهى ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام الىّ واجلسنى معه ففاتحته فى القرا آت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته فى شئ من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم فى اشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت والله قوى عزمى على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وازوره قال فأتيت فى بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الى جارية فقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لاحد فان

الطريق اليه فقلت قولى له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الىّ وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك قد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت فى الطارمة واذا برجل عابر وهو يغنى ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهو يتهافلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت فى العزاء ثلاثة أيام بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همتى على ترك تقطيع الدفتر بحكاية أم عمرو

(الباب الرابع فى ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر فى الضرر المؤدى الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفى مبدئه يمكن استدراكه وأسيره يرجى فكاكه فاذا تكرر أدّى الى ما صورته كيت وكيت أما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون واظهر
كأنى فى أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لى مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لتخيرها فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها الوقت (وحكى) انّ سبب طلاقها انّ قيسا قصد ابن ابي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروأة فى ذلك فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما انّ له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن يجداه عليه فذهبا معه حتى اجتمعوا به وكلموه فى ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن أبى عتيق أهلا كان أو مالا قال نعم فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندى فقال أشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوّضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت وروى انّ لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها واعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنه فطلقها حين علم ما بينهما وأرسل اخو الفزارية الى قيس حين ابطأ عنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار فى امر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لى ان اكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحيها وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابهما فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابى عتيق فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها وأقاما الى الموت بدليل مدحه لابن ابى عتيق حيث قال

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبى * اغصتنى حرارتها بريق

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت فى العدة وان مدحه لابن ابى عتيق حين لم يشك فى عودها اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدّنى قوّادا والقائلون بموت لبنى فى العدة اجمعوا انّ قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فموتها موتى * هل ينفعن حسرة على الفوت
انى سأبكى بكاء مكتئب * قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك فى سنة وله اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب فى منازل الاحباب عن أبى العباس على تردد فى أنه لابن الدمينة

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر   والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر   ٦٠ (قوله) وفى عبده يحكى اسندوا كه الى آخره وذلك ان الرجل تعز

المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها
وصورتها مشاكلا لطبعه فتحرك
نفسه وتنبعث همته من أول
نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد
حبه لها وان جلس حتى يراها
صار الذى به أضعاف ما كان فان
نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها
ووقع فى أسر حبالها ودخل فى
عداد العاشقين وهذا مما يؤيد
قول من ذهب الى ان العشق
اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد
وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه
حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى
اللهم الا فيما ندر كما تقدم فى ذكر
النسوة اللاتى رأين يوسف عليه
السلام فتنّ من أول نظرة وكان
يقال النظر من المحب موت
عاجل ومن المحبوب سهم قاتل
وكان يقال رب عشق غرس من
لحظه وحرب جنى من لفظه وكان
يقال من أطلق طرفه كثر أسفه
وكان يقال من كثرت لحظاته دامت
حسراته (وقال اعرابى) العشق
نبت بذره النظر وماؤه المزاورة
ونماؤه الوصل وقتله الهجر
وحصاده التجنى (وقال الصورى)
غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته
واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى اينعت شجراته
وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدنى من الصبر عازبا
عليك وتستدعى من النوم نازحا

(وقال الاصمعى) كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس   وكيف
فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها

وفى عروة العذرى ان مت أسوة * وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما قد نابه غير اننى * الى أجل لم يأتنى وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما * بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

(ومنها)

لقد عنيتنى يا حب ابقى * فقسم اما بموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة * منغصة لهاطعم الشتات
وقال الآمرون تعز عنها * فقلت ولا اذا حانت وفاتى

(ومنها)

فما وجدت وجدى بها ام واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

(ومنها)

لو ان امرأ اخفى الهوى عن ضميره * لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح * بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها)

عفا سرف من أهله فشوارع * فجنبا أريك فالبلاد الدواقع
فبكة فالاخياف أخياف طيبة * بها من لبينى مخرف فمرابع
لعل لبينى ان يحم لقاؤها * ببعض بلادى ان ما حم واقع
بجذع من الوادى خلا عن أنيسه * عفا وتخطته العيون الخوادع
ولما بدا منها الفراق كما بدا * بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبينا لك والمنى * تعاصيك احيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه * ولا ذى هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا * لبين كما شق الاديم الصوانع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذى * أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
وانك لو أبلغتها قيلى اسلمى * طوت حزنا وارفض منها المدامع
أتبكى على لبنى وأنت تركتها * وكنت كآت غيه وهو طائع
فلا تبكين فى اثرها ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لامر حاول الله جمعه * مشتت ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تقنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرنى اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى * ام أنت امرؤ ناسى الحياء فجازع
فما انا ان بانت سليمى بهاجع * اذا ما استقلت بالنيام المضاجع

وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير في الدنيا اذا لم تزورنا * ابيني ولم يجمع لنا الشمل جامع
اليست لبيني تحت سقف يكنها * واياى هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطا تحت رجليها بساطا وبعضه * اطأ برجلي ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسى بخير وان يكن * بها الحدث العادى ترعنى الروائع
كانك بدع لم ترا الناس قبلها * ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت ابكي والنوى لا أظنه * بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
واهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
فوا كبدى من شدة الشوق والاسى * ووا كبدى انى الى الله راجع
واعجل للاشفاق حتى يشفنى * مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للارض التي من ورائكم * لترجعنى يوما اليك الرواجع
فياقلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذى أنت واقع
لعمرى لمن أمسى وأنت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهارى نهار الوالهين صبابة * وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وانما * تقسم بين الهالكين المصارع

وهذان البيتان في غير رواية ابي على

ولولا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كأنها * شقائق برق في السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى بالليل والهم جامع
اذا ما انقضت عنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتبرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منتك نفسك خاليا * تلاقى ولا كل الذى أنت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الطيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع
أراك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولو شئت لم تجنح اليك الاصابع
كان بلاد الله ما لم تكن بها * وان كان فيها الناس قفر بلاقع

أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فأنشأت تقول
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر
ثم نظر اليها اعرابي وقال أما والله من قل صبره وأنشد
أوحشية العينين أين لك الاهل * أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فانني * أراك من الفردوس ان فتش الاصل
فقى خبرينا ما طعمت وما الذى * شربت ومن أين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل
(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب السحر الكلامى والبدر السامى فكأنى بها وقد ذكرت له الاهل ووصفت من حيها وحدها الحزن والسهل هنالك يأتيها سعيا على الرأس لا سعيا على القدم وتكون وجناتها أحب اليه من حمر النعم وينشد
أريني مكان البدر ان افل البدر * وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
فقيك من الشمس المنيرة ضوءها * وليس لها منك التبسم والثغر
(حكى) انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين
...ماعبادالله منى * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا * وأوله شبيه بالمزاح
قالت وفي هذا دليل على ان العين هي التي تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهي لما كانت العين رائده ومحبة القلب زائده وجدته لها لذة النظر وهذا لها لذة الظفر كانا في الهوى شريكى عنان

ألا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع
احال على الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع على الفجائع
فمن كان محزونا غداة فراقنا * مذ الآن فليبك لما هو واقع

وقد انتهت اخباره كما وجدت وكأنى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدران الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى أما تقدم هذه الاربعة فقد علم واما ذكرهذا هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن احوال العشاق انه رأس أهل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب اوقعه فى هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكوران سلطان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد أشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن ليلى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكر قيس بوصفه * وبهجتها لبنى أمت وأمت

لا يقال قد افرد غيره بالذكر أيضا الا ان اساليب فائق كلامه وأفانين سطاوى نظامه تجل عن ان تنال الابشق الانفس والله يؤتى فضله من يشاء فان قوله وان كنت ليلى ان قلبى عامر * ونحوه ليس نحويها بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الارفع ومثل بالامثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وأرفع فى مقاساة الغرام وأنعم وفيه تلميح بما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة

(أخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر أو مهدى او الاقرع أو معاذ او قيس ابنه أو ابن الملوح أو البحترى بن الجعد والصحيح الاول لاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى او كلابى أو جعدى أو قشيرى أو المجانين متعددة وهما اثنان فى بنى عامر اولم يكن أحد وانما امرؤ تعشق واستكبر عن ان يصرح باسمه واسم محبوبه فتفوه بالجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم يزله الهزال والجنون وتغير اللون الا من العشق وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك فى شعره كثيرا نحو قوله

وفى سى رهان فلما وقعا فى السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجانى الطرفه الجانى
تمتعتما يا مقلتى بنظرة * وأوردتما قلبى اشر الموارد ٦٢ أعينى كفا عن فؤادى فانه من البغى سعى اثنين فى قتل واحد
وقال أبو الطيب المتنبى
وأنا الذى اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل
(وقول الآخر)
عوقب قلبى وجنى ناظرى
وربما عوقب من لا جنى
وقول الآخر
نظر العيون الى العيون هو الذى
جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه
حتى تشحط بينهن قتيلا
وقول الآخر
يامن يرى سقمى يزيد
وعلى أعيت طبيبى
لا تعجبن فهكذا
تجنى العيون على القلوب
(وقال ابن مدرك)
جرحت بلحظى خد الحبيب
فطالب المقلة الفاعله
ولكنه اقتص من مهجتى
كذلك الديات على العاقله
فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت فى الانكار عليه فقالت يالعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم ألم يصل الخبر الذى شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلنى فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فمن ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعمالك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى تـكاد

الابصار ولكن تعمى القلوب فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت في الحال انا ما بين عدوين * هما قلبي وطرفي يتطير الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

(وقال آخر)

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا
تبكي وأنت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه
بل أنت حملتني الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد
قطعتماني بما لاقيتما قطعا

(وقال آخر)

عاتبت قلبي لما
رأيت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي
وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي
بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا
تركتماني قتيلا

قلت فكانا كما تقول العامة قفا بين صفاعين وما أحسن قول الآخر

فوالله ما أدري أنفسي ألومها
على الحب أم عيني القريحة أم قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت
وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي
فيا رب كن عونا لي على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذي يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الخبر عن سيد البشر لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وأمرتني وصرفتني والا فانا لم أكن اتحرك ولا افعل شيأ بدونك فتقول الروح له وانت الذي اكلت وشربت وتمتعت فانت الذي تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى يمشي دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى

تكاد بلاد الله يا أم مالك * بما رحبت يوما علي تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت على قبر الملوح ناقتي * بذي السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كوني عقيرا فانني * غداة غد ماش وبالامس راكبه
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لابد شاربه

وروي باسقاط هاء السكت وحذف البيت الآخر وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وأنشد

أأعقر من جرا كرائم ناقتي * ووصلي مقرون بوصل منازل
اذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن * اذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا وكرائم يعني من أجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروي ووصلي مفضول أي دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفي النزهة

اذا جاء قعقعن الحلي ولم يكن * اذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد أظهرن صوت الحلي حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة أو الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وانشد في ذلك

اذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له ما دمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدي في السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل في الاصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تأكلن قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته

للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كامر وانها كانت مغرمة باحاديث الناس والاشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فقد داخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما انتشا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فلما بلغا حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا فيقبل الحب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون اقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به أعظم ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خير حب صادق ليس يكذب
الا انما أبقيت يا أم مالك * صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره فقال لها الا تحمليه على ما تقول الناس فلم يردوا وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل أبوها مع انه دونهم لما مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختار ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا * خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي مناديا * ولا برما اذا حث القتار
يهرول في الصغير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار
فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وأبصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عسرا فتطير وأنشد

وكيف يرجي وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل اعسر حاسر
صريع العصا جدب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن لا ابصر شيأ فقال المقعد تعال فاحملني فانت تمشي وانا اتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك انتما

(فصل في ذكر سحر الجفون ونبل العيون)

فمن ذلك قول بشار وهو اغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فاجابا

قال وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

(وانشد) صاحب المرقص والمطرب

لولم أمت بالحظ قال العذل ماقيمة السيف الذي لا يقتل

(وقال ابن سهل الاشبيلي) في مطلع موشحه

الحاظها للقتل في كرها وفي نصيب
ترمي وكلي مقتل وكلها سهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

بأبي اهيف اذا رمت منه * لثم ثغر يصدني عن مرامي قد حمى خده بسور عذار * مقلنا ما أضحت عليه مرامي وشكا

(فصل في وصف العيون الضيقة وغيرها) وقال ابن النبيه يصف طرفه التركي ضيق * صدقتم ان ضيق العين بخل (وقال أيضا

من يق الترك اين العطف قاسي الـقلب سهل انلداع صعب المراسي ضيق العين وهو من صفة البخـل فان جاد كان ضد القياس
جذب القوس فا كنت وجنتاه * ثوب ورد طرازه من آس ٦٥ ورمى عن قوسين سهمين هذا * فى فؤادى وذاك فى القرطاس

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هـذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته وصرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتفطر فانشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفى رواية وكل مظهر فى الناس وبعده

وأسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذى اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاء فى رواية * وقد تغرى بذى اللحظ الظنون *

وبعده وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما فى الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

اظن هواها تاركى بمضلة * من الارض لا مال لدى ولا أهل
ولا أحـد افضى اليـه وصيتى * ولا صاحب الا المطية والرحـل
محا حبها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفى رواية ولا وارث الا المطية والاولى أصح وأنسب لان المطيـة لا ترث وتستصحب كما جاء فى كلام العرب

ان الجار مع الجار مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك ان الصحبة فى الاصل بمجرد الاجتماع وأماشدة المخالطة والمـداخلة فصداقة (وخرج يوما) فى سـفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسـلكين أحدهـما يمر برهط ليلى ولـكنه يزيد مرحلة فتقـدم الى القوم وسألهم ان يسلكوه أو يمكثوا له حتى يرجع فابوا عليـه فقال أنشدكم الله لو ان شخصا يحرم بكم فضل بعيره اكنتم تسعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وأنشد

أأترك ليـلى ليس بينى وبينها * سوى ليـلة انى اذن لصبور
هبونى امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخـبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسـن حاله فى العشق وأنشد

عجبت لعروة العذرى امسى * احاديثا لقوم بعد قوم
وعـروة مات موتا مستريحا * وها انا ذا أموت كل يوم

ولما اشـتهر امرهما فى العرب وشاع شعره فيها منعه اهلها الزيارة وكان فى حى ليلى امرأة من بنى عامر قـد تزوجها رجل من قريش ومات عنها وقـد تركها صبية فـكان يأتيها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى فبلغ اهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فاخبرته فانشد

(وقال ابن قرناص)
علقته تتريا
يشجى القلوب بينه
لا يرتجى الجود منه
بالوصل من ضيق عينه
(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)
بهت العذول وقد رأى الحاظه
تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى
هذى مضايق لست ادخل فيها
(وقال الشيخ صفى الدين الحلى)
لى متهم رشا اذا غازلته
كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع
عند اللقاء نهاه طرف ضيق
(حكى) الخرائطى عن بعض العلويين قال بينما انا واقف على الحسن ابن هانئ وهو ينشد
ويلى على نجل العيو
ن النهد الضمر البطون
الناطقات على الضمير
لنا بألسنة الجفون
فوقف عليه أعرابى ومعه ابن له فقال أعد على فاعاد عليه فقال يا ابن اخى اويلك انت وحدك من هذا ويلى انا وانت وويل ابى هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراتنا كلهم (وقال سبط التعاويذى)
بين السيوف وعينيه مشاركة
من اجلها قيل للاغماد اجفان
(وقال رشيد الدين الفارقى)
٩ تر ل ن فى عينك معنى * حدث الترجس عنه ابت لى من غضه سهـما فى قلبى منه (وقال محمد بن العفيف التلمسانى) لحاظك اسياف ذكور فالها * كما زعموا مثل الارامل تغزل (وله أيضا) يا عاشقين حاذروا *

متمثلا ببيت امرئ القيس وضم اليه ثانياله

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فلا تزجريني عنك خيفة كاشح * اذا قال شرا أو أخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتي غفلات الحي فلما علموا بذلك شكوه الى مروان فكتب الى عامله بهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك فانشد

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها * على يمينا جاهدا لا أزورها

واوعدني فيها رجال ابوهم * أبي وأبوها خشنت لي صدورها

على غير شئ غير اني أحبها * وان فؤادي عند ليلى سيرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقا ادى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا ادى الى سقمها فحج بها اهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فاجابوا بعدان ردوا جماعة وغى الى المجنون ذلك فانشد

الا ان ليلى العامرية اصبحت * تقطع الا من ثقيب حبالها

هم حبسوها محبس البدن وابتغى * بها المال اقوام ألا قل مالها

اذا ما التفت والعيس صفر من البرى * من العين جلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الاخبار وفي رواية الا ان ليلى العامرية اصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هذا البيت وفي رواية الأغاني لقد حبسوها محبس البدن وفي أخرى بعده

خليلي هل من حيلة تعلمانها * فيدنى بها تكليم ليلى احتيالها

فان انتما لم تعلماها فلستما * باول باغ حاجة لا ينالها

كان مع الركب الذين اغتدوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها

نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى * تحث باطراف الصارم آلها

بمهلة الاجفان هيج شوقها * مجامعة الآلاف ثم زآلها

اذا التفتت من خلفها وهي تعتلي * على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها انشد

دعوت الهي دعوة ماجهلتها * وربي بما تخفي الصدور خبير

لئن كان يهدى برد انيابها العلا * لا فقر مني انني لفقير

فقد شاعت الاخبار ان قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

وجعل يرى بيتها فلا ينظر اليه فانشد

الا ايها البيت الذي لا ازوره * وان حله شخص الي حبيب

هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا * وفيك على الدهر منك رقيب

سأستعتب الايام فيك لعلها * بيوم سرور في الزمان تؤب

صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل في كل قلب

وسيف لحاظه يهوى النزالا

يرى قتل المحب بلا دليل

ولاسيما اذا ابدى الدلالا

اذا استقبلت سيف اللحظ منه

رأيت الموت من ماضيه سالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو

كغصن البان في خضر البرود

باطراف من المناجر

والحاظ كبيض الهند سود

(وقلت أيضا من قصيد)

آلت لواحظه على اهل الهوى

ان لا ترى قتلا بغير مهند

يرنو اوصارم لحظه في جفنه

ماضي الغرار ولم يمس باغد

فاذا تجرد للمحب فلا تسل

عن سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت أيضا من قصيدة)

غزال غزاني باللحاظ لانه

اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم

تكلمني الحاظه بسيوفها

ولم ترقبلي ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها

ولكن لها من عادة الجفن غامد

تجردها والدمع كالنيل سائح

فانثني الاوصحان جامد

(وقلت أيضا من قصيد)

يرنو الي بعين نون حاجبها * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان امير حسن من الاتراك حاجبه * وافردت

على المحب له في مصر سلطان غزت لواحظه في أهل مصر كما * غزا الانام بأرض الشام غازان واما الجور فقد اختلف

الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين ام كبرت

وأفردت افراد الطريد وباعدت * بي النفس حاجات وهن قريب

ائن حال واش دون ليلى لربما * أتى اليأس دون الامر فهو عصيب

ومنيتني حتى اذا ما رأيتني * على شرف للناظرين يريب

صددت وأشمت العدو بصرمنا * اثابك يا ليلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما قاله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك في النزهة واقره في تسريح الناظر غيرانه قال في الثاني والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفي رواية هنا * بيوم سرور وفي الزمان تشوب * والمعنى واحد وبقي ابيات من هذه القصيدة اخرتها الان لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفي انشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح

قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

فلا في الليل نالت ما ترجى * ولا في الصبح كان لها براح

وفي تسريح الناظر عن الامالي قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بني الثقفي بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين في احياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دورا والجنون دورا وهم يردون كل متنزه ويعرضون عليه من بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه وقد ذهب فركب ابن عم له في طلبه فرآه عنده شرعة وبين يديه ظبية لاحر الشبها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي هذا ما في تسريح الناظر زاد في نزهة المشتاق انه كان ينشد

اياشبه ليلى لا تخافين انني * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لتمر بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق مما يلي حي ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الهمول الدوامع * غداة دعا بالبين اسفع نازع

شحاه نعيا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع

فقلت الا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع

سقيت سماما من غراب فانني * تبينت ما أخبرت اذ هو واقع

الم تر أني لا محب الومه * ولا يبدل بعدهم انا قانع

الم تر دار الحي في رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع

وقد يتنائ الالف من بعد صحبة * ويصدع ما بين الخليلين صادع

وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع

كأني غداة البين ميت حوية * اخوظما سدت عليه المشارع

يخلص من أوصال ما صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع

وقال أبو عمرو الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وابو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الا مع شدة سوادها لان بياضها مع الزرقة ليس هنا لك في النقاء وقد أكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة في العين يمن (وقال بعض العرب) احبك ان قالوا بعينك زرقة كذا اعتاق الطير زرق عيونها ومن هنا أخذ العبدي قوله حين قال له معاويه انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازي ازرق

* (الباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان) *

اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لوني المحبين اذا وقعت العين في العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجز الى اين وقد نصت الاطباء على السبب في ذلك وجعلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سوادكل حالك وانا اورد هنا ما قالوه بنصه واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان بأحسن بيان واوضح تبيان هذا مع ما يجري في ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع حب السمان

وبيض تطلى بالعبير كانها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الاراك وأومضت * لهن باطراف العيون المراتع
فابحت ربع الدار حتى تشابهت * هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حلن الحور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى * عبير ومسك بالعرانين رادع
اشرن بان حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لافح الظل مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد * جناهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع
البدر ليلى بابواب الخدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة وهو أبوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

الا أيها القلب الذي لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد آن * لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فمالك مسلوب العزاء كانما * ترى نأي ليلى مغرما انت غارمه
اجدك لا ينسيك ليلى ملمة * تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فخادثوه في السلو فزاد في الهيام ولما عوفي جعل يعاود مواضعها ويتمرغ في التراب ويبكي الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجعه ابن عم له في ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل ويشاغله الى أن بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها افتضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيما على غير استحقاق فانشدتك الله اصادق هو في وصفي أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سوالك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من اعطانيه وقالت لها جارتها ومن اعطاكيه قالت قيس فخرج هائما وانشد

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها * قالت سقى الله منه منزلا خربا
قالت لجارتها يوما تسائلها * لما استحمت والقت عندها السلبا
يا حبذا راكبا كنا نرشح له * يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله الا قلت صادقة * اصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل انما كان خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء ان يسكن ما به فزاغ واختشى قومه ان يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحي وحذرنا الموت أولى وخرج على وجهه * وعن الهذلي عن رجل من بني عامر وهو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت اثر

من الشعور والارداف في الطويل العريض واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعتري المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فأقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) سبب اصفرار وجه العاشق الذرع فان الدم لا يأوي مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فيحمل الدم وتلطفه فيظهر في أرق مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه المحاجر من النفود فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يدون تلونه من رقته قال الشاعر

حمرة خلطا صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقالوا حمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة لونه يولدها الفزع والبؤس الغم والسقم واما احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت والخمره الاحمر واجود الذهب احمره وافضل العسل الذهبي والياقوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لوان لي حمر النعم ولوان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد والشقائق والجلنار واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغة القرمز واحسن

صفاه

سماء اربعنابها وأحييت الارض بعد الجدب فبينا أنا بوادى القرى أو الغيل اذ لاح لى شخص الى جانب حجر يبكى فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم أنشد الابيات التى وعدنا بها وهى تمام القصيدة التى أولها الا أيها البيت وقيل انه أنشد القصيدة كاملة فى هذا الوقت وفى النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهى

بجرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتىّ غروب
وماذاك الا حين ايقنت انه * يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فياساكنى أكناف نخلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار فى أرض عامر * الى كل مهجور هناك غريب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى * الىّ وان لم آته لحبيب *
ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلط عقله ومزق ما عليه وتوحش جاءت أمه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اماتهارا فتعذر خيفة أهلى وسآتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذى فسلمت عليه ثم قالت له

أخبرت انك من أجلى جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان فى الحين

زاد عليهما فى نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمى * وكيف تسهر عينى لم تلومينى

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوما فشكيت اليها ما نزل بى من حبها وقلت ان لم ترحمينى ذهب عقلى فقالت هو المطلوب ففهمت لمرادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على انها كانت من الغرام به والميل اليه أيضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد أريد الشام فاصابنى مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لى فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية فدخلت وقد أقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببنى الحريش وفى رواية ببنى

الحمراء الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك اباعتبة لانه كان من أحسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه متلهبه كما كنى النبىّ صلى الله عليه وسلم ابا المهلب اباصفرة لصفرة كانت فى وجهه ويقال فى المثل كأن وجهه النار وكأن فى وجنته الجمر وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران وأهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وماطلى * بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب ابن عبد الله ما رأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(وأما قول الشاعر)

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة لطول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب (قال اعرابى)

كأن لون البيض فى الادحى * وما تسلت عن صفراء حالية * كالعاج صفرها الا كنان والطيب (وقال آخر)

لونك لولا صفرة الجادى

يريد انها تتضمخ بالجادى وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء

جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت اتعرف رجلا قيم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت اى والله سرت مع أبيه حتى أوقفنى عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى اغمى عليها فقلت لم تبكين ولم اقل الا خيرا فقالت أنا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة أو المواسية له ثم أنشدت

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه فى حمله الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغيا لها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد ابعد الرفاق فتنفس الصعداء وانشد

أأن هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعد ماغلت الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغنى الضحى والصبح فى مرجحنة * كثاف الاعالى تحتها الماء حائر
كأن لم يكن بالغيل او بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاء تحاضر
يقول زياد اذ رأى الحى هجروا * ارى الحى قد ساروا فهل انت سائر
وانى وان غال التقدم حاجتى * ملم على اوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت ان يارب اول سؤالتى * لنفسى ليلى ثم انت حسيبها
فان اعط ليلى فى حياتى لايتب * الى الله خلق توبة لا اتوبها

فزجره ابوه عن ذلك وامره ان يدعو الله ان ينسيه ذكرها واخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسنى ذكرها وامح من قلبى حبها فقال اللهم اجمعنى بها وارزقنى حبها وزدنى بها كلفا وفيها تلفا وانشد مكملا للابيات السابقة

يقر لعينى قربها ويزيدنى * بها عجبا من كان عندى يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلى * بأول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على نفسى العزاء فقيل لى * من الآن فاياس لا اعزك من صبر
اذا بان من تهوى واصبح نائيا * فلا شئ اجدى من سلوك فى القبر

تتلون تلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشاء صفراء (قال الشاعر) بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالبهار

(وقال بشار بن برد) تخذى محاسن زينة * ومعصفرات من أنفر فاذا بلغنا قادمنى * فى الحمرات الحسن أحمر

وقال الحريرى فى درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمار منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا اسودا
فاعلم بأن هناك موتا أحمرا

واحسن زينة النساء فى أجسادهن الخضاب ولذلك اطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك (قال أبو نواس فيه)

يا قمرا أبصرت فى مأتم
يندب شجوا بين اتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعناب

(وقال ابن عكاشة)

من كف جارية كأن بنانها
من فضة قد طوقت عنابا

(وما أحسن قول الواوا الدمشقى)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزبانى قال لى ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل اغمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب وقال أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ماترك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال انا ابن ناجية من أهل الشام (وانشدنى)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * ودارع
بدت بين ثوبى نرجس وشقائق * حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكانما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه * وليلى بارض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل بقمات بعشب البرحتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى اقواما وارضا ينكرها فيقول اين جبل توباد من بنى عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له اين انت من توباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلونى عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضى حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

واجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى
واذريت دمع العين لما عرفته * ونادى باعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له اين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب امان
فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لابكى اليوم من حذرى غدا * فراقك والحيان مؤتلفان
سجالا وتهتانا ووبلا وديمة * وسحا وتسجالا وتنهملان

وعن فتى من قيس أوهو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كامر مررت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد هم أن يلقى نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجنى على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكنت روعه ففعلت فجعل يسألنى عن موضع موضع و يبكى أحر بكاء ثم أنشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وارواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعرى عن عوير ضتى قبا * اطول الليالى قد تغير بابعدى
وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن اقحوان الرمل ماهو صانع * اذا هو اثرى ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة * تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضن الدهر افنان لمتى * على لاحق المتنين منذلق الوخد

ومر يوما على جبلى نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فأى الرياح تهب منه

فقلت اسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحرا فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء فى هذا الوقت يا بغيض ثم انصرف (وقال المتنبى)

قالت وقد رأت اصفرارى من به
وتنهدت فأجبتها المتنهد
(اخذه الآخر فقال)
قالت لترب معها منكرة
لو فقى هذا الذى نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن
(وقال ابن النبيه)
وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة
يزرق عيون السمر يحمى احورارها
(وقال) عماد الدين ابن دبوقا من ابيات
ارى العقد فى ثغره محكما
يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها
رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا احمرا
على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بغى الهوى
لاجلك يا طلعة المشترى
(وقلت انا من قصيد)
لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو
ولا ثغر الادون تقبيله ثغر
ولا بيض الا اسود حظى عندها
ولا سمر الادون أعطافها السمر
(وقال بدر الدين بن المحدث)
بصفر لونى حين انظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما اراه ينحنى
(حكى) عن ابى أيوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف اقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف

قالوا الصبا لخاف لا يبرح من مكانه حتى تهب فضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فاقاموا معه حتى هبت فانشد

ايا جبلي نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص الى نسيمها
اجد بردها او تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال في النزهة بعد ذكره هذه الابيات ان ابا الفرج بن الجوزي تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فاقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فابت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وانشد ايا جبلي نعمان الابيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فمضين فاخبرنه فراسلها فاجابت فتزوج بها ومر يوما بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها ان تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فارسلت امرأة فامنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لاتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وانشد

اقول لاصحابي هي الشمس ضوءها * قريب ولكن في تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة * على كبدي من طيب ارواحها برد
فما زلت مغشيا علي وقد مضت * أناة ولا عندي جواب ولا رد
اقلب بالايدي واهلي تعولني * يفدونني لو يستطيعون ان يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لي ان دام ما بي ولا جلد
أدنياي مالي في انقطاعي وغربتي * اليك ثوابا منك دين ولا نقد
عديني بنفسي انت وعدا فربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلي قوم ولا كبليتي * ولا مثل وجدي في الشقاء بكم وجد
غزتني جنود الحب من كل جانب * اذا حان من جند قفول اتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما احسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وانما نعني غيرها فقال ما رأيت شيأ غيرها وذكرتها الا سقط من عيني الاظبيا رأيته يوما فذكرت ليلى فزاد في عيني حسنا فانطلقت اعدو خلفه حتى كلت رجلاي وغاب عن عيني فاخذت راحتي ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فاخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشققت بطنه واخرجت ما أكل فضممته الى ما بقي من الظبي ودفنته وانشد

ابى الله ان يبقى لحي بشاشة * فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا
رأيت غزالا يرتعي وسط روضة * فقلت ارى ليلى تراءت لنا ظهرا

قال تؤخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هذا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما انا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناي واطعم الشيء اليسير واساهر فامنع من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الصيد وحدي فاطير اليه وآخذه وأجيء الى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما والله لو رأيت بازيين في سفود ما عدت اليهم ابدا وانا في كل يوم ارى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم اسوأ حالا مني عند طلبه لكم (قلت) والذي هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصغر منه حتى اذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ امواله وتركه في اسوأ حالة (حكي) انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل أدهن من أبي أيوب وما افاده ذلك شيأ لانه فعل به ما فعل وقابله بما ليس لهيه قبل

(فصل في التفضيل بين البيض والسود والسمر ذوات النهود)

وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون في الغالب والناس فيما يعشقون مذاهب

(فما قيل في تفضيل السمر)

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكنني اعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في * يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

(وقال علي بن الجهم)

وعاتب السمر من جهله * بمفضل للبيض ذي محك
قولوا له دعنا ما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

(قال أبو جعفر الشطرنجي)

فيا ظبي

اشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده لاشك اذلونكما واحد * أنكما من طينة واحده (وقال الشريف الرضى

فى تفضيل السود) احبك يالون السواد فاننى * رأيتك فى العينين والقلب توأما وما كان سهم العين لولا سوادها *

ليبلغ حبات القلوب اذارمى

اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلاتلم

جنونى على الظبى الذى كله لما

(وقال مسلمة)

لام العواذل فى سوداء فاحمة

كأنها فى سواد القلب تمثال

وهام بالخال أقوام وما علموا

انى أهيم بشخص كله خال

(وقال ابن رشيق)

دعابك الحسن فاستجيبى

يامسك فى صبغة وطيب

تيهى على البيض واستطيلى

تيه شباب على مشيب

ولا يرعك اسود اللون

كقلة الشادن الربيب

(وقال آخر)

وان سواد العين فى العين نورها *

وما لبياض العين نور فيعلم

(وقد ذكرت) بقية ماقيل فى هذا النوع من المقاطيع الحسان فى الكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله * وأما ماقيل فى تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكره شاهد او يعدّ الى مساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ماينون عليه امرهم ذمه (قال كشاجم)

يامن بهانى فعله لونه

لم تعد ما أوجبت القسمه

خالك من خالك مستخرج *

 والظلم مشتق من الظلمه وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع

مذموم * عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر) وأنت التى حببت كل قصيرة * الى ولم تشعر بذاك القصائر

فياظبى كل رغداً هنيئاً ولا تخف * فانك لى جار ولا ترهب الدهرا

وعندى لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا اعملته احسن الهبرا

فما راعنى الا ذئيب قد انتحى * فاعلق فى احشائه الناب والظفرا

فبوّأت سهمى فى كتوم غمزتها * فخالط سهمى مهجة الذئب والنحرا

فاذهب غيظى قتله وشفى جوى * بقلبى ان الحر قد يدرك الوطرا

واجتمع اليه النساء يوماً فقلن له اما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ايرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر احدانا فقال لو ملكت انفعلت ولكنى مغلوب فقلن ما أعجبك منها قال كل شئ رأيته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

خود اذا ذكر الكرام رأيتها * تحمى الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه انى قاصد حى ليلى فهل عندك شئ تقوله لها قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكنى امنيها

منيتك النفس حتى قد اضربها * وابصرت خلفا مما امنيها

وساعة منك الهوها ولو قصرت * اشهى الىّ من الدنيا ومافيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت خيامها فلما امكنتنى الفرصة انشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشى عليها ثم قالت ابلغه عنى السلام وانشده

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ماقضاه الله فيك على * مرارة فى اصطبارى عنك اخفيها

قال الرجل فلما بلغته ذلك بكى حتى غشى عليه ثم افاق وهو يقول عجبت لعروة العذرى البيتين السابقين فى صدر القصة ولما أيس اهله منه وخالط الوحوش احذوا يحتالون على اصلاحه فقال ابوه يوماً لشخص اريد ان تقربه فتذكره ليلى ولكن عندها وانها تذكره كثيراً فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنتقصه فعساه يداخله كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فانشد

تمر الصبا صفحاً بساكن ذى الغضى * ويصدع قلبى ان يهب هبوبها

اذا هبت الريح الشمال فانما * جوابى بما يهدى الى جنوبها

قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها

وحسب الليالى ان طرحنك مطرحا * بدار قلى تمسى وانت غريبها

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا * هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر في الاصل وانكر في النزهة ذلك وقال ان ابا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر أن الذي امر الرجل بذلك زياد بن كعب احد بني عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما اتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم ومازج الاعضاء قيل فما يغني حبك اياها وهي مريضة وانت لاتعودها فتنفس الصعداء وانشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا الذي يغني وانت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فانني * على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان او عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لاخذ اموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه قد تولع بحب امرأة فسيرته هكذا قال فتقدمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت أن يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له أتريد أن أزوجك بها قال أويمكن ذلك قلت نعم فقال يا ابن جميل لو أن أهل الارض شكروا لمعي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه بوعد منه الى يوم يجتمع اهم فهم ليأخذه فأخبروه باعداد السلطان دمه نصرفه وقيل هموا بقتاله نصرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك لما استعرفه من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطلبا لاخبار المجنون جامعا الاشعاره وأنه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له وراء اراكة بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصمد نوفل الشجرة مختفيا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخان للمجنون داية يألفها وانما تحمل له الطعام والخبز احيانا فيأكل منها ولو صحبتها لامكن أن تظفر به ففعل فهرب المجنون منهما فرجع وأخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره اخبرني عن أعظم رائحة وأقوى لذة وأشد حافر على الارض وقد امهلتك ثلاثا فان لم تجب جلالتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد تحدث قصرا فتوسطا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بابيها استعطفته حتى أخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز وأعظم الاشياء لذة الجماع وأشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها انما تخبريني عن تعليل ذلك والا ضربت عنقك فانك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصري منفتح للاهوية فلم أجد من لدن

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر والبحاتر هن القصار الغلاظ (وقال بعض السلف) جعل الله البهاء والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك * وما اظرف قول الشريف الناسخ

واحربا من هوى قصيرة * في الارض منها الف الف قامه
اذا رنا الى الخلف طرفها

قال القاضي كاتب السلامه وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدى محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره

(فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه)

(قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم يعرف سببه ومن أحسن ما قيل في الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الحظيري

يقول لي حين وافى * قد دنت ما ترتجيه فالقلب قد جا * خفقه به تريه قطنت
فقلت وهو لعمري * والقلب يرقص فيه (ومثله قول الآخر) لاتنكروا خفقان قلبي والحبيب لدى حاضر

قطنت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يضرك بجدار القصر من شئ غير البغال وأما الجماع فانى أخذته من شدة آلم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن اليه والرأى عندى ان تصنع خبزا وتجعله فى طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف ابعد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنسا قال الرجل فضيت وعملت برأى الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه حتى اذا أقبل وجئته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشم بن وسرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة

أتبكى على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول

فما حسن أن يأتى الامر طائعا * وتجزع أن داعى الصبابة أجزعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
واذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن يصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا
معى كل غر قد عصى عاذلاته * بوصل الغوانى من لدن أن ترعرعا
اذا راح يمشى فى الرداءين أسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله

يادار ليلى بسقط الحى قد درست * الا الثمام والا موقد النار
ابلى عظامك بعد اللحم ذكركما * كما يحت قدح الشوحط البارى
ماتقتؤا الدهر من ليلى تموت كذا * فى موقف وقفته أو على دارى

فرفع رأسه وقال من أنت حياك الله فقلت له نوفل أخبرنى ما صنعت بعدى فانشد الاجيبت ليلى الابيات ثم أخذ يقاوضنى فى الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعد قات وفى النزهة انه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وحكى ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا فى التراب أورده آخر القصة على النمط السابق فى غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما أن يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وأنشد

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالى من طريف وتالد
فيا بائعى شبها لليلى قتلتما * وجنبتما ما ناله كل عابد
فلو كنتما حرين مابعتما فتى * شبيها لليلى بيعة المتزايد
واعتقتماها رغبة فى ثوابها * ولم ترغبا فى ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين أخوه وابن عمه وانه أنشدهما معرضا بجهلهما

ياأخوى اللذين اليوم قد أخذا * شبيها لليلى بحبل ثم غلاها

ما القلب الادارة * دقت له فيها البشائر (وما احسن قول ابن سناء الملك)
اهان على ما ألقى برهطك * ملكت الخافقين فتهت عجبا وليس هما سوى قلبي وقرطك

اما والله لولا خوف سخطك *
(وقال معين الدين)
لم انسه اذ قال ابن تحانى
حذرا على من الخيال الطارق
فأجبت فى قلبى فقال تعجبا
ارأيت عمرك ساكنا فى خافق
(وقال آخر)
وبكت قلبا خافقا
ياساكنا فى غير ساكن
(وقال الطغرائى)
مرض النسيم وصح والداء الذى
اشكوه لايرجى له افراق
هذا خفوق البرق والداء الذى
ضمت عليه جوانحى خفاق
(اورد) ابن الابار فى تحفة القادم
قول ابن تقى من أبيات
حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته شيأ وكان معانقى
ابعدته عن اضلع تشتاقه
كى لاينام على وساد خافق
ثم قال نسب بعض أهل عصرنا
ابن تقى الى الجفاء فى قوله ابعدته
عن اضلع تشتاقه ولو قال
ابعدت عنه اضالعا اشتاقه
لكان أحسن ثم ذكر بعد هاجما
فضل به على قول ابن تقى المذكور
قول ابن الحكم جعفر بن عثمان
ان كان لابد من رقاد
فأضلعى هاك عن وسادى
ونم على خفقها هادئا
كالطفل فى هزة المهاد
(وقال) ابن الاثير فى المثل السائر
فى ابيات ابن تقى المذكور وهذا
من الحسن والملاحة بالمكان
الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله اقرت
الابصار بفضل الاسماع وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر فى الرد على ابن تقى * اتانى زائرا فحكى الهلالا

انى أرى اليوم فى أعطاف ذاتكما * مشابها أشبهت ليلى خلاها

وانه عرض عليهما القتل حين أبيا اقلاتهما لانه كان أجلد منهما وفى رواية فداها بقلوص ولما ذهبت تعدو أنشد أياشبه ليلى الابيات وزاد هنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك رقيق

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفى احداها ياصاحبى اللذات وهو أسلم من الزحاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره وأما ما قيل من أنه مر بزوج ليلى وهو فى حى بنى عامر عند ابن عم له يصطلى فوقف على رأسه وأنشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أوقبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى * رفيف الاقحوانة فى نداها

فقال أما اذ حلفتنى فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وما قيل ايضا من أن أبا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبى ليلى ليقترض منه سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحى فملأ وعاءه فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى غرقت ارجلهما وانها جاءت ليلة اخرى يستقبسها نارا فخرجت اليه بقصبة فكان يتحدث معها ويقطع من برد عليه يغلف به النار وكلما احترقت قطعة اخذ اخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كقصة غيره ومثل ذلك ما قيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيرى او لسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم فى حب ليلى * بفى وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ما قدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به او الرجل من بنى جعدة او مرة او هو الصباح بن عامر الكنانى أقوال فسأل أهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الا صديقا له يذهب اليه فى كل يوم يكتب ما يقول من الاشعار ويأتيه بطعام فمضى اليه وسأله الحيلة فى الاجتماع عليه فقال له اقصده فى موضع كذا فستجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث باصابعه فيه فاذا رآك اخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد ما يحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ما تريد منه فمضى الرجل يقتفى أثره حتى وجده على ما وصف له فأمر به قال رحم الله قيسا حيث يقول

تبيت وتضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكى عليه القبائل

قتيل للبنى صدع الحب قلبه * وفى الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث اقول

سلبت عظامى لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتخصر

وأخليتها من مخها وكأنها * قوارير فى اجوافها الريح تصفر

وأتبعه صدودا واستطالا * فقالت له تعود فقال لالا * دوام الوصل يورثك الملالا * (الباب السادس فى ذكر الغيرة وما فيها من الغيرة وفرع من ذلك الجزء)* أقول هذا باب عقد تمامه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه والمحبون فيها نوعات والمضروبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويتم به للعاشق سؤله والثانى مذموم وصاحبه ملوم فالنوع المحبوب منها أن يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدى الى فساد المودة والحكايات فى هذا الباب مشهورة (وقد روى) عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التى يحبها الله أن تكون فى ريبة والغيرة التى يكرهها الغيرة فى غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذى يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى فى اذاه ومساخطه ويستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لاحد أن يدعى محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت واقل الاحوال ان يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط فى حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث

اذا

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر

خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني * بي الضر الاتى اتستر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة وانشدت قول قيس

تبادر أم تروح غدا رداحا * ولن يستطيع مرتهن براحا

سقيم لا يصاب له دواء * اصاب الحب مقلته فباحا

وعذبه الهوى حتى براه * كما ألقيت بالسفن القداحا

فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو أسقاه ذلك لاستراحا

فقال انا اشعر منه حيث اقول

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق * لساقيه من ثقل الحديد كبول

قليل الموالي مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأعظم مني روعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت أحسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبني * بعلمك في لبنى وانت خبير

فان أنت لم تخبر بشيء علمته * فلا طرت الا والجناح كسير

ودرت بأعداء حبيبك بينهم * كما قد تراني بالحبيب ادور

وفي رواية ابن الاعرابي

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * بخير كما خبرت بالنأي والشر

وخبرت أن قد جد بين وقربوا * جمالا لبين مثقلات من الغدر

وهجت قذى عين للبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجرى

وقالت لذلك الدهر ما زال فاجعا * صدقت وهل شيء يباق على الدهر

فقال له المجنون أحسن والله ولكني اشعر منه حيث اقول * كان القلب البيتين فاهملته حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس ايضا حيث يقول * واني لافني دمع عيني بالبكا * الابيات السابقة في قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا أشعر منه حيث أقول

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح

تناءيت عني حين لا لي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده كتب ما يقول الى ان اطلبته فوجدته بين احجار ميتا وفي رواية أن هذا الرجل لم يجتمع به واخرى رآه ميتا محمولا قد دلت عليه دايته وانه لم يكتب اشعارا الا من عند صديقه المقدم ذكره وبالجملة فحل الاجماع أنه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بني جعدة وسعد والحريش وحضر أبو ليلى فاظهر جزعا شديدا

يعد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشيء الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين أن يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما اسكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومن ائمة الطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره قال القشيري قيل لبعضهم أتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه أيضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها أن يعفى عنه وأن يعد ذلك من شطحاته المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه اللهم اني أسئلك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال انزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شيء من ذلك فلاموه فانشد يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها *

وتنصل واعتذر بأنه لم يعلم ان امره يفضى الى هذه الحالة ولو يعلم لاستقل العار وتوجه ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوبا فيها

ألا ايها الشيخ الذى ما بنا يرضى * شقيت ولا هنيت من عيشك الخفضا
شقيت كما اشقيتنى وتركتنى * اهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
كأن فؤادى فى مخالب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الارض حلقة خاتم * على فما تزداد طولا ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت * كأنك عما قد اظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله اشعار كثيرة بلا اسباب من محاسنها قوله

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها

تقول العدا لابارك الله فى العدا * تقاصر عن ليلى ورثت رسائله
ولو أصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديدا اوائله

ومنها

فلو تلتقى فى الموت روحى وروحها * ومن بين رمسينا من الارض منكب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال فى النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة فى ليلى الاخيلية

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

اقول وفحوى الكلام ان قول المجنون ابلغ لان تلاقى روحى ميتين اعظم فى جانب المبالغة من تلاقى حى وميت وكلام توبة من الثانى ويمكن نقل هذا الى مبحث حكمى وعكس كلام صاحب النزهة فقد اجمعت الحكماء بل واصحاب الشرع بان استلذاذ الارواح وادراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية اشد واقوى فتأمله

ومنها

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها * بابوابه حيث استجار رجالها
لمست ثيابى ان قدرت ثيابها * ولم يثننى عن مسهن حرامها
ولو شهدتنى حين تأتى منيتى * جلا سكرات الموت عنى ابتسامها

ومنها

اقول لالف ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بربك أخبرنى ألم تأتم التى * اضر بجسمى من زمان خيالها

ولم يأنفوا من انفت لهم منى وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزوره مثله وقد ماتت خضاها على ترك الصلاة فقال لى انى لا أرى نفسى أهلا ان ادخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الآدميين فللناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سماع انه فى الدرب

اغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم جفاتها * ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير فى المثل السائر) سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغار اذا آنست فى الحى أنة

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول ابى الطيب المتنبى

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

والمتنبى أخذه من قول العباس ابن الاحنف

لم الق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسدتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانى بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا

ومنهم من يلحق فى الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال البحترى

انى لاحسد ناظرى عليكا * حتى اغض اذا نظرت اليكا
واراك تخطر فى شمائلك التى * هى فتنتى فاغار منك عليكا

ولو استطعت منعت ادطك غيرة * كى لا أراه مقبلا شفتيكا

فقال

خلص الهوى لك واصطفتك مودتى * حتى اغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه

من ازاره ولبس ازاره أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ماضم محسود قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة
وهي ما حكي عن الحسن بن زيد امير المدينة انه قال يوما لابي السائب وكان قد حمله وكساه فكان
يركب معه في موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فانشده الامير * أرى الازار على ليلى البيت فقال له ابو السائب بأبي انت وامي من الذي قال هذا البيت فقال قيس فتخلف ابو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذي ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبي قضيب في كثيب
تشارك فيه ابن والدماج
اغار اذا دنت من فيه كاس
على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه
على بدر يقابله سراج

أخذه المتنبي فقال في ممدوحه

اغار من الزجاجة حين تجري
على شفة الامير ابى حسين

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما تخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسي من اغار عليه مني
وأحسده مقلة تطرت اليه
ولو أني قدرت طمست عنه
عيون الناس من حذري عليه * حبيب بث في جسمي هواه وامسك مهجتي رهنا لديه * فروحي عنده والجسم خالي
بلا روح وقلبي في يديه (وقال أيضا) اغار عليك من قلبي * وانا أعطيتني املي واشفق ان ارى خديك نصب مواقع القبل

فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى في الحياة تنالها
فقلت ولم املك سوابق عبرة * سريع الى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها واقالها * وان كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة ان يسعى الوشاة بظنة * واحرسكم ان يستريب مريب
لقد جعلت نفسي وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عندك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر مني ما حييت نصيب
اما والذي يبلو السرائر كلها * ويعلم ما تبدي به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفي النفس خله * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها

الا ليت ليلى اطفأت حرزفرة * اعالجها لا استطيع لها ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا
على كبد قد كاد يبدي بها الهوى * ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا
واني عماني الهوى منجد النوى * سبيلان الفي من خلافهما جهدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا
بلى انه قد كان للعيش مدة * وللعيس والركبان منزلة حمدا
ابى القلب ان ينفك من ذكر نسوة * رقاق لم يخلقن شوها ولا نكدا
اذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالالحاظ أنفسنا عمدا
مشاء عطلات رجح بخصورها * روادف وعثات ترد الخطا ردا
وتهتز ليلى العامرية اذ مشت * ولاثت بثوب القز ذا غدر جعدا
اذا حرك المدرى ضفائرها العلا * مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

ومنها

ابى القلب الا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وتنبت في أطرافها لورق الخضر

ومنها وقد ضعف فؤاده الناس ولم تعد ليلى فانشد

الا ما لليلى لا ترى عند مضجعي * بليل ولا يجري بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
ازالك عن العهد الذي كان بيننا * بذي الايك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحة * ولا البعد يسليني ولا انا صابر
ووالله ما أدري باية حيلة * وأي مرام اوخطار اخاطر

وتالله ان الدهر فرق ذات بيننا * على انها في كل حال لجائر
فلو كنت اذ أزمعت هجري تركت لي * جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أبى بعقل عشيرة * وبالردم أيام جناها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا * أماني نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد كدرت يا ام مالك * حياتي وساقتني اليك المقادر

ومنها

فوا كبدي من حب من لا يحبني * ومن زفرات ما لهن فناء
أريتك ان لم أعطك الحب عن يد * ولم يك عندي اذ أبيت اباء
أتاركتي للموت أنت فميت * وما للنفوس الخائفات بقاء

ومنها

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

ومنها

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانتم شغلي
وأرى جليسي اذ يحدثني * أن قد فهمت وعندكم عقلي

ومنها

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى * لاخرى سواها اكثرت أم اقلت

ومنها

ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
عليّ أليةً ان كنت أدري * أينقص حب ليلى أم يزيد

ومنها

باويح من أمسى تخلس عقله * فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت * روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلج بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد أطراف البنان المخضب

(وقال الآخر) يامن اذا ذكر اسمه في مجلس * ملأ الحديث به وطاب المجلس * اني لمن تطرى اغار وانني * بك عن سواك من الانام لانفس
ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري * ربما سرني صدودك عمدا
وطلابيك وامتناعك عني
حذرا ان اكون مفتاح غيري
فاذا ما خلوت كنت التمني
(وقال اخر)
ولما رمت باللحظ غيري حسبتها
كما اثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لارجوان تدوم بعهدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب
(وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول)
فلوا ضحى على تلفي مصرا
اقلت معه بي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني
اغار عليك منك فكيف مني
ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي
واست بواصف يوما حبيبا
اعرضه لاهواء الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري
ودون وصاله ستر الحجال
وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوف له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة ان يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصي وقد افردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن في سنة ستين وسبعمائة وهو في سرياقوس
وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولي ذيل الارض ربما يرى ان ديك الجن المذكور من جملة

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

(ومنها)

وانى لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا
اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

(ومنها)

ألا ياحمام الايك مالك باكيا * أفارقت الفا أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

(ومنها)

القد غردت فى جنح ليل حمامة * على الفها تبكى وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

(ومنها)

اذا قربت دارى كلفت وان نأت * اسفت فلا بالقرب اسلو ولا البعد
وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد
ففى كل حب لا محالة فرحة * وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال فى النزهة من الاشعار التى قيلت على الاوهام قال لما حضروا به فى مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذى فى النوم ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له فى ذلك فحلف ان ليلى كانت الى جانبه فى هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسبح ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

(ومنها)

لئن نزحت دار بليلى لربما * غنينا بخير والزمان جميع
وفى النفس من شوقى اليك حرارة * وفى القلب من وجدى عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهى اطول قصيدة انشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهى من محاسن الاشعار وأرقها لفظا واعذبها سبكا وألطفها شجوا وأبلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس فى الاقتصار على بعضها والاستيفاء منها اختلاف كثير احسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا * وايام لا اعدى على الدهر عاديا
ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهانى وما كنت لاهيا
فياليل كم من حاجة لى مهمة * اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا
خليلى الا تبكيا لى التمس * خليلا اذا أنزفت دمعى بكى ليا

جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشى ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما فى مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البرنية المجعولة من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

ياطلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
واجلت سيفى فى مجال خناقها
ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وماوطئ الثرى
شئ اعز على من نعليها
ما كان قتلتها لانى لم أكن
ابكى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواى بحسنها
وانفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قبل البرنية المجعولة من رماده وملأ منها قدحه وبكى وانشد قوله فيه

أشفقت ان يرد الزمان بغدره
اوأبتلى بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنه
لبليتى وأثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة
ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم
والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده
بالحى منه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره

(اقول) هذا الذى يقال له المجنون

١١ تز ل فنون فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من ارق الناس شعرا واكثرهم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله فى الدعاء على المحبوب كيف الدعاء على من خان اوظلما * ومالكى ظالم فى كل ماحكما

لا واخذ الله من اهوى بجفونه * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما (اقول) صار الطالب مطلوبا وهذا القلب المقلوب ما كلما انفعل بالاسباب ما لا تفعله الكلاب ٨٢ حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفونه ويمزج رقة شعره بقسوته فهو فى الخفة والطيش وقتل المحبوب لا فى ايش ولا على ايش فمن غلب عليه هواه كما تراه فعل بمحبوبه ما فعل واقام ضربه بالسيف مقام القبل

احبابه لم تفعلون بقلبه
ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها فى الباب الاول من كتابى مرآة العقول * ومما ينخرط فى سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ أثير الدين ابو حيان فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ونقل عن العزيز أنه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو أنه كان مع ندمائه المختصين به فى مجلس انسه وجاريته تغنى من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث حتى أتى برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك (قلت) لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ومثل هذا ايضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية الثمن وهى بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت ان يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادى قبلنى

فما أشرف الايفاع الا صبابة * ولا انشد الاشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
لحى الله اقواما يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد * ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها * واعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى امل مكانيا
سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا
بثمرين لاحت نار ليلى وصحبتى * بذات الغضا ترجى المطى النواجيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدا فى سواد الليل من ذى يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا
خليلى لا والله لا املك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
وخبرتمانى ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فلو ان واش باليمامة داره * ودارى باعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا احسن الله حالهم * من الحظ فى تصريم ليلى حباليا
وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا
فيا رب سو الحب بينى وبينها * يكون كفافا لا على ولا ليا
فما طلع النجم الذى يهتدى به * ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بدا ليا
ولا سميت عندى لها من سمية * من الناس الا بل دمعى ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بت للريح حانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * على فلن تحموا على القوافيا
فاشهد عند الله انى احبها * فهذا لها عندى فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق منى والغرام قضى ليا
وان الذى املت يا أم مالك * اشاب فويدى واستهام فؤاديا
اعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا اعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلنى * احدث عنك النفس بالليل خاليا
ارانى اذا صليت يممت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
وما بى اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى اعيى الطبيب المداويا
احب من الاسماء ما وافق اسمها * واشبهه او كان منه مدانيا

وقذف في نهر لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت)
قد استراح والله من هذا الصداع كله * وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

خليلي ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لي بليلى او فمن ذا لها ليا
لعمري لقد ابكيتني يا حمامة الـ * عقيق وابكيت العيون البواكيا
خليلي ما ارجو من العيش بعدما * ارى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم انني * سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم ار مثلينا خليلي صبابة * اشد على رغم الاعادي تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
واني لاستحييك أن تعرض المنى * بوصلك او ان تعرضي في المنى ليا
يقول أناس عل مجنون عامر * يروم سلوا قلت أنى لما بيا
بي اليأس اوداء الهيام اصابني * فاياك عني لا يكن بك ما بيا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا
اذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
فانت التي ان شئت اشقيت عيشتي * وانت التي ان شئت انعمت باليا
وانت التي ما من صديق ولا عدى * يرى نضو ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على أن أزورها * ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا
اذا سرت في الارض الفضاء رايتني * أصانع رحلي أن يميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
واني لأستغشي وما بي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
هي السحر الا أن للسحر رقية * واني لا ألقى لها الدهر راقيا
اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت * لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحب الينا بطن نعمان واديا
ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما * علي الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتماني وسط صحبي ولم اكن * أبالي دموع العين لو كنت خاليا
ويا أيها القمريتان تجاوبا * بلحنيكما ثم اسجعا علانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا باطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعري ما لليلى وماليا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى * الى من تشيها أو لمن انت واشيا
لئن ظعن الاحباب يا أم مالك * فما ظعن الحب الذي في فؤاديا
فيا رب اذ صيرت ليلى هي المنى * فزني بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الي واهلها * فاني بليلى قد لقيت الدواهيا

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد
يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما ألفتها
فان حبيبي من احب حبيبي
وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة
اقود بحمد الله لا عن كراهة
وغيري قواد على رغم انفه
وما احسن قول ابي الحسين الجزار
قلت لما سكب السا
قي على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا
وقال نور الدين الاسعردي واحسن ما شاء
تميل الريح بالاغصان لطفا
كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينهم من بعد بعد
واوراق الغصون لها ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي
فهل ابصرت قوادا يغار

(الباب السابع في افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان)

اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجده اذ للمحبين فيهما مذهبان فمنهم من اباح اباحته ورأى في افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانة فحل من مراتب الحب في اعز مكانه حيث قال

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي
نعم من الناس من كتمه فأراه كتمانه عدمه ومنهم من افشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبعد دمع زائد

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا

خليلى ان ضنوا بليلى فقربا * لى النعش والاكفان واستغفرا ليا

(أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن فى العشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أومن العذريين واشتدة مقاساته فى العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذرى البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدى اذ مات حسرة * عشية بانت من حبائله هند

ولا عروة العذرى اذ طال وجده * بعفراء حتى شفه هجيته الوجد

كوجدى غداة البين عند التقائها * وقد طار عنها بين أترابها البرد

(وقال آخر)

وقبلك مات من وجد بهند * أخو نهد وصاحبه جميل

وعروة والمرقش هام دهرا * بأسماء فلم يشف الغليل

قتيل الريح من قبل الغوانى * فلا قود ولا يودى قتيل

(وقال جرير)

هل أنت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ما وجدا

ما فى فؤادى من داء يخامره * الا التى لو رآها راهب سجدا

ان الشفاء وان ضنت بنائله * قرع البشام الذى تجلو به البردا

الى غير ذلك * وعفراء هى بنت هصر أخى حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال فى تسريح النواظر ان سبب عشقه لها أن أباه حزاما توفى ولعروة من العمر أربع سنين وكفله هصر أبو عفراء فانتشأ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحاج فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار خز أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فانشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب

فما هو الا أن أراها فجاءة * فأبهت حتى ما يكاد يجيب

فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان أبرأتنى لطبيب

فما بى من حمى ولا مس جنة * ولكن عمى الحميرى كذوب

لا ينجو غريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الأخطر وسيفين لا بد من قتله باحدهما على الصحيح الأشهر كما قال شهاب الدين السهروردى المقتول بحلب وارحمتا للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح بالسر ان باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح واذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح والذى أراه فى ذلك كله وتمييز وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل ويح بالسر ان فى أهلها وايالك فى غيرهم ان تبوحا وقد ظرف ابو جعفر الشطرنجى حيث قال قل لمن شئت انى بك مغرم ثم دعه يروضه ابليس وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء الحب سره الى المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من السحر (قلت) بل هو السحر كله ومعظمه وجله وقد عرف ذلك من جربه واذبه الحب وهذبه * وعلى هذا حكاية احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد أن زوجه بها الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر أمرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى * فصاح ونادى اننى غير فاعل

فان لم تصلنى جئت بالسر عنوة * وان عنفتنى فى هواك عواذلى

وان كان موت لا أموت بغصتى * وأقررت قبل الموت انك قاتلى

فقالت منهما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها *وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى الاخبار ٨٥ متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيرى فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين
ما أحسن الفرقة للعين
لم آر فى الحب ولوعاته
أوجع من فرقة الفين

فقال لى الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدى فكتب على الارض بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت استاره
والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هواك مجاهرا
فألذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكنا ففطنت فريدة فقالت يا سيدى علمت ما أنتما فيه فامنن على امتك بقبولها فقال الواثق قد دفعت خديجة اليك يا عريب فأخذت يدها فما ملكت نفسه حتى انصرف من خلفى مسرعا خلفها وامر لى بألف دينار *ومنهم من لا يجرى ذكر العشق على لسانه البته ويسكت حتى كان به السكته ولم أر فى ذلك مما يتنافس فيه المتنافس احسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة
عليهم بمن أصبو اليه واهواه
ولو قلت انى عاشق فطنوا به * اعلمهم ان ليس يعشق الا هو

ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية *مكتوبا بالغالية

عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول * على ما به عود هناك صليب
وما عجبى موت المحبين فى الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد فى ذلك الموقف سوى البيتين الاولين وأما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله وما عفراء منك قريب فانه أنشده حين أتى به الى الطبيب وسبب ذلك أنه حين وصل الحى أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على أى ناقة حملت الشعب يعنى قرب الماء فقال على العفراء فأغمى عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعنى كاهنا له قرين من الجن يعرّفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كلاء مولى لبنى يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت اذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسكبته فى ذلك الماء ودفنته فى فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس أنشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فأنشد الابيات الآتية فى نونيته وهى قوله جعلت لعراف اليمامة وأما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى وبى من جوى الاحزان فعلى الاصح كما فى النزهة انه من هذا الشعر وقيل أنشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف أن صاحب القصة غيره وان صح ابن عساكر خلافه ولما أيس من الشفاء عرض بين اهله زمانا حتى شاع اتحاله فى العرب مثلا وان ابن ابى عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها انضو الغطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فأنشد جعلت لعراف اليمامة حكمه الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احملونى الى البلقاء فانى ارجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مظان مرورها عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة قال انت احق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق فى قومه فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة حتى لقى عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم أن لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفى بوادى القرى دون منازل قومه وقيل وصلها الروايه ابن العاص قال استعملنى عمر رضى الله عنه فى جباية

كل يوم أذوب من ألم الشوق * وقلبي من الصدود قريح لم اجد خلوة اليك فاشكو * ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كأنه لحد قبر * ذم اعضاه ميت فيه روح ٨٦ وفي البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى
الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي ان
لا يعلم به خلا ولا صديقا ما وجد الى
ذلك طريقا كما قيل
يا موقدا لنار الهابا على كبدى
اليك اشكو الذى بي لا الى احد
اليك أشكو الذى بي من هوى الشقد
طلبت غيرك للشكوى فلم اجد
وقال الاحوص
لعمرك ما استودعت سرى وسرها
سوانا حذارا ان تضيع السرائر
ومن ظريف) ما مر بي في هذا الباب
ان بعض العشاق انشد يوما محبوبته
قول الشاعر
سرى وسرك لم يشعر به احد
الا الاله والا انت ثم أنا
فقالت له لا تنس القوادة فانها
لابد أن تدرى سرنا وتطلع على
امرنا * ومن احسن ما سمعته في ذم
مفشى السر قول الحسين بن بشر
لحى الله امرأ اودعك سرا
لتكتمه ونض الله فاه
فانك بالذى استودعت منه
انم من الزجاج بما حواه
قلت وما يبعد ان يكون المتصف
بهذه الصفة من ذرية القائل
وما كتم الاسرار لكن اذيعها
ولا اترك الاسرار تغلى على قلبي
وان قليل العقل من بات ليله
تقلبه الاسرار جنبا على جنب
واين هذا من قول القائل
وقائلة ما بال جسمك لا يرى
سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * بلحو جسمي بالهوى ليس يعلم * ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت وقول
في جواريها بعروة بن اذينة وهو يغنى فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عامر انك تزعم انك لم تعشق قط

صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها
شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتروح ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت
لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها
قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن
الجميل فهل تأذن لي أن اخرج الى قبره فأندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت
حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخبون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقى الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحى أنشد رجل منهم عند
بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل أهله * بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى أربعة والباقى لعفراء وهذا غير صحيح
لان القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقى الفتيان * فلا هنئ
الفتيان بعدك غادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت أنثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا
وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحبل والغيبة الا بتأويل لا يليق بفصاحة
العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من
انها منعت المجىء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان أو معاوية وان الذى شهده الحاكم
أحدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة ثم
حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عدانى أن أزورك يا خليلى * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدر الناس كلهم اللحود
فلا طابت لى الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لى العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا
فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أى ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما
الناس في ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيه عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

كيف وانت تقول قالت وابثثتها سري فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر الست تبصر من حولي فقلت لها
غطى هواك وما ألقى على بصري وقالت كل ما ترى حولي من الجوار احرار ان كان هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فخالت صروف الدهر فافترقا
فصار ذا في يد تحويه ليس له * منها براح وهذا في الفلاة لقا
حتى اذا ذويا يوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد في اربابها فغدا * كل على الفه في الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف في اللفظ والمعنى ويحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذي عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفي الا على الناقد فانه لم يحصل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعني الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعني معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم في قضاء الوطر وأما الثاني فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفي عروة بن حزام على ما ذكر الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت في كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقه ومعان أنيقه وهي هذه

خليلي من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الاجر عندي واجملا * فانكما بي اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فذراني
أفي كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
وعيناي ما وافيت نشزا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
الا فاحملاني بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعاني
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فياواشيي عفراء ويحكما بمن * وما والى من جئتما تشيان
بمن لو أراه غائبا لفديته * ومن لو رآني غائبا لفداني
فياواشيي عفرا دعاني ونظرة * تقر بها عيناي ثم زماني
أغركما مني قميص لبسته * جديدا وبرداعنة زهياني
متى تكشفا عني القميص تبينا * بي الضر من عفراء ياقتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدي من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدي بها تكفان

(حكي) عن احمد بن ابي عثمان الكاتب انه كان صديقا لابي الفضل عبد الغفار الانصاري فعشق احمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصاري فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لي طبيبا
لشكاتي فضل علم الطبيب
ودوائي واصل دائي لديها
في يدي شادن غرير ربيب
خبر وها بان نعمى دوائي
كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسألت عن قصته فلما وقفت عليها وهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضع السري فافسدت علي والمفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال ابو العلاء المعري

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوي الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان ادفنت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته في كتمان السر قول النابغة) وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فعفراء أرجى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى
أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * ودانيت فيها غير ما متدانى
اذا رام قلبى هجرها حال دونه * شفيعان من قلبى لها جدلان
اذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا * جميعا على الرأى الذى يريان
فيارب أنت المستعان على الذى * تحملت من عفراء منذ زمان
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيان
فيقضى حبيب من حبيب لبانة * ويرعاهما ربى فلا يريان
فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر فى غير ريبة * خليان نرعى القفر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى فى الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلوننى * أشوق عراقى وانت يمانى
تحملت من عفراء ماليس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيانى
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما ألتاثها ببنان
معى صاحبا صدق اذا ملت ميلة * وكان بدفى نضوتى عدلانى
فياعم ياذا الغدر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
وأورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا ياغرابى دمنة الدار بينا * أبالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى أكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى

فانى رأيت وشاة الرجال لا يتركون اديما صحيحا وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه أمرا
كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلمته لانى كنت اضيق منه
صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر اضيق

(وقال آخر)

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس افشى واضيع

(وقال ابو جعفر الشطرنجى)

فلا تخبر بسرك بل امته
وصيره من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا
ولا اغلقت مثل الصدر بابا

(وحكى) الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت ستره
فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى واحسن ماشاء

وما السر فى قلبى كميت بحفرة
لانى ارى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأننى
من الدهر يوما ما احطت به خبرا

(وقال آخر)

ياذا الذى اودعنى سره
لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى
كأنه مامر فى اذنى

(وقال بشار)

لا تخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به احد

(وقال طلحة بن ابى بكر) لا تظهرن محبة لحبيب * فترى بعينك منه كل عجيب اظهرت يوما للحبيب مودتى
فأخذت من هجرانه بنصيب

ولا

ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
الا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضه * أحاذره من شؤمه لاتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى اننى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصانا بنا تخدان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فيا عم لا أسقيت من ذى قرابة * بلالا فقد زلت بك القدمان
ومنيتنى عفراء حتى رجوتها * وشاع الذى منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخلقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم أتبع الاظعان فى رونق الضحى * ورحلى على نهاضة الذبان
لعفراء اذ فى الدهر والناس غرة * اذا خلقان بالصبى يسرانى
لادنو من بيضاء خفاقة الحشى * بنية ذى قاروروة شنآن
كان وشاحيها اذا ما ارتديتهما * وقامت عنانا مهرة سلسان
وليس بأبدان لها ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتنى * وحزن ألح العين بالهملان
وعينان ما وافت نشرا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالى القطوف اذا ونى * بسبحان من يعصى به حذران
فيا لكما من حاديين كسيتما * سرابيل مغلاة من القطران
وما لكما من حاديين رميتما * بحمى وطاعون ألا تقفان
فويلى على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا لا حيث يلتقيان
لو أن أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة أشتكى * لاضعف وجدى فوق ما يجدان
فقد تركتنى ما أعى لمحدث * حديثا وان ناجيته ونجانى

قيل أسر رجل الى رجل حديثا ثم قال أفهمت قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضى الفاضل وأمت الاسرار فى قلبك والحد دونها فى جنبك فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند ربك (ووصف اعرابى قوما) فقال سيوفهم آفات الاعمار وصدورهم قبور الاسرار وما أحسن قول ابن مماتى من أبيات

وضاق على السجن حتى كأننى
حللت به للضيق فى صدر محنق
فيا ليتنى كالدمع فى جفن عاشق
فاخرج او كالسر فى صدر أحمق

(وقال العباس بن الاحنف)

باح دمعى فليس يكتم سرا
ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى
فاستدلوا عليه بالعنوان

(الباب الثامن فى مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب فى نفسه والحاق لومه بأمسه وهو من أعظم الابواب حشوه واكثرها رشوه وأحسنها اختراعا وأكثرها خداعا وأبلغها خطابه وأكثرها اصابه وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده ويحسن عند اهل الانشاء انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال ويجارى برقة ألفاظه الجريال فمن ذلك وهو من أحسن ما سمعته فى مغالطة الحبيب (ومثله قول الآخر)

ياأيها القائل فينا * فالى كم ياحبيبى * فجعل الشك يقينا * قم بنا يانور عينى ل تز ١٢
هل لك ياهند فى الذى زعموا * ونم واش بنا فقلت لها * ويحك ان الوشاة قد علموا * مؤانس لا انس قولها بى

قالت لماذا ترى فقلت لها * كى لا تضيع الظنون والتهم (وقال العباس بن الاحنف) كأن لم يكن بينى وبينكم هوى
ولم يك موصولا بحبلكم حبلى ٩٠ وانى لاستحيى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والملل (وقال آخر)
نسبت الى ذنب ولم آت مذنبا
وحملتنى فى الحب ما لا أطيقه
وما طلبى للوصل حرصا على البقا
ولكنه أجر اليك أسوقه
(قلت) ما يرضى يروح سواء بسواء
حتى يسوق اليه الاجر ايضا
(ومما قلته أنا فى هذا المعنى)
لم أطلب الوصل من أجلى فديتك يا
من زاد حظى سوادا منه شامات
لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشا
يقتص لى منك والدنيا مكافات
(وقال آخر)
قد أكثر الناس أنواع الحديث بنا
وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم
وصادق ليس يدرى انه صدقا
(وقال آخر)
ياسيدى عندك لى مظلمه
فاستفت فيها ابن ابى خيثمه
فانه يرويه عن جده
وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى
نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
اما تخاف الله فينا فمه
(وقال جميل)
وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا
سوى ان يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
(قلت) هكذا رأيته فى غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعنى ان قافية فى
البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبه والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك

وقد تركت عفراء قلبى كأنه * جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليلى خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنين وليس بشرط أن يكونا موجودين فقد جرت عادة العرب بذلك حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصيغة لاثنين اما اجرى مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذى كانت به كما سبق فى الحكاية ويروى الى حاضر الروحاء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التى لم تدعه يشد كور الناقة ويروى نواخسة السرى ومهوارة أى عجلة تبلغ المآرب وقوله بين لو أراه البيت كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شئ وقوله متى تكشفا ويروى بدله متى ترفعا والاول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه وقوله اذا تريا جواب متى وروى بدله تعرفا والاول ألطف وقوله كأن قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال * قطاة غرها شرك فباتت * البيت وهذا من السرقات العامة التى تتفاوت بحسب الاختلاس والتظرف ومعنى هذا انه شبه كبده فى شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص وأما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم أن ابن الاثير ألف كتابا سماه أعمدة المعانى للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اخترع معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال فى هذا الموضع ان المجنون تظرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك وأما أنا فأقول ان قول عروة أبلغ لان الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق اليه أبلغ ولان حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوى هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما فى كلماتهم اذ المحبوبة حينئذ الروح الحيوانى قوله عراف اليمامة قد سبقت قصته والعراف فى الاصل الكاهن واستعمله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة وما ألثا ما يعنى ماردتها وهى كناية عن شدة المرض وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره وقوله فلو أن واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولو ان واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اتى ليا

وهى سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حيث الايهام لان قوله أحاذره من شؤمه يحتمل أن يكون ولو بأقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة وأما حضرموت واليمامة فكلاهما فى اقليم واحد فلا يعظم مجئ الواشى

(أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو نهدى من بنى الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر فى الانساب أربعون نفسا هذا وفى النزهة انه عذرى وليس كذلك ولكن بينه وبينهم حيث لا ترى العصا وذلك دون خمس جدود وقال

فى كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها مالم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك قالوا قطع النسب ورميت العصا وكان عبدالله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال فى بلغة الاشفاق فى ذكر أيام العشاق وهو جزء لطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق فى العشق ان عبدالله هذا أقل العشاق اياما عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلى ضرب به المثل كما ضرب بعروة فمما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند

ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

فقوله النهدى اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا فى أبيات سبقت فى قصته وقوله على هند متعلق بوجدى فليحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحترى

هوى لا جميل فى بثينة ناله * بمثلى ولا عبد بن عجلان فى هند

وهند هى بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدى يتصل مع عبدالله فى النسب قال فى الطرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فعجز وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيجاوزها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها

أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت * بقلبى ولو أسطيع ردا رددتها

ثم قال هذه والله الضالة التى لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقا له فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهما ثمان سنين وانها أقامت على ذلك لم تحمل وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه يوما ان عبدالله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وارسل اليه يدعوه وقد جلس مع أكابر الحى فمنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لت وأظن انك فاعل قال فى النزهة وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا وأخبرت هندا انها ستطلق فأبى عبدالله الا الخروج

كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق اى محب لغير ريبة (وقال ابن رواحة الحموى) ان كان يرضيك قتلى * فزد من الهجر فى عذابى 91 عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب (حكى) ان بعضهم أنشد شابا كان يحبه ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد وأقول للرحمن هذا قاتلى فقال له الشاب أقول هذا أراد ان يفتكى فما مكنته (وقال ابن سنا الملك) من رسالة وأنا والله فى أمرك مغلوب والسبب انى أنا المحب وأنت المحبوب ولا أتجالد عليك فأغرك وأخون حبك ولا أتصنع عليك فأغشك وانم قلبك اعمل ما شئت فأنا الصابر واقتل كيف شئت فأنا الشاكر وقل فلى سمع يعشق قولك والتفت فر آمالى ترفرف حولك فافعل فأنت المعذور واستطل فما أنا المضرور بل المسرور وارجع الى الود الذى بيننا فكل ذنب لك مغفور (وقال أيضا) وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك ويلح عذبك ويصرف قلبك ويجعلك ثانى عطفك ويغريك على القلى

لست على هجرك جلد القوى

ولا على عتبك شاكى السلاح

(وقال ابن السوادى) الشاعر المشهور

أشكو اليك ومن صدودك أشتكى

وأظن من شغفى بأنك منصفى

وأصد عنك مخافة من ان يرى

منك الصدود فيشتفى من يشتفى

(وحكى القاضى) أبو عمر محمد بن يوسف الازدى قال كنت أساير أبا بكر محمد بن داود الاصفهانى ببغداد واذا بجارية تغنى من شعره أشكو اليك فؤادا انت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله سقم يزيد على الايام كثرته * وأنت فى عظم ما ألقى تقلله الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وأنت يا قاتلى ظلما تحلله فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات

سارت به الركبان (وقال أبو عبد الله) قلبي عليك أرق من خديكا * وقواي أوهى من قوى جفنيكا لم لا ترق لمن تعذب قلبه ظلما ويعطفه هواه عليكا (وقال أبو العلاء المعري) ٩٢ لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

(وقال ابن سنا الملك)

وغانية لم تعد عشرين حجة

أقول لها قولا لديه صواب

عليك زكاة فاجعليها وصالنا

فعمرك في العشرين وهي نصاب

(وقال ناصر الدين بن النقيب)

لقد وجبت عليك زكاة حسن

وفيه كمثل ما في المال حق

فلا تعدل به عني فاني

لمصرفه الفقير المستحق

وقال القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

لولم أكن في رتبة أرعى لها ال

عهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت ستري في هواك ولذلي

خلع العذار ولج فيك مؤنبي

لكن خشيت بأن تقول عواذلي

قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

(وقال آخر)

حجبي عليك اذا خلوت كثيرة

واذا حضرت فانني مخصوم

لا أستطيع اقول انت ظلمتني

الله يعلم انني مظلوم

(وقال المكرم)

الناس قد أثموا فينا بظنهم

وصدقوا بالذي أدري وتدرينا

ماذا يضرك في تصديق ظنهم

بأن نحقق ما فينا يقولونا

حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة

بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

(وقال المتنبي)

زودينا من حسن وجهك ما دا

م فحسن الوجوه حال تحول وصلينا بوصلك الا نفي الدنـ* ـيا فان المقام فيها قليل (أقول) هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير وليته أراح واستراح وترك التهكم بالوجوه تحدثنا

فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فاثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فاقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحيى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد أن يقضي معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها

فالعين تذرف دمعها * كالدر من آماقها

متحلبا فوق الردا * فتجول في رقراقها

خود رداح طفلة * ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذ حديثها * وأسر عند عناقها

ان كنت ساقية بيز * ل الادم أو بحقاقها

فاسقي بني نهد اذا * شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف ألـ * ـحقها غداة لحاقها

بأسنة زرق متى * ن القوم حدرقاقها

حتى ترى قصد القنا * والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هندا وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره أبوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج سرا حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي ابلاله فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا الشاة ويرفعوا قلبها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال أما لشاتكم قلب فقال له أخوه أعاشق أنت ولم تدر فتأوه ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما ومد بها صوته فمات وهي

ألا ان هندا أصبحت منك محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه * يقلب بالكفين قوسا واسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل حملت منه فخرج هاربا وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه فكوي وبرئ فقدم أبو سفيان أو هو غيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات في الطريق وقيل هي بعض الابيات المغيرة في أسماء آنهشلية والصحيح ان أبيات المغيرة هذه

الملاح على ان التلعفري اقتدى به في التهكم بأحبابه (فقال دو بيت) يا دار لربع الصبر مني مهدوم
ما ان يرى لغائب الوصل قدوم خف ربك في العشاق وارفق بهم * ٩٣ ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي * أحاديث طسم انما كنت حالما
ألا أصبحت أسماء حجرا محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقي وعادني طربي * من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها * أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا بلغا هندا سلامي وان نأت * فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقف ساعة * بأنعم من أهل الديار تطوّف
أتت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب القطا أوهن منهن ألطف
يباكرن مرّات خليا وداده * ذكيا وبالايدي مدال ومسوف
أشارت الينا في حياء وراعها * مراة الضحى مني على الحي موقف
وقال تباعد يا ابن عم فانني * منيت بذي صول يغار ويعنف

ومنها

خليلي زورا قبل شحط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة * أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا
ومرّا عليها بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

(أخبار ذي الرمة وصاحبته مي)

هو غيلان بن عقبة بن عمرو الكناني القحطاني أو هو سعدي وقيل ابن عقبة بن بهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل في عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعيرا لشخص بالحبل الذي في عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطي الشيء جميعه وبالكسر العظام البالية وسمي بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل في عنقه وعلى عاتقه الحبل أو انه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق ومي هي بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني أحد ملوك العرب ووالده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب ويعطي القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه
ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم * يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك قال في النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عجل المشية وكانت مي جارية الى القصر ما هي سمراء بدينة الا ان في كلامها عذوبة وفي طرفها تغزل

(الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل)
أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب وشكوى الجوى في الجواب وهو باب مطروق نافق السوق طالما عرض فيه المحب على الرسول سلعة النحول لاسيما من عيل صبره واشتهر أمره فأصبح وهو في البيت طريح واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل
فيا نسيم الصبا أنت الرسول له
والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا أكلمه
اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي
فذا الذي تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضب
اني لما رام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب ألوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصري سليمان
فهو من الهوى على خطر ومن اقامة الهجر على سفر لا يقر له قرار ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل (ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب) قول الوأواء الدمشقي
بالله ربكما عوجا على سكني

وعاتباه لعل العتب يعطفه وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه فان تبسم قولا في ملاطفة
ما ضر لو بوصال منك تسعفه وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه (أخذه) من قول عمر بن أبي ربيعة

من أبيات يصف بها قوادة فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخى عند سورات الغضب ٩٤ قيل ان ابن ابى عتيق قال امرلما سمع قوله هذا اما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم
مثل قوادتك هذه (ومثل قول
الواواقول الآخر)
ألا يانسيم الريح بلغ رسالتى
سلمى وعرض بى كانك مازح
وان أعرضت عنى فومغالطا
بغيرى وقل ناحت عليه النوائح
(وقول الآخر دوبيت)
باللطف اذا لقيت من أهواه
عاتبه وقل له الذى ألقاه
ان أغضبه الوصال غالطه به
أورق فقل عبدك لا تنساه
(وقال أبو فراس)
هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب بأسباب
ادت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى
(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله
اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما
وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا
فى كتابى سلوك السنن فى وصف
السكن وذكرت فيه أشياء تليق
بهذا الباب منها قول أمين الدين
ابن عطايا
أنا أهوى غصن النقا وهولاه
وفؤادى بحبه فى التيه
يانسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا
لك أمينا فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيما
نحو غصن النقا فمن ينثنيه
(وقال ابن الخياط الدمشقى)
يانسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند ولقد رابنى شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد والوجه
(وقال مهيار الديلمى) حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزامى وابعثوا الى فى الدجى طيفكم

قال فى الطرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوما بالحى وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد
شرع رواقه وارتفعت اطباقه وعلا عموده واطنابه ومدت اوتاده وأسبابه فقصده
حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل
النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فأبرزت اليه ماء قد
شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما فأكل ولم تزل تنادمه وهو
يعجب بها ويحترك لها قلبه الى أن انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها الاعج
عجز عن اطاقته وغرام كل عن اخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له فى تقليل ذلك وان
بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فانشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فأفضوا الى حديث ذى الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزارى وهو
يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال منى خذوا اخبره أتانى يوما فقال ان حى مية خلوف فهل
تسعدنى فى الزيارة فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذى الرمة عرفنه فجئن حتى
جلسن عنده وتفاوضوا فى الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا يا ذا الرمة ماقلت
فالتفت الى وقال لى قل فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مى كأنها * ذرا النخل او أثل تميل ذوائبه
فاسبلت العينان والقلب كاتم * بغمر ورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حان الفراق ولم تحل * حوائلها اسراره ومعاتبه
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذى * أحدثها الا الذى انا كاذبه
اذا فرمانى الله من حيث لا أرى * ولازال فى أرضى عدو أحاربه

قالت مى ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مى سوارح * على القلب أمته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما اصحه وهنيأ له قال فتنفس ذو الرمة تنفسة
كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها اونضى الدرع سالبه
فيالك من خد اسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعالى شاربه

وفى رواية القالى اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع

ان اذنتم بلغوني ان تناما (حكى) ان نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص والمطرب خرج مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم ابو الحسين الجزار فمروا في طريقهم على غلام نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى ٩٥ فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار قفو المنظم كل منا في هذا شيأ قال فقالت ان قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها
تبدي خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاغصان عند هبوبها
حتى تقبل اوجها الغدران
ولذاك العشاق يتخذونها
رسلا الى الاحباب والاوطان

وقال ابو الحسين الجزار ما بقي احد منا يأتي بمثل هذا فسيروا بنا

(وقال علي الصفار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يا رسول
سوى اني أغار لان فيه
شذا ذوانه مثلي عليل

(وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) أنا كاني حاضرا خاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيما
وزعمت ان هواه ليس يتلف
فأنا أقول ان تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين ايضا في محبوبه النسيم

يا من غدا لي من عوا صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لي الهوى * و يقال قد رق النسيم

(وقلت أنا كاني حاضرا خاطبه)

بالله ان رق النسيم وأخذت * نار تؤججها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العدول وقوله في الريح

والوجه بدا فمن لنا بان يمضي الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحكا فقالت الظبي يفه ان لهذين لشأنا فقمنا فقمت ومضيت وجلست بحيث أراهما فتعاتبا طويلا ولن يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد اعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال امض بنا نودع الآثار فجئنا حتى وقفنا على اطلال مية فانشد

ألا فاسلمي يا دارمي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر
وان لم تكوني غير شام بقفرة * تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانفضت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني لجلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله ما رأيت اشد صبابة ولا أحسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله اشعار كثيرة فمن الطفها القصيدة الحائية التي أولها

أمنزلتي مي سلام عليكما * على النأي والنأي يود وينصح

ومنها

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن * أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في متنها يتوضح
رأينا كانا عامدون لصيدها * ضحى فهي تنبو تارة وتزحزح
هي الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية ابهى بعد منها واملح

ومنها

على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لداتي فكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت في فؤادي تجرح
تصرف اهوى القلب مني ولا أرى * نصيبك من قلبي لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحي * وحبك عندي يستجد ويربح
ولما شكوت الحب كيما تثيبني * بوجدي قالت انما أنت تمزح
بعادا وادلالا علي وقد رأت * ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا علي كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت اروح

ومنها

خليلي عدا حاجتي من هواكما * ومن ذا يواسي النفس الا خليلها
ألما بمي قبل ان تطرح النوى * بنا مطرحا او قبل بين يزيلها
وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها

ومنها

خليلي عوجا من صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى وجى البلابل

ومنها

ولما تلاقينا جرت من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع

ونلنا سقاطا من حديث كأنه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ومنها

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس اين حل حبيبها

(أخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمامة بن أخرش الجعدى من بنى أخرش أخوذى الرمة قال فى الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخوذى الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا اذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هى بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدى علقها شابين وسبب ذلك أنه جاء يوما الى أخيها الاصبغ يسترفقه الى حى من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها خلا ثوب أخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى أخيها وكان معروفا بالشجاعة فخاف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد أقبلت جنوب فلم يستطع أن يكلمها واخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام خجلا وبقى مالك مغشيا عليه فلما أفاق انشد

خليلى ان حانت وفاتى فادفنا * برابية بين المقابر فالنفر

لكيما تقول العبدلية كلما * رأت جدثى سقيت ياقبر من قبر

وفى النزهة فادفنا عظامى مابين الربية فالنفر قال والربية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والنفر تربة مشهورة وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا النجعة وسمعة يعنى مكانا امطر وأعشب سابقا اذ وقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بعيرها وأنشد

رأيتك ان ازمعت اليوم نية * وغالك مصطاف الحمى ومرابعه

أترعين ما استودعت ام أنت كالذى * اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندى ودائعه فاطلقها ومضى فى نشيده يقول

الا ان وردا دونه قلة الحمى * من النفس لو كانت تنال شرائعه

وكيف ومن دون الورود عوائق * واصبغ حامى ما أحب ومانعه

فلا أنا فيما صدنى عنه طامع * ولا ارتجى وصل الذى هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقا فلما أصبح ركب وضرب الفضاء ليتزه نفسه فبينما هو على ماء

(وقال القاضى محيى الدين ايضا) شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عنى تحيه ولكم أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الذكيا لاغروان قطت أحا * ديث الهوى فهى الذكيه ٩٦ (أخذه) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى من اهل العصر فقال

ياطيب نشرهب لى من أرضكم

فأثار كامن لوعتى وتمتكى

اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم

وروى شذا كم ان ذا ريح ذكى

فقلت أنا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضى محيى الدين المتقدم عليه

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته

تأتى بكل قبيحة وقبيح

نسب المعانى فى النسيم لنفسه

جهلا فراح كلامه فى الريح

وقد ذكرت فى النسيم أشياء مليحة فى كتابى سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب أن يكون الرسول من أهل الصيانة وممن يرجع الى ديانة لئلا يطمع فيصير خليلا بعد ان كان رسولا كما اتفق لرسول ابن سناء الملك الذى قال فيه

راح رسولا وجاءنى عاشق

وعاقه عن رسالتى عائق

وعاد لا بالجواب بل بجوى

أخرسه والهوى به ناطق

(وقال آخر)

راح الرسول اليه وهو مفند

رجع الرسول الى وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن أمانة وفى مثله تعذر الخيانة (وقال المتنبى)

مالنا كلنا جوى يارسول

أنا أهوى وقلبك المتبول

وكلما عاد من بعثت اليها * غار منى وخان فيما يقول أفسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول يستريح

اى عيناها بسحرها أفسدت أمانة الرسول فى الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى

يسترح اذ سمع شخصا يشتكي الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هذا من الهواء الذي كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسه قال اى والله ولا أضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه واحتملوه بعد أن قارب الفراق ثم مضوا به الى الحي فقام ليلتين ثم قضى (وفي النزهة) انهم دعوا له بطبيب فلما أبصره انكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه انشد

خليلي ان العبدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا نفسي
فلا صبر لي بعد الفراق على الجفا * ولا راحة الا التوسد في رمسي
فصبر محب عن حبيب يحبه * محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه معها قلت وهذه الابيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان في منتخب شعر قتلى الحسان وفي النزهة نقله عن ذي الرمة ورواه بلفظ ان المنقرية يعني مية وفي لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه أن مالكا هذا الماضي اتصل نعيه بجنوب وقد قدم الى الحي فلما امتصته ووقع الكلام في اذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا هي ميتة

(أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش)

هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن أسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في ظرائف الاخبار ان سبب اعتلاقه بها انه اضاف أهلها فاجلسوه في مقعد ادبهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصدر كان وجهها البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة ان يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كانه القمر فداخلها ما داخله ولم يكونا يتقاربين في المنزل لانهما من فخذين فاقترقا على ما داخلهما من الهوى وان الغلام ارسل امه بهدية اليها وتبعها واقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع امه ويعود اليها أياما وكان في اوائل الهجرة فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد فصادفوا العرب ظاعنين ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصا له فامسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم أسلم فما أنتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هل لكم أن تتركوني امضي الى الظعن قالوا بلى ونحن في اثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها أسلمي حبيش فقد نفد العيش وفي رواية انقطع فقالت حبيش اواسلم عشرا أو تسعا وترا او ثمانا وثلاثا تترا على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشد

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * بيرزة اوأدركتكم بالخوانق

قسما لقد ويح النسيم عليلا * لما سرى من اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد شاقني * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن احسن ما سمعته في الرسائل والتلطف في الوسائل ما حكي عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام أبيه احب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه أن يجتمع بها ومضى على ذلك مدة أيام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

اهدت لك العنبر في وسطه
زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره
زر هكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب الى حبيب الحبيب افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي المالك الرحيم سلطان الملاح وليث الكفاح منها

ذهب النيل وعادا
وغرامي يتمادى
كلما قات غدا ينـ
ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي
نال في الحب المرادا
وأنا المسكين وحدي
نلت في الحب العنادا

(قال الراوي) ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بات في حضن القطائف وعملت الخل ناطف وصابت ابليس بدقته وتركته يخفض ويصفق ويغني تلالاه

١٣ تزل تلالاه ياعوينات الغزاله رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل انا الاشويعر مخارف مسخرة قد جعل رسائله وسائله وقصائده مصايده يستحلب ضرع الضراعه ويميط قناع القناعه ان جاع اكل من تقطيع الاعاريض وان عطش

اما كان حقاً أن يقول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فانى لاسر لدى اضعته * ولاراق عينى بعد وجهك رائق
على ان ما ناب العشيرة شاغل * ولاذكر الا أن يكون توامق
فهاأناماسور لديك مكبل * وما ان رآنى بعدها اليوم ناطق

فاجابته

أرى لك أسباباً أظنك مخرجاً * بها النفس من جنبي والروح زاهق

فاجابها

فان يقتلونى ياحبيش فلم يدع * هواك لهم منى سوى غلة الصدر
فانت التى قد ملت جلدى على دمى * وعظمى واسبلت الدموع على النحر

فاجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فانت ولا تبعد فنعم اخو الندى * جميل المحيا فى المروأة والبشر

وفى رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلاذنب لى قد قلت اذا هنا معا * اثيبى بود قبل أخذ الصفائق
اثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالى بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فاطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل اوثقوه اولا حين ادركوه وأنه رأى رجلا منهم فقال له أما تستطيع ان تعرضنى على النساء قبل أن تقتلونى فقال سهل ما طلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت ولما اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم وفى نديم المسامرة للمقدسى أن عبد الله هذا حين فشا امره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضى عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ماترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما أحسن هن أم حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلا فى العرب

(أخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجى مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة وصاحبته أم بكر زينب بنت صفوان بن غ من كنانية فى الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما أن نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان فى المبرك بوادى البوار وكانت زينب تأتى رعاة ابيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببرى القسى واراشة السهام وحز الاوتار فبرع فى ذلك حتى اشتهر فى أحياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتخالف

شرب من بحور القريض فى زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح والصالح والناطح (قد ذقت منه ما ابس بقلعه * ابو الحسين القلاع من ضرسى) بل اى شئ أحسن من خشفين مترفين اليقين يتراضعان ثدى الصحبه ويتراشفان كأس المحبه ويقتطفان ثمر الوصال ويتساقيان انواع الدلال ويتواصفان لواعج الغرام ويتباسطان مباسطة الحمام ولا يحضرهما غير مزاح ومراح ولا يلتهيهما غير كأس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما
يا بابليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين ويبتسمان عن درين ويتسارقان النظر بالواحظ جؤذرين كأنهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفتى الميزان ان تناءا فلا بعتاب او تراسلا بكتاب فدر منثور وسحر غير محظور وان تسابقا فى ميدان الهوى او تراشقا بسهام الجوى قالوا ترمو تور والساحر مسحور وهى رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها فى الجزء الثانى من حاطب ليل وقلت انا مما كتبته الى بعض الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها
بها اعين ترنو اليكم وترمق
ولى قلم امسى لرطب لسانه
سلام مشوق قد براه التشوق

(الباب العاشر فى الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه) اقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل فى سره من المثل السائر الحلو اذ الشعراء فى اقتناصه تحيل وحسن تخيل طالما كثروا من ذكره واستحبوا من ورود فقربوا عليه بعد المسافه

الحلوب من التورق فى المعاطن فتأتى زينب وهى جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل فى دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهى من ذلك فى أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ما غير باله وأشغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع فى الشعر ونخشى ان يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا وليس لنا فى أحد الخلتين سيرة فقال له مولاه انى بائعك فانظر لنفسك فأقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فأنشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم منن ظاهره
فبابك أسهل ابوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين * لاترى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء * بكل محبرة سائره

فأمر له بألف دينار فقال أصلحك الله انى عبد لا آخذ الجوائز ولكن آباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فأخبرنى فمضى فلما نودى عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفى بها حتى انتهى الى ألف دينار فأخذه الامير فكان فى خدمته الى أن توفى فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من أكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك فى محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكى ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيرى البيت فاستحضره فقال ما هذه التى قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أوعاشق انت قال اى والله جعلت فداك من العشق فقال وان قال لجارية فى كنانة علقتها فمنعت منها القلة حسبى وحقارة نسبى عند العرب فكنت اجلس فى عزها لاخالسها النظر وفى ذلك اقول

جلست لها كيما تمر لعلنى * أخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتنى والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين اهل العشق ما كنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (فى النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك أنه زوجه بها واقام معها وانها توفيت عنده فى خلافة سليمان وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وما ذكره هنا من أن يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعنى من البيض ومنعت منها مدة فلما توفى من كان يمنعها كتبت اليها

فان أك حالكا فالمسك لونى * ومالسواد جلدى من دواء
ولى كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء
ومثلى فى رجالكم قليل * ومثلى لا يرد عن النساء

ولهيما فواصل فاق زجرونا العيافه ومن المشهورين فيه بالاجاده أبو عباده وغيره كابن النقيب المتحيل على اصطياد خيال الحبيب حيث قال واحسن فى المقال
نصبت جفونى للخيال حبائلا لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده
ومن عادة الاشراك للصيد تفتح
وما احسن قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى التورية
ومولع بفخاخ
يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا
يصيد قلت كراك
(وقال أيضا)
واقسم لو جاد الخيال بزورة
اصادف باب الجفن بالفتح مقفلا
(وقال ابو محمد) عبد الله السروجى واحسن ما شاء
انعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى
اعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
كم جال فى ميدان حبك فارس
بالصبر منى فى هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى وملك يدى وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
ادرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى
من فرحتى بلقاه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة
لو كان يمكننى الرقاد لحقته
(وقال ابو تمام)
زار الخيال لها الابل أزاره * فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل اشراكا من الحلم
(وقال أيضا) يا لها لذة تنزهت الار * واح فيها سرا من الاجسام

فان ترضى فردي قول راض * وان تأبى فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يعطيان غيرهما ولو تزوجتني يدل على أن ليس لنزيد في تزويجها شئ وقيل انه تزوجها على يد ابن ابي عتيق وفي تسريح النواظر أنه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين ارسل اليها بأن العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الخزار بسنده الى العتبي قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من اعظمها هودجا امرأة وقد مهد لها مهاد فجلست وأقبل زنجي حتى جلس الى جانبها فخر سائق ابل وهو يقول

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذي الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألنا عنهما فقيل هي زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الخزامي وعن ابن خلف وابن الجوهري في أخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر بينا نحن في الركب اذا بزنجي يمشي والى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما فقلت له من انت قال أنا الذي اقول

ألا ليت شعري ما الذي هو حادث * غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أم بكر حين يقذفها النوى * بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرمني عند الذين هم العدا * فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل ندوم على العهد وتوفي نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل احدى عشر وفي كتاب ابن الجوهري كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة وقيل توفيت قبله ورؤى باكيا عليها وهو يقول

أيا دهر ماهذا لنا منك مرة * عثرت فأقصيت الحبيب المحببا
وأبدلتني من لا أحب دنوه * وأسقيتني صابا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من القوهي بيض بنائقه
وما ضر أثوابي سواد وانني * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه
ولا خير في ود امرئ متكاره * عليك ولا في صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثله * بعافية فاعلم بأني مفارقه

ومنها

ومافي الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا أبدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي * وتسخن عينه عند التلاقي

مجلس لم يكن لنا فيه عيب * غير انا في دعوة الاحلام (وقال البحتري) وهو من المكثرين في وصف الخيال الجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري (ومن ذلك قوله)

اذا ما الكرى أهدى الى خيالها
شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدى انتباهة
ظننت حبيبا راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شأننا
نعذب ايقاظا وننعم هجدا

(وقوله)

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدو وما تدري
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر

(وقوله أيضا)

بعثت طيفها الى ودوني
سير شهرين للمهاري العتاق
زارو هنا من الشآم فحيا
مستهاما بأرض العراق
فقضى ماقضى وعاد اليها
والدجى في بروده الاخلاق

(وقوله)

وليلة هومنا على العيس ارسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي
بعطفي غزال بت وهنا اغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة
وللصبح من خطب تذم غوائله

(وقال عبد الصمد بن المعذل)

واصل النوم بيننا بعد هجر
فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا
انه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحمدوني وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على * (أخبار) الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير

(أخبار المرقش وصاحبته أسماء)

هو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة أعلى قبائل طيئ ولد باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله أخوان أنس وحرملة رفعهم ابوهم الى نصراني ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والدهري دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه في العرب فكان شجاعا مهابا في العرب خرج يوما وقد قطع وادي نجران بأسد ونمر فلم يطق أحد أن يرمنهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فأمسك أذنيه مستثبتا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف في جلد الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه وأخذ جلده عليه وأقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمي بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش في ظهر الاديم قلم

ومن ولد أخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر لشبهه ذلك وأسماء هي بنت عوف بن سعد بن مالك ايضا وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها الى عمه فأنعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فمدحه وحظي عنده فأمسكه مدة وان الغلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادي على عوف فخطب أسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الى عظام كبش فذبحوه ودفنوا عظامه وصيروها قبرا فلما قدم عمرو أخبروه أنها ماتت وأروه القبر فلزمه حتى ضني وتغير حاله فبينما هو يوما منتصبا اذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا أخذته من عظام الكبش الذي دفن وقيل لعمرو انها أسماء فدعاه وساله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي فقيل ان اخوته شعروا به فردوه فمات وتظافرت الاخبار بأنه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال زوج ابنته لها اتركيه واذهبي بنا فقد أجهدنا فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين أن لا تفعلا

فلعل لبثكما يقرب بيننا * أو يسبق الاسراع سيأ مقبلا

يا راكبا اما عرضت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا

لله دركما ودر أبيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا

من مبلغ الاقوام أن مرقشا * أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا

وكأنما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة وأما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحا فاوى الى غار هنالك وكان يألفه راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به الراعي قال له من انت قال له المرقش أنا رجل من مراد فراعي من انت فأعلمه باسم الذي هو عنده فاذا هو زوج أسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتيني جاريتها من

وناهما فانشد زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما ثالثا ١٠١ فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت
لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

(وقال آخر)

ألا رب طيف منك بات معانقي
الى أن دعا داعي الصباح فهللا

واول من وصف الطيف عمرو بن قميئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الا سؤالا
والا خيالا يوافي خيالا

خيال يخيل لي نيلها
ولو قدرت لم تخيل نوالا

وأول من طرد الطيف طرفة بن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فاني واصل حبل من وصل

(وتبعه جرير فقال)

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

واعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم
أتلك ليلى اتت ام لا ام الغول

وقد رد على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي واحسن ما شاء حيث قال

ياليت شعري هل احب
جرير اذ أبدى اعتذار

ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجار

لا بل اشد قساوة
فالطرله ابدى عوار

اذ قال قولا لم يقله * عاشق أود بجساره طرقتك صائدة الفؤا * د وليس ذا وقت الزياره (وقال في الرد عليه أيضا)

هذا مقالك يا جريـ * ـر لدي اشنع ما يقال هل ثم وقت ليس يصـ * ـلح للزيارة والوصال

عندها الاخذ اللبن قال في النزهة وكانت أسماء قد مرضت ايضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن في اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي ألقه في القدح فستصيب به خيرا فلما رأته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل أنشد عند موته

سما لهوى خيال من سليمى * فأرقني وأصحابي هجود
فبت أدير أمري كل حال * وأذكر أهلها وهم بعيد
على أن قد سما طرفي لنار * يشب لها بذي الارطى وقود
حواليها مها بيض التراقي * وآرام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيش * أوانس لا تروح ولا ترود
يرحن معا بطاء المشي رودا * عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى * فقطعت المواثق والعهود
فما بالي أفي ويخان عهدي * وما بالي أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد
وذي أشر شنيب النبت عذب * نقي اللون براق برود
لهوت بها زمانا في شبابي * وزينها المناصب والقصيد
أناس كلما أخلقت وصلا * عناني منهم وصل جديد

(وله)

أغالبك القلب اللجوج صبابة * وشوق الى اسماء أم أنت غالبه
يهيم ولا يعيى باسماء قلبه * كذاك الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يارا كبا البيتين أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب وأسندها الى مجهول واصلها قال في روضة القلوب ان اسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل ابوه صبرا في تيم فخرج يستجيش لهنصرة وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته وحقته عله فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل أنتما مبلغا ابنتي هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا يابنات الحي ان اباكما * لله دركما ودر ابيكما

فلما أتيا الحي اخبرا بموته فقالوا هل أوصى بشيء فقالا لا ضمر علينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبي فقالوا ومن أين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهذر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا يابنات الحي ان اباكما * أضحى قتيلا في التراب مجندلا

ام قيل قبلك فارجعي * ولذا الذنب لا يقال ام كان حبك كاذبا فنامه يتوء الخيال ام كان قلبك من حديد فليس تؤذيه النبال
(وقلت أنا) واخجلتا لك ياجريشر في المحافل والمشاهد ١٠٢ طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صبا غير صائد
فرددت طيف خيالها
هذا خيال منك فاسد
الطيف اعشق منك اذ
وافى اليك وأنت راقد
لاعاد مثلك مابقى
في الناس للعشاق عائد
(وقلت أيضا من قصيدة)
يطالبني قلبي به فكأنني
غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليل الكرى ونهاره
خيال ملم او حبيب مسلم
(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)
ياحبذا طيفك من قادم
ياأحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم
ياغائبا يحكم في مهجتي
على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك أن يشتكي
حظي منه انه ظالمي
وقد احسن التهامي في تفضيل
الخيال على الحقيقة حيث قال
وصل الخيال ووصل الخود ان
بخلت
سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته
تخلو من الاثم والتنغيص والندم
وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم
حيث اعتذر على لسان الحبيب
عن تأخر الخيال فقال
لقد بخلت حتى بطيف مسلم
علي وقالت رحمة لحبيبي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وساد لذان بلاه طيف رقيبي وما احسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه لله
ابن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق ساحت كتبك في القطيعة عالما * أن الصحيفة اعوزت من حامل

لله دركما ودرابيكما * لايبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قال وفي البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال في الصناعة وقوله بنات الحي ثم عدل الى التثنية في قوله ان ابا كاجريا على الغالب في خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه او أنه نزل ابنيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى أصله وقد حكي في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال في صدر البيت الاول من مبلغ الاقوام ان مهلهلا والباقي على حكمه

(اخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)

هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وصاحبته هي ريا بنت الغطريف السلمي علقها بمسجد الاحزاب يوم منتزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال بينما قد زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا أنا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه

اشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر
ياليلة طالت على دنف * يشكو الفراق وقلة الصبر
اسلمت من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
ما كنت اعلم انني كلف * حتى تلفت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد أنني كلف * مغرى بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذي قبله ما كنت احسب انني شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده فقال لي اجلس احدثك انا فلان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية لم أر مثلها وقفت علي وقالت ما تقول في وصل من يطلب وصالك ثم مضت فلم اعرف خبرها ثم غشي عليه ساعة فلما افاق أنشد

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى اراكم * ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

فشرعت في تسليته فقال هيهات أو يؤب القارظان مثل مشهور وأصله ان أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

ياللرجال ليوم الاربعاء اما * ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته * اوأنه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما اتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

(وقال آخر)

وزار في طيفه من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذرا * الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا أو واصل حبيبا اونال عزا اووجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما رأى انه قد أحدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شئ يسرني * ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل اصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وما احسن قول ابن التلميذ)

عاتبت اذلم يزر خيالك في النوم * فشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

واحلم في المنام بكل خير * فأصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الاذان

(وما اظرف قول ابن المعتز)

ألم الخيال بلا عده * وابدالي الوصل من صده
وكم نومة لي قوادة * اتت بالحبيب على بعده

(ومثله قول الآخر)

فمضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل الشيخ ولم نر الجارية تمشي فقلن له ما ظنك بطالبة وصالك فقال وأين هي قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليلي ريا قد اجد بكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها

خليلي قد غشيت من كثرة البكى * فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ان ابذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي الى قومها وأبيها فقال نعم فسافرنا الى أن وافينا اباها ففرش لنا الانطاع ونحر لنا النحائر فقلنا لا نأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا فقال اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار فقال ذاك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها وأعلمها فشكرت عتبة فقال قد نهى الى أمرك معه وأقسم لا أزوجك به فقالت ان الانصار لا يردون ردا قبيحا فان كان ولابد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد اجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أكرس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا له اذا أحضرناها اجبت قال اجبت فاحضرناذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بامر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وأنشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما * اعلل نفسي انها بك لاحقه

ولو انصفت روحي لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما معا قال عبد الله فأقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لا أبرح أو ازور عتبة فجئت فاذا انا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين

(اخبار الصمة وصاحبته ريا)

هو أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة كان اديبا شجاعا عارفا بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه ابن دريد والاصمعي قال ابن القوار والوزير انه أدرك اوائل الاسلام (وريا) هي بنت مسعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجده منها الى بعض اصدقائه أرشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الصمة الى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعمد الله الاذلك وحلف كل على ما قال وأوقفوا الامر فمات الصمة الانفة

تركت هبا ابليس ثم مدحته * وذا الامر عندي سلوكه يقرب من اهواه حينا فان ابى * حكاه خيالا في الكرى فاتيكه

(وقال بعض مشايخ العصر) لوان طيفك في المنام جليسي * مابت اشكو لوعتي ورسيسي قرأدار على تخرة ريقه * ولحاظه وحديثه المانوس فاعمدني في قربه وحضوره ووفائه الاعلى ابليس

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا واعين الشهب حولي روان واطراف القسي دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر مدنيه وانا يقظان ويمثل مالم يكن من قربه كما ملئت العيون منه ما كان (حكي) عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأي شئ فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى خيالك في النوم (وحكي) عن بعض الجلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدي على الارض لكي ترضي فقالت أعطني دينارا حتى اخليك تضع خدك على خدي ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا في الحب عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

(وقول الآخر)

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا يوافينا على البعد هاديا

سقى الله اطلالا بانقية الحمى * وان كن قد ابدين للناس حاليا

على ان خرج عنهما الى العراق فقالت الريا مارأيت رجلا أضاعه أبوه وعمه بعيرا الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طلب مرض حتى أضناه السقم وقيل أتى كاهنا بالعراق فسأله عما أضمر فأخبره انه لا يتزوج بها أبدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب فى أخبار المحب والمحبوب أنه قدم رجل يقال له غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى على مسعود فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال أمره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه فأنشد

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت * به بارحات الصيف بدأ ورجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا
كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم تر شعبى صاحبين تقطعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم وادبين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادى * وفى قوت القلوب اعصفت بها ساخنات الصيف يريد بالدار والساخنات أيضا رياح لكنها لا تختص بالصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعى والنفس ابعداه عن المحبوبة وغلط فى قوت القلوب حيث اعرب وسعيكما منصوبا بالباء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن أن يأتى الامر وبكت عينى اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقى الشعر واضح ويقال ان فى القصيدة طولا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وجالت بنات الشوق تحنى نزعا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
أما وجلال الله لو تذكريننى * كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو أنه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت عليه مدعاله صاحبه العراقى بطبيب حاذق فلما تأمله قال انما يشكو العشق لاغيره وأرى أن يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبيناهو يوما على شاطئ نهر وقد جذبه الكرب اذ سمع امرأة تنادى ابنتها يا ريا فسقط مغشيا عليه فاحملوه الى بستان هناك وأضجعوه فلما أفاق أنشد

تعزبصبر لا وجدك لا ترى * سنام الحمى احدى الليالى الغوابر
كان لسانى من تذكرى الحمى * وأهل الحمى يهذو به ريش طائر

قوله فيشكل التعيين لكن التشكيك فى الاضافة للتعيين وقوله وسعيا كما معطوف الخ المناسب عطفه على مزارك كما نقله عن القوت ويؤيده رواية شعبا كما ولغة الزام المثنى الالف فصيحة اهـ

منازل لو مرت بهن جنازتى
لقال الصدى يا صاحبى انزلا بيا
(وقال توبة بن الحميرى)
فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها
فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها
خيالا يوافينا على البعد هاديا

(الباب الحادى عشر فى قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله ومافى معنى ذلك)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير فأمسى وماله الى اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الارق وكثرة الارق

ياليل طل اولا تطل
لابدلى ان اسهرك
لو بات عندى قمرى
مابت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند مطاوله وعذرهم فى ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

ولم يزل يرددها حتى قضى ولما وصل خبره الى الرياد اخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الاثال الا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من أهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ضنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

(ومنه)

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا * وللجمع ما بين المحبين آبيا
فأف عليه من زمان كأنني * خلقت واياه نطيل التعاديا

(أخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو أبو خشم كعب بن مالك أو عبد الله أو خشم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هي بنت لابي بن رباح اصغر اخواتها كانت أجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه أخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فتزوجها فشغف بها شديدا وألفها طويلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسرته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بأن أنظرها فأخبأته وأرسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكا اليها مالقي من حبها فأعلمته أنها أعظم من ذلك في حبه وشعرت أختها فتبعتهما فرأتهما يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك وقالت اما ان تزوجوا كعبا من ميلاء أو تغيبوها عني فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها أياما وان شاميا خرج بريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المذكورة ميلاء والى جانبها أختها فأنشد الشامي متمثلا

أفي كل يوم أنت من بارح الهوى * الى الشم من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها حزن نار طرفها متحادر
تمنى المنى حتى اذا ملت المنى * جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك بعدما ضم ضمة * بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزري في انه قاله بالشام وأصل الحال غلط الشيزري في قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما أنشد الشعر سألته عن الرجل قال من الشام قالت أوتعرف صاحب

الشعر

مات الظلام بليل
أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح
يعيش كان تنفس

(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه
والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا
أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال أيضا)

ولرب ليل تاه فيه نجمه
قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني
لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال ياسيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما فقال له قل فأنشد

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها
وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة
ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعهما والدي قال له ياولدي هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب فانصرف الشاب من غير حصول

الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب مع انه يحتمل أن تكون معرفتها من ذكراسمها ويكون ماذكرجميعا ولما أخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتها فأقام سم يكرمونه ثم سألاه هل تروى لغير ذلك قال نعم وأنشد

خليلي قد وضت الامور وقستها * بنفسي وبالفتيان كل مكان
ولم أخف يوما للرفيق ولم أجد * خليا ولا ذا البث يستويان
من الناس انسانان ديني عليهما * مليان لولا الناس قد قتلاني
منوعان ظلامان ما ينصفانني * بدلهما والحسن قد خلباني
يطيلان حتى يعلم الناس انني * قضيت ولا والله ماقضياني
خليلي اما ام عمرو فمنهما * وأماعن الاخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم ير مثلنا * من الناس انسانان يهتجران
أشد مصافاة وابعد عن قلي * واعصى لواش حين يكتنفاني
يبين طرفانا الذى فى نفوسنا * اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ماادرى أكل ذوى هوى * على شكلنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا ممابى اليوم من هوى * ففي كل يوم مثل ماتريان
خليلي عن أى الذى كان بيننا * من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني
وكنا كريمى معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان
نذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن باعناق اليه ثواني
سلاه بام العمر يشفى فقد بدا * به السقم لا يخفى وطول هوان
فمازادنا بعد المدى نقص حبه * ولا رجعنا عن علمنا ببيان
خليلي لا والله مالي بالذى * تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لى بالهجر اعتلاق اذا بدا * كما أنتما بالبين معتلقان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور رواني
يمنيننا حتى يرعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا بليان
أعيني يا عيني حتام أنتما * بهجران أم العمر تختلجان
فما أنتما الاعلى طليعة * على قرب أعدائى كما تريانى
فلو ان أم العمر أضحت مقيمة * بعمرود ونى الشحر شحر عمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وأنا على ماكان ملتقيان
من البيض نجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشى ضارب بجران
أفي كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
اذا ذرفت عيناى قالت صحابتى * لقد ولعت عيناك بالهملان
الا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر الروحاء ثم ذراني

فائدة فاستغربا والدى لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت فى آخر القوس كان الليل فى غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت فى آخر الجوزاء كان الليل فى غاية القصر لانه فى آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول وان زارنى كان الليل عندى فى غاية القصر وقد أنصف القائل

لا أظلم الليل ولا أدعى
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلى كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلى قصير

(وما أحسن قول الارجانى)

وماليلنا الاسواء وانما
تفاوته انا سهرنا ونمتم

(ومن أحسن ماقيل فى قصر الليل)
قول أبى اسحق الصولى

وليلة من الليالى الزهر
قابلت فيها بدرها بدري
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهى بكر الدهر

(وقال الرضى)

هذا ما نقله الجلي واخرج هنا عن الاغاني ان من قوله ولا لاهيا يوما الى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله ففي كل يوم أنت رام وقوله ألا فاحملاني البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتها فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروا منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا في طلبه وضعفت ميلاء على ما رووا في نهاية الادب بصداع اصابها فلما حضروا بكعب نزل ناحية وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبي بازاء البيت الذي هو فيه من أبوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحركوه فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثاني)

فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شيء من سيرته أو ما آل حقيقته

ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما قصوا شيأ مما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة نقصه والافهم مشهورون كثيرا بخلاف من يأتي بعد وسنقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب أذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم اتبعه في التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون

(فمنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور)

قال في النزهة نحر يوما للضيوف ما نقص من الابل فأكلوا قليلا وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو أبقيت عليها الحاجة كان اولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا ان يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فأخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فغمزته فأراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الجملة الى عرفجة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفة الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وريا)

هوي جارية اسمها ريا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو ومعها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فأشار عليه أصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار

يا ليلة كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر

(وقال آخر)

سالت الليل لم ولي هزيما
وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال كواكبي غارت وسارت
مخامرة علي الى الصباح

(ومن أحسن ما قيل في طول الليل قول العباس بن الاحنف)

أيها الراقدون حولي اعينو
ني على الليل واتركوا الاعتذارا
حدثوني عن النهار حديثا
أو صفوه فقد نسيت النهارا

وقال آخر

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم
ليل الضرير فصبحي غير منتظر

(وقال ابن العتاريه)

لقد ساهرتني عيون الدجى
وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح
شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال ابن الزقاق)

لي مسكن شطت به غربة
جادت لها عيناي بالمزن
ما أحسن الفجر ولا راقني
بياضه مذ بان في الظعن
كأنما الصبح لما بعده
عين قد ابيضت من الحزن

(وما أحسن قول القاضي الفاضل)

الكعبة ويسأل الله ما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم اذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهم سماً ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة فأعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة بحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن اصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضي انت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فاعلمها فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما القيا من الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر فاظهر انها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من نجيني منك يا عمرو وأنا لم أهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس عليك فأقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد * وحكي انها عمرت بعده فسئلت على أي شيء مات عمرو وجسد المنمع انه لا حسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروى الشعر واحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له نمير فقال له هل عندك صنيع تمن به على عسى ان تعود روحي الى قال اشر بما شئت فاني فاعل قال تمضي الى حي جيداء فاذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدا قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هنالك فلما كان الليل اقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف عنهما فقالا والله ما بيننا ا كثر مما ترى فكانت فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل الى ذلك الا ان يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها الي وقالت اذهب الى خدري كانك انا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم به اليه فاني افعل ذلك فاذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه او يطول وقوفه فانه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال نمير ففعلت ذلك غير اني بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه واردت أخذه تخالفنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عد الى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت أن اوجره بالسكين فخلصوني وردوا على الستر وجاءت امها تعتنقني وتوصيني بأن لا اخالف زوجي ظنا انني ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت عني على ان ترسل لي ابنتها الاخرى تؤنسني فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت الى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير في موضع كذا وقد

يثنا على حال يسر الهوى
وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له
ان غبت عنا هجم الصبح
(وقال ياقوت)
كأن الثريا راحة تشبر الدجا
لتعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب
يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال
بكف الثريا وهي جذما يقاس لي
شقاق الدجا مدت من الشرق والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت
فما تنقضي بالليل أو ينقضي نحبي
وقد أحسن الارجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال
لا أدعي جور الزمان ولا أرى
ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفست
للهم أصدأ وجهها المصقولا
وقال مضر بن الفقعسي
وليل تقول الناس من ظلماته
سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة
مسوح اعاليها وساج كسورها
(وقال آخر)
ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى
كأن جفوني مسمى والكرى عذل
وقلت أنا

جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على اختك فارتعدت ساعة ثم انصرفت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت اختها فاذكرت من معي فقلت هي اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير الصوت في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الادون شهر وجاء شخص فقصد مما جنته فقال له وهو يتناول عنبا اتنفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحركة فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها والقت نفسها في بئر هناك فماتت

(ومنهم مسعدة بن وائلة الصارمي)

قال في تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخي الكف شجاعا وان اباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بني باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك في ان تكفيني كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت ملء هذه السقاية ورمت بها الى فلما ملأتها وهممت ان تتناولها شمرت عن زندين كأنما جبت عظامهما بالبلور الصافي ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هي رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيرزي فداخلها من العشق ما داخله فلما علم اهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة ينحن فهاجت بلابله فأنشد

دعت فوق اغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء في اثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريبا من حي خشي ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم اخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شيء بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

ان يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
لم يبق يوما عاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاغيار
كل وان طال المدى متصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

قد غبت عني شمس الدين ما اكتحلت
عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت أرعى نجوم الليل من أرق
بأشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما أكثر الشعراء فهم من الليل افزع والى النهار انزع لان الليل اجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر (وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بانواع الهموم ليبتلي

(وقال قيس بن ذريح)

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدى
لي الليل هزتني اليك المضاجع

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله
فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره
لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية
ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت أمير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد أخذه بعضهم فقال

كفى باللبالى مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة ورحل الى بيته فأنشد

يا راعى الضأن قد ألقيت لى كمدا * يبقى ويقلقنى يا راعى الضان

نعيت نفسى الى روحى فكيف اذا * أبقى ونفسى فى اثناء كفانى

لو كنت تعلم ما أسررت فى كبدى * بكيت مما تراه اليوم أبكانى

فلم يزل يردده حتى مات

(ومنهم زرعة بن خالد العذرى)

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخى الكف راويه عارفا بأيام العرب وأشعارها خرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر فى تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وابصرها قال وهل مقتول يداوى به قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا للصيد فاصطادنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتنى سريعا حبائله

* فلما رمانى بالنبال مسارعا * رمانى وهل ميت يداوى به قاتله

الا فى سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الاما أخبرها بحاله فاطلعها على الامر فعرفت الجارية فاذا هى ظريفة بنت صفوان بن وائلة العذرى فمضت اليها وأعلمتها القصة وتلطفت رجليها على ان تزوره بيتهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذى هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتى قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هى أيضا الى ان فطن اهلها فالوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعونى فانى أرجو ان اظفر وأموت فصحبه غلام قال أبو شراعة فرأيته فى الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبى الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فأنشدها ارفع صوتك ولك احد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح

وقالوا الاجل اليأس عودى لعل ما * تشكاه من آلام وجدك يمسح

أقلى النهار اذا أضاء صباحه

وأظل أنتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا

والليل يرثى لى فيدبر عابسا

وقد أحسن فى أخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى فى قول المتنبى المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لى شيخنا تقى الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبى أزورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فأى فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف (ومثل قوله هذا) ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى

قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل زفت عليك فروع ليلى

زفاف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقتصر (وقال المتنبى)

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبران المانوية تكذب

وليس دواء الداء الابحيلة * اضربشافيها غرام مبرح

اذا ما ألناها نوال تنيله * فصم الصفا منها بذلك اسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من بعض الابيات قائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوق اليه اطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاصرين كثير

فيمشون يستشرون غيظا وشرة * وما منهم الا اب وغيور

فان لم ازر بالجسم رهبة مصدر * فالقلب آت نحوكم فيزور

وفي النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * وهو أحسن ثم رجع الصبي فأنشد أبياتها فأغشي عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلي * فياليت شعري ما بنو العم صنع

اراهم وللرحمن درصنيعهم * ترا كي دمي هدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه اياما الى ان زفت ظريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم اغمي عليه فرك فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء اياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت الى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك ثم احتملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدتها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فأشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفي روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزي مسندا عن بعضهم انه رآه وقدتهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تتناوله بأيديها فقال له ويحك الم ترد الحج فأنشد

ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت برك العيس بالركب يعسف

رحلت مع العشاق في طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا

وقد زعموا ان الجمار فريضة * و تاركها مغروض الجمار يعنف

* فهيهات تفاحا ثلاثا واربعا * فزعفرلي بعض وبعض مغلف

وقت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدي الملاح تلقف

واني لارجوان تقبل حجتي * وما ضمني للحج سعي وموقف

(ومنهم رجل من بني كندة) فخذ من بني عذرة اورده مجهولا وكذا ابن ابي الاصبع في الطبقات في ترجمة الحرث بن كلدة وفي النزهة قال لانعلم اسمه وحكايته مشهورة وهي ان اخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة اخيه سافرة

وقال يردي الاعداء تسري اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فيكذبهم بأنه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه (وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح

ليس في العين راحة في الصباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه

بان عني أولو الوجوه الصباح

(حكى الاصمعي) قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا امير المؤمنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من جسمي

نمت عن ليلي ولم أنم

الابيات حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج (وحكى) عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فأمر باحضاره وقال له أنشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي

فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله

نرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما لقيه من رؤيته معصميها اضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب فى قلبه فأقام اياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء اخوه فأبصره وقد ذوت اعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرّافا ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجع شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه أن يصرّح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرّح بزوجة اخيه فقال اخوه أشهدكم انها طالق ثلاثا لانى اعتاض عنها ولا اعتاض عن اخى فبشروه فقال هى علىّ ـــ أى ان تزوّجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم يدر أين مات وان اخاه حين فقده مات اسفا ولما سقوه الخمر غنى ابياتا حذفتها هنا وفى مختصر الطبقات لسخافتها فاختلف فى أيهما اكرم * ونظير ذلك فى السماحة ما وقع للحكم بن المطلب المخزومى فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة اكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فأبى اخوه فأعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا جاز بالزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسرى بهدايا فصادف الحكم وكان جابيا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

(ومنهم غلام)

قال فى النزهة هذلى واسمه راشد بن صفوان الهذلى قال الجلال السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوى وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتى اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قدبالت على رأس الصنم فكسره وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه انبأه فأسلم فقال له ما اسمك قال غاوى قال وكلبك قال راشد قال لا أنت راشد وكلبك غاوى ثم ذهب وكان يغدو على بنى عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من اجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد أن يأتى على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يسيح عاريا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكى ثم انشد

وذكرنى من لا ابوح بذكره * محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجرى بحرقة * ولحظى الى عينيه لحظة شاخص
ألا ايهذا القانص الظبى خله * وان كنت تأباه فعشر قلائص

البالية وقال اهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفونى فانى
قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبى الى مثل ماترى لانك
خلعت مالا تملكه على من لا يقبل

فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندى احسن من قول الشريف * وقال ابو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى أجز هذا النصف قد بلغ العشق منتهاه

فقلت وما درى العاشقون ما هو
فقال وانما غرهم دخولى
فقلت فيه فهاموا به وتاهوا
فقال ولى حبيب يرى هوانى
فقلت وما تغيرت عن هواه
فقال رياضة النفس فى احتمالى
فقلت وروضة الحسن فى حلاه
فقال اسمر لدن القوام ألمى
فقلت يعشقه كل من يراه
فقال ريقته كلها مدام
فقلت ختامها المسك من لماه
فقال ليلته كلها رقاد
فقلت وليلتى كلها انتباه

خف الله لا تخيفه ان شبهه * حبيبي فقد ارعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد دونك فخله فتقدم اليه وقبله واطلقه واتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غدا في موضع كذا وأقبل يسوق عشرا من الابل فأبى الصياد قبولها فأقسم عليه الا ما اخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لان بينهم نسبا لم ترم فيه العصاة كان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما في ملعب وزينة ففخر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها الى متنزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما اكلن وقمن ترك الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائي

اذا لم يكن للطير في زاد عزوة * نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة الى أن اجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام تطرت كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلوا أن الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

اذا ما دنات نعمى فهل أنت جازع * قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها * نوالا ولكن كل ما صين مانع
فان تلق لي نعمى هديت فحيها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظ لغيبي ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى * ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهي طائع
بأحسن منها ذات يوم لقيتها * لها نظرة نحوى كذي البث خاشع
كان فؤادي بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يا نعم حلي محلنا * فان الهوى والشمل بالنعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * بأهلي بين لي متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدري مسافر * اذا أضمرته الارض ما الله صانع
واني لعهد الود راع وانني * لوصلك مالم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللا بالاماني يعتوره الخيال اياما الى أن بلغه أن خزاعة بجيل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتا وقال في النزهة اقام عندهم الى

ثم ان مظفر الدين اكملها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل والقال من العذال واستحق بامساك الحيته عند عذله نتف السبال وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد طالما اصبح بين المحبين قفا بين صفاعين لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب

وأتعب من ناداه من لا تجيبه
واغيظ من عاداه من لا تشاكل

وما التيه خلق في الهوى غير انني
بغيض الى الجاهل المتعاقل

فليته استراح واراح وصان عرضه المباح فقد اكثرت الشعراء في الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل

يا عاذلي في هواه
اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

أن اغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسعد الخفاجي)

وكان شجاعا مبرزا في قومه حضيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ماذكر في التزهة فخذ من قحطان وكانت تنزل بني الاخيل كعب بن معاوية وبنو يغزون معهم ويتحدثون في المسرح وكان رئيس بني الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وايامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا اجتمعت من توبة الثقاة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فتحادث معها الى أن اخذت قلبه وأطارت لبه فشكا لها يوما ما نزل به منها فاعلمته ان بها منه اضعاف ذلك فاقاما على التزاور الى ان جيهان وجيها ففتق توبة ذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله أحيانا فأشار واعليه بتعاطي الاسفار والخوض في الحادثات فعزم على الشام فمر بجميل فانزله واحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفوا فقال له توبة كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر أنه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتسارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى في طريقه فمر مارا بأشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نبل المرامي جفيرها
يقول رجال لا يضرك نأيها * بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولا كل يوم نزورها
خليلي روحا راشدين فقد أبت * ضرية من دون الحبيب ونيرها
يقر بعيني أن ارى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وساح من بعد المرام عسيرها
وأشرف بالارض اليفاع لعلني * أرى نار ليلى او يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت ارى ان لا تفيدك صحبتي * لهيبة اعداء تلظى صدورها
فمدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كادت تفاقي بضيرها
فلما دخلت الخدر أطت نسوعه * وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاح الذفارى منصة * وذي سرة قد كان قدما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق أن ارى * على الشرف النائي المخوف ازورها

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لا ذنب له وكان يقال

لعل لها عذرا وأنت تلوم

فكم عاذل زاد المحب بعذله لجاجة
وجنونا اكثر من الحاجة
لا بدلي من هوى يلوم انه
كالريح يغري الناس بالاحراق

(وقال الآخر)

وما عذولي ناهيا عنكم
لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم
قلت له النار ولا العار

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يا من اذا باعت الابصار اسودها
بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا لذيه
فليت عذال قلبي فيك لا برحت

(وما احسن قول بلديينا محمد بن العفيف التلمساني)

أسرفت في اللوم ولم تقتصر
وزدت في لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها
وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده واحسن ما شاء)

ولي على عاذلي حقوق هوى
شكري عليه يعظم ايجب
لام فلما رآه هام به
فكنت في عشقه انا السبب

(وقال الآخر)

قد اجتهد اللاحي وبات يلومني
وزخرف لي زور الكلام بمينه

وان أترك العيش الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لازال ريشك ناعما * ولازلت فى خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس مالا يضيرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداة سفورها
وقد رابنى منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتى وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشى تديرها
ألا ياصفى النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تجير وان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت اراك اليوم اسود شاحبا * وأى بياض الوجه حر يزورها
وغيرنى أن كنت لما تغيرت * هواجر لا اكتنها واسيرها
اذا كان يوم ذو سموم اسيره * وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر * لنفسى تقاها اوعليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء نام نصيرها
فان لا تناهوا اركب الامر نحوها * وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى فى مريرة * معذب ليلى ان رآنى أزورها
وادماء من سر الهجان كأنها * مهاة صوار غير مامس كورها
من الناعبات المشى نعبا كأنما * يناط بجذع من أراك جريرها
من العركانيات حرف كأنها * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة ارض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقهورة الليل التى بين نصفه * وبين العشا قد دببتها اسيرها
ابت كثرة الاعداء أن يتجنبوا * كلابى حتى يستثار عقورها
ومايشتكى جهلى ولكن عزتى * تراها باعدائى ابينا طرورها
أمخترمى ريب المنون ولم أزر * جوارى من همدان بيضا نحورها
تنوء باعجاز ثقال واسوق * خدال وأقدام لطاف خصورها
اظن بها خيرا وأعلم انها * ستنفك يوما أو يفك اسيرها
أرى اليوم يأتى دون ليلى كأنما * اتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن ان كان بعلها * يرى لى ذنبا غير أنى ازورها
وانى اذا مازرتها قلت يا اسلمى * ويا بأبى قول اسلمى مايضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة انشدها كلها حين سمع سجع الحمائم وقبل

انشدها

وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه
فقلت له هذا الفضول بعينه
(وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى
غلاما نصرانيا بتنيس فلامه بعض
اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان
الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن
وكيع استحسنه وقال لو عشقت
هذا مالمتك ولم يعلم انه محبوبه الذى
لامه عليه فقال ابن وكيع فى الحال

ابصره عاذلى عليه
ولم يكن قبلها رآه
فقال لو عشقت هذا
مالامك الناس فى هواه
قل لى الى من عدلت عنه
فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى
يأمر بالحب من نهاه

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
زعموا اننى هويت سواكم
كذبوا ماعرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى
فلوان كان قلبى سلاكم
قال لى عاذلى متى تبصر الرشد
وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال ايضا)
ان قوما يلحون فى حب سعدى
لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها
اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال ايضا)
من منصفى من عاذل جاهل
يخون باللوم لمن لا يخون

انشدها متقطعة بحسب الوقائع واغلب منها الشعراء وها انا اورد ذكر غريبها وما وقع لبعض ابياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت غضبا شديدا ثم امسكت عن كلامه برهة فتوسل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسق نفسه السم ان لم تكلمه فجمعت ثلاثة من اهلها بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما آنسته قالت أي خدر دخلت معي حتى تقول ما تقول فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر لها امثال ذلك وتنصل فسرحت بسماع اهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة بطن الواديين ترنمي هو اول بيت تفوه به من القصيدة الى قوله وكنت اذا ما زرت ليلى ثم ضم الباقي واما قوله وكنت اذا ما زرت ليلى فالحقه بعد اكمالها وسبب انشاده انه كان يزورها على خيفة وخفية فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه أمارة فقالت اذا مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذ فلما قوى حرصهم وتوعدهم لها وأجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها على البعد فلما اقبل ورآها سافرة مضى في طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا ما زرت ليلى الابيات ثم دخل الشام فأقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب فكان يخرج الى الربوة ليسلي نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فأقام اياما لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فرحين قابل حيها بصغير يلعب فقال له هل أنت عارف بليلى قال نعم قال امض اليها وانشد • وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت • وعدا لي فسأحسن منة لبك فمضى الغلام فانشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحي فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دنانير وأقبل فجدد زيارتها ثم قال لها مكنيني من تقبيل يدك وفي الروض النضير انه سألها قبلة فانشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فخلف انه لم يرد سوأ وان نفسه قد حدثته بان يجرب بها فاستشاطت شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين فخرج فقتل في الوقعة ولما وقع وبه رمق ادركه ابن عمه فقال له هل لك حاجة قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وأنشد

ألا هل فؤادي من صبا اليوم طائح * وهل ما وأت ليلى به لك نايح

وهل في غد ان كان في اليوم علة * سراح لما تلوي النفوس الشحائح

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

ولو أن ليلى في السماء لاصعدت * بطرفي الى ليلى العيون الكواشح

ان قلت ما نصحك الا الذي

قال وما غشك الا الجنون

(وقال محمد بن شرف القيرواني)

قل للعذول لو اطلعت على الذي

عاينته لعناك ما يعنيني

أتصدني ام للغرام تردني

وتلومني في الحب ام تغريني

دعني فلست معاقبا بجنايتي

اذ ليس دينك في المحبة ديني

(وما احسن قول الآخر)

يقول لي العاذل في لومه

وقوله زور وبهتان

ما وجه من احببته قبلة

قلت ولا قولك قرآن

(وقال آخر)

اقدراعني بدر الدجى بصدوده

ووكل اجفاني برعي كواكبه

فياعاذلي دعني عساه يعود لي

ويا مهجتي صبرا على ما بكواك به

(وقال عرقلة)

قال العواذل ما الذي استحسنته

منه وما يسبيك قلت جميعه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

ياخيبة العاذل الذي قد

اطال في العذل واستطالا

عذبني ثم قال تسلو

عن حب ماما فقلت لا لا

(وقال ايضا)

ايها العاذل الغبي تأمل

من غدا في صفاته القلب ذائب

ولو أرسلت وحيا الىّ عرفته * مع الريح فى موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا أناله * الا كل ما قرت به العين صالح
سقتنى بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر التنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقورة النسا * امين القرى مجترة غير جانح
وما ذكرتى ليلى على نأى دارها * بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو أن ليلى البيتين قد سبق الكلام عليهما فى قصة المجنون وزفا بالزاى وقوله وهل تبكين ليلى يعنى وهل هى باكية اذا مت فليلى فى البيت فاعل حذرا مما توهم هنا وفى النزهة وماذكرته بيته على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما أنشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشدها الابيات او هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربى وأحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة واقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الاخيلية البيتين سلمى عليه لننظر فامتنعت فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم فى هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هى التى قصدت ذلك وهذه القصة رواها فى النزهة عن متفرقين وثقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها او انها احكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائنى عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذى عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال ادخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفى لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مختل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون واصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا

وتعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار عجائب

(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذا لتكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتى وأين منى ثقاتى
أين من يبتغى الىّ الوسيله
انا ميت فقبلوا فى اليه
فبيانى وحقه تقبيله

(وقال النور الاسعردى)

اقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بأنه مر التجنى
وقالت انه حلو اللسان

(وقال ابو الفتح قادوس فى الاكتفاء)

من عاذرى فى عاذل
يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله
قال كفى بالدمع شا

(ومثله قول شيخ الشيوخ بحماة)

اغضب العشاق منه انى
لم أبع فى حبه رشدى بغى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد
قلت كى تذهب روحى قال كى

(وقال ايضا)

راموا فطامى عن هوى
غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى جيبى يدى
وقلت خاونى والا

(ومثله قول الوداعى)

ولا ربعاء ولا عافطة ولا نافطة اذهبت الاموال وفرقت الرجال واهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقادلها مع تجبره فقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الامطار فكأنها تعديذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الاخص على الاعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على ايام مخصوصة من تاسع كانون أعنى كيهك الى ثامن عشر شباط أعنى امشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والاجثال اليبس والاملاق والهيعاء الحسنة والربعاء السيئة وعن الاصمعى الهيعاء مازرع فى سوى الربيع والربعاء مازرع فيه أوهما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفى تهذيب الاصلاح للتبريزى هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما فى اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة ويقال ايضا الاثاغية ولا راغية أى لاغنم ولا ابل ثم مدحته حتى استغنى وقال لم يصب وصنى منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك فقالت ويحك انما اراد بالعطاء فراجعه فغضب وامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التى مات توبة من حبها ثم قال لها انشدينا ما قال فيك فأنشدت حمامة بطن الواديين فقال وما قلت انت فيه فقالت كثيرا ايها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دونى حمامة منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
اوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهى قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا * (ومن محاسنها فى توبة) *

أتته المنايا بين زعف حصينة * واسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبالك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برا فانكم * ستلقون يوما ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الابل المهارى رماحها * لتوبة من صرف السرى فى الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * نقته الخفاف بالثقال الهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر

يالائمى فى هواها
افرطت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا
ولا الصبابة الا

(وما احسن) قول ابن سنا الملك فى هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربما
نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا
حتى اذا اعييت أطلقت العنا

(وقوله أيضا)

دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى
فقبلته فى الخد تسعين أو احدى

(وقوله ايضا)

وظبى حكى ريم الفلا فى نفاره
فما باله لم يحكه فى التلفت
يدافعنى عن وصله بتهجم
فياليته لو كان يدفع بالتى

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اليكم هجرتى وقصدى
وفيكم الموت والحياة
امنت أن توحشوا فؤادى
فآنسوا مقلتى ولا تو

(وقال ابن المعتز)

زاحم كمى كمه فالتويا
والتف قلبى قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا
ياقرة العين ويا همى ويا

(وقال ابن مطروح)

والله لاخطر السلو بمهجتى
مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

وتوبة أحيى من فتاة حيية * وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن ابرادا عتاقا لفتية * كرام ورحل قيل فى الهواجر
ولم يتجل الضيفان عنه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بحادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير قاتر

(ومنها)

فأقسمت ابكى بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكى البواكى او كبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداه وغامر
كأن سنا ناريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أيا عين بكى توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبكى عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه * ومايبعث الاحزان مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسيرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الصحاح ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت اولى العدو سقيتها * بصبيب مسكوب المزاد المقير
ولما اهابوا بالنهاب حويتهم * بخاطى البضيع كره غير أعسر
بجر كتر الاندرى مشابر * اذا ماونينا مخصف الشد محضر
وألوت بأعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسور
ألم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت فى القنا المتكسر
فياتوب للهيجا وياتوب للندى * وياتوب للمستنبح المتنور
ويارب مكروب اجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

(رجع الكلام فى العذل)
(وقال الآخر دوبيت)
لما نظر العذال وجدى بهتوا
فى الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما تحسب الا انبا نعذله
يسمع متى يعقل من يلتفت
(وقال الآخر)
قالوا اسلوا واطرح هواه
فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لاتطيلوا
والله واقعه ما افكه
(وما أحسن) قول شهاب الدين
ابن الخيمى رحمه الله
وعذول رابنى فى نصحه
كلما زدت ابازاد لجاجا
ما عذولى قط الاعاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى
(وقال آخر)
لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه جميل
(انشدنى) الشيخ برهان الدين بن
القيراطى
ذهب العمر بالوم
وصدود من غزال
فى سبيل الحب عمر
ضاع فى قيل وقال
(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)

وأنشدته غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرطنا فانعم عليها فوق ما سألت ثم قال لها هل بقي لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة احكم فيه بما أرى وكان يتهاجى هو واياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها وأظنه الذى سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل فى طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلد من اعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول

(ومنهم عامر بن سعيد بن راشد)

وينسب الى كعب بن الاميل الطائى كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال فى النزهة ان ولادتهما كانت فى ليلة واحدة ونشا غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة فمات أثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزرى لم يمنعه منها الاملاقه وانما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه فى العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيئ على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف قال الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت فى طلب ضالة لى فوقفت على هذا البيت او قال نزلنا على ماء لطيئ فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها واخرج الحكاية فى نديم المسامرة عن ابى عمرو بن العلاء عن تميمى فأسندها الى الاصمعى وأخرج الدقاق عن لاسدى ان المباشر للحكاية هو الاصمعى وعلى كلا التقديرين فمحل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت رأى عجوزا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفى كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدى وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعنى أحمق وأنا وامق يعنى صادق الالفة فلست كهو انما أنا كاخى تميم يعنى جميل حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

لو رأى حسن وجهه
عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما
قيل فى دورد رهم

(وقال أيضا)

لج العذول ولامنى
فيمن أحب وعنفا
فهممت الطم رأسه
مما لقت تأسفا
لكنما زلقت يدى
وقعت على أصل القفا

وما أظرف قول النور الاسعردى

وقالوا دع المعشوق واهجره دائما
ألم تره بعد الملاحة ينتف
أينتف من أجلى ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف

(وقال آخر)

قل للعذول أطلت اللوم فى قمر
يزيد فى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب
قم فانظر الورد فى خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادى)

ان لامنى من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد
أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

أنت الحبيب الاول
ولك الهوى المستقبل

ألا قاتل الله الهوى كيف قادني * كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للمليحة لا تعود * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي * فما لك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف ياأملي شديد
فلو كنت المريضة لا تكوني * لعدتكم ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عداني ان أزورك يامنايا * معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم خرت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يروعن الاخفش وبعض تعبير في الابيات فان الاخفش لم يرو الثالث وروى التميمي لم تعد في اي بدل لا تعود و* مرضت فعادني أهلي جميعا * وفي النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفي قولها عن التميمي * عداني أن أعودك يا حبيبي * معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعي بغيك الطير المصلت من تنعى قلت فلانا قالت أو قد مات قلت نعم وعن الاصمعي انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله اذكر له الشعر فانشد

سبق القضاء بأنني لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبي

فانشد

أخلو بذكرك لا أريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكي فيطربني البكاء وتارة * يأتي فيأتي من أحب أسيرا
فاذا أتى سمج بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

(ومنهم ما حكى الاصمعي)

قال بينا أنا أسير اذ جنني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

أنعم الله بالخيالين عينا * وبمسراك ياسعاد الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبر * وعسى ان تراك او أن ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبروني ان هذا الرجل منهم أحب ابنة عم

عندي لك الود الذي
هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد
والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو
د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى
لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ
ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي
وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من
غضب الحبيب وأسهل

(وقال أبو العتاهية) لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له اما آن لك ان ترعوي وتزدجر فرفع رأسه الي وقال

أتراني يا عتاهي
تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسدا با
لنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته وقال جو بان القواس

أصغي الى قول العذول بجملتي
مستفهما عنه بغير ملال

هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت المليلة قلت وهذا جائز أن يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة الهيا كل الجسمانية أعظم

(ومنهم فتى أسدى)

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بأرفع منها وأبى الغلام الا هى فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فأنشد

لعمرى يا سعدى لطال تأيمى * ومعصيتى شيخى فيك كلاهما
وتركى الحيين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواى عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبى لا تعجل لتفهم حجتى * كفانى مابى من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسى تسيل من الوجد
غلبت على نفسى جهارا ولم أطق * خلافا على أهلى بهزل ولا جد
ولن يمنعونى ان أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار فى جدث وحدى
فلا تنس ان تأتى هنالك فتلتمس * مكانى فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما لها فمات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول

انا الكريمان ذوا التصافى * الذاهبان بالوفاء الصافى
والله مالاقيت فى تطوافى * أبعد من غدر ومن اخلاف
من ميتين فى ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور)

قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وجداتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذى كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان فى الملك كما هو مشهور ضاع أمر الغلام قال فى الشامات فأخذه عمه ابو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة وهى من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما ووقائع فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى ابرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره انه ساع فيما لا يدركه فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما غيبها الفزارى وكان عندها من العشق لعمرو اضعاف ما عنده لها فكانت تنشد

لتلقطى زهرات ورد خديكم
من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق والصب الوامق الاتراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصانع وجفى من عدله جفى النحل محزوجا بماء الوقائع فهو فى هذا المقام من الاثبات كما قال أبو الشيص من أبيات

أجد الملامة فى هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمنى اللوم

(وقال ابن رشيق) وقد زاد على أبى الشيص فى قوله هذا ابن جابر الخزاعى حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما
أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى
أخذ الرشا منى الذى يلحانى
حسبى لقول الناس بعد منيتى
هذا قتيل فى ودادة فلان
فلانفقن عليك عمرى كله
ولاعشقن عليك كل هوان

قلت والذى أقوله أنا فى هذا المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام ونديم كؤس المدام الاتراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة فأصبحت حالته كما قيل ضغث على أباله فهو كما قال بعض السادات من اهل الولايات

الفزارى اذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحى أن يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول الا الاقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال القريانى فى عجيب الاتفاق فى تطابق أحوال العشاق فمرض عمرو مرضا كاد ان يأتى على نفسه فكان لا يرى الا شاخصا الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران او كالسحائب

أورد طلوع الفجر والليل قاتل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب

فما أسفى الا على ذوب مهجتى * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس ان سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدانى

فقد آن للدهر الخؤن بانه * لتأليف ماقد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال القريانى فضبط اليوم الذى مات فيه فوجد موت عقيلة فى ذلك اليوم أيضا وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت فى طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جادت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء فأنزلتنى فلم ألبث الا ريثما أخذت الراحة وقد دخلت لى جارية كانها القمر فحييت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى فلما رأت ذلك فى عينى قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها اهل المروأة والكرامه

الا فسقى المليك أجش جونا * يجود بصحة تلك اليمامه

أحيى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فأنشدت

لو تعلم العوام ما فى قلوبنا من
جلاوة العفو لتقربوا الينا
بالجنايات ومثل قوله هددت
بالسلطان قول الآخر
وان نذرت فيك العشية قتلى
فالموت عندى فى هوى السلام
ومن أعجب الاشياء خوفى فى الهوى
ولى كل يوم فى حمى الحمام

(وقلت أنا)

وعاذل بالغ فى عذله
وقال لما هاج بابالى
بعارض المحبوب ما تنتهى
قلت ولا بالشيب والوالى

(وقلت أيضا)

عذلوا على من رام قتلى فى الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن فى الـ
محبوب غير الطعن فى الميدان

(وقلت أيضا)

كم خالف العذال قولى فى الذى
فى كل يوم حسنه يزداد
ان قلت أمسى فى الملاحة مفردا
قالوا انثنى عطفه المياد

(وقلت أيضا)

يا عاذلى لا تلحنى
فى حب هذا القبطى
واقطع بوصل بيننا
بالله رأس القط

(وقلت أيضا)

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير
ومالى فى التبعل من براح * وان ردّ التبعل لى أسير
ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم أنشأت تقول
يخيل لى أبا كعب بن عمرو * بأنك قد حللت على سرير
فان يك هكذا يا عمرو انى * مبكرة عليك الى القبور
ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ما حكاه الاصمعى)

وقد قال له الرشيد حدثنى بأعجب ما رأيت قال أخبرنى السميدع بن عمرو الكلابى وقد جاوز المائة قال كنت كثير الاسفار فمررت قاصدا اليمامة ببيت يلوح وقد قرب الليل فأردت المبيت عنده فقالت لى امرأة منه أضيف أنت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ولكن تنح حتى يأتى رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتى وجلست واذا بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت فى دونه كفاية فأكلت وأخرجت دقيقا فأطعمت ناقتى وتوسدت ذراعها واذا بخيم قد حال بينى وبين البيت ثم غفت عينى فلم أفق الا وشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فأضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدم الينا فأكلنا ثم قال لى كن هنا حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم أقض حقك فأقم عندى يومك فقلت سمعا وطاعة فركب ومكثت ساعة واذا الجارية تقول لى أجب ابنة عمك فقلت كيف أكلها وقيمها غائب قالت من وراء حجاب فأقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم أتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عنى هذه الرسالة وأعد الى جوابها وأنشدت

أعلى العهد مالك بن سنان * أم سقاه أفاوق الغدر ساق
ان يكن خان او تناءى فانى * لعلى العهد ما استتاع رماقى
ما ألم الرقاد مذ بنت الا * بجفون قريحة الآماق
فعليك السلام ما الألا النو * روماد بى فى الثرى عرق ساق

ثم قالت لكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت فى اليوم الثانى خرج الشاب فقال يا ابن عمى هل أنت مبلغ عنى رسالة وعائد الى بجوابها قلت نعم فقال قف بقران بنى سعيم وانشد

أيا سرحتى قران بالله خبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها
فلو ان فيها مطمعا لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها
تغربت عن نفسى وأيقنت انها * تريد وداعا يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كانها مهرة تنشد

تحمل هداك الله منى تحية * اليه جديد كل يوم سماعها

مليح الترك لاسيما الخطابى
عليه الشيخ يعذر للتصابى
فدعنى من ملامك ياعذولى
ففى الخطا عين الصواب
(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى)
حكم الهوى صدّت فبت لاجل ذا
ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها
نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى
(وقلت)
أقول لقلبى قلبه يشتكى الاسى
هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذى أرى
مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو
(وقلت من قصيدة)
وازنت ميلى للعذول وقده
فرأيت ميلى للقوام رجيحا
يا عاذلى لا صاحبتك يد النوى
حتى توسد فى التراب صفيحا
ولقد نصحت بنى الصبابة فى الهوى
لكنهم لا يقبلون نصيحا
(وقلت) من قصيدة مدحت بها
مولانا السلطان الملك الناصر
فيامن جاء يعدل مستهاما
على حلو الشمائل ما أمرك
(وقلت) أيضا من قصيدة أمدحه
بها خلد الله ملكه مطلعها
لك من حبيبك ما تحب وتشتهى
فاجعل مدامك من مقبله الشهى

وخبرعن العيساء ان قد توجهت * عليها مراعيها وطال نزاعها
لقد قطع البين المشتت ألفة * عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شهقت شهقة فماتت فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة فاجابنى فتى

لم يحل عن وفائه ابن سنان * لا ولا غاله انتشاء الفراق
ان بين الحشا لهيب اشتياق * ليس يطفى سواه الا التلاقى
انما أبقت الهموم خيالا * باليا ممسكا بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحى أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فأقبل الشاب فقال لى ماشأنها فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته فقال فيها أنا أيضا ميت ثم اضطجع فكانما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية أخرجها فى نديم المسامرة والشهاب فى منازل الاحباب والحافظ مغلطاى فى الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيرها ما حكاه الشيرزى عن العتبى قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له الاتحدثنا بما عندك فى هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان فى المجلس أحسنت والله ياسيدتى أتاذنى لى أن أموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلى فأخبرتهم بالقصة وكان لى ابنة تهوى الشاب ونحن لاندرى فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وأنكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هى متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما خرجنا بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هى القينة ماتت حين بلغها موت ابنتى لانها كانت تهواها

(ومنهم ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعالى غلام أبى الهذيل) قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل اتقيا به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب أستسقى الماء فخرج شاب على أحسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلنى الى موضع أنيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلى ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن اغسل يديك للغداء ففعلت وجاؤا بطعام فأقبل يضاحكنى ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقانى وشرب ثم قال قم بنا الى نديم لى قد خلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقانى ثم أنشد يقول

اطأ التراب وأنت رهن حفيرة * هالت يداى على صداك ترابها
انى لاغدر من مشى ان لم اطأ * بجفون عينى ما حييت جنابها

واذا بدالك ثغره متبسما
فاضحك على ذقن العذول وقهقه

(وقلت) أيضا من قصيدة أرسلتها الى مولانا قاضى القضاة تاج الدين السبكى بدمشق الشام

ياساكنى السفح لى فى حيكم سكن
وأنتم فى سويدا القلب سكان
دمعى يزيد كما ماس لبعدكم
والعاذلون على ثورا ثيران

(ومنها)

قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
أنا الذى لا أبالى فى الغرام بما
يروى فلان ولا ما قال فلتان

(ومنها)

برهنت حسن الذى أهوى وقلت له
ما للعذول على ما قال برهان
مالامنى مذ رآنى فى الهوى رجبا
بنزح شعبان فمارمت شعبان

(تنبيه) كانت أسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولى فى البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا (ومن أحسن ما سمعت فيه)

وشادن مبتسم عن حبب

لو أن حشو جوانحي متلبس * بالنار اطفأ حرها واذابها

ثم أكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فأفاق فشرب وسقاني وانشد

اليوم ثاب لي السرور لانني * أيقنت اني عاجلا بك لاحق

فغدا أقاسمك البلا ويسوقني * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال قد وجب عليك حقي فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال عققتني ان لم تقل

جاور خليلك مسعدا في رمسه * كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم أعرف نوما حتى أصبحت فأتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فماتت فدفنها في بيته وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى أن لحق بها ثلاثة عشر يوما وأيضا من نظير المسلسل ما روى عن يونس النحوي قال نزلت بصديق لي بادية يقال له مالك العذري فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقي عن الخبر فقال رجل منا أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت أحب ان أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت أمه يا ولدي هذا عمك مالك ففتح عينيه وانشد

ليبكني اليوم أهل الود والشفق * لم يبق من مهجتي الا شفا رمق

اليوم آخر عهدي بالحياة فقد * أطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الشباب تبكي بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم أبكي لصب شف مهجته * طول السقام وأضنى جسمه الكمد

يا ليت من خلف القلب المقيم به * عندي فأشكو اليه بعض ما أجد

انشر ترابك امري الى النسيم به * أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هي تهوى الشاب قلت قال في النزهة عن الرياشي عن يونس هذا قال اجتمعت بصديقي بعد ذلك اليوم بعدة لا تزيد عن شهرين فقال لي أتعرف الشاب الذي مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازي زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب

(ومنهم ما حكاه الكاتب)

قال كنا في متنزه وقد أقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه

مورّد الخد مليح الشنب

يلومني العاذل في حبه

وما دري شعبان اني رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو علي من الدلال كأنه

غازان اذ يسطو على حرمانه

ان ردني عنه قضيب قوامه

فأنا القتيل بلحظه وبنانه

اني وحقك في هواه متيم

صب غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة ابن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبو ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه (ومن أحسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق)

عن أمره فقال من العشق فتذاكرنا أخبار العشاق فقلت الا أحدثكم بأعجب من هذا
قالوا هات قلت أخبرنى بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب
منهم شاب عليه أثر الجمال الا انه كالمتحلل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت
من الحى فقال من كم عهدك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وانشد

سقى بلدا أمست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويسيم
وان لم أكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص على كريم
الا حبذا من ليس يعدل قربه * لدى وان شط المزار نعيم
ومن لامنى فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم أغشى عليه فنضحنا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعى * وانفاسى تزين بالخشوع
ولى عين أضر بها التفاتى * الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبى * كما انس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرنى بها فانى مطيع فقال أعلم انك محل ولكن
لم تدرك منى الاصبابة لا تتلافى ففارقته فبلغنى انه لم يبت تلك الليلة

(ومنهم ما حكاه فى منازل الاحباب)

قال كان فى بنى عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فأضنته حتى لزم الوساد
وسئلت فى أمره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرت عليك جنازتى * تمر على أيدى طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمى * على رمس ميت فى المقبرة مودع

فحلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن
حضرم الكلاعى

أتت وحياض الموت بينى وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم أغشى عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

(ومنهم ما حكاه ابن الجوزى)

ان رجلا علق جارية نصرانية وأخذ هواها منه حتى أزال عقله فحمل الى البيمارستان
فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد أيست من
ملاقاة فلانة فى الدنيا وأخاف أن لا ألقاها فى الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج
من عنده فوجدها عليلة وهى تقول قد أيست من فلان فى الدنيا أنا أسلم لالقاه فى
الآخرة ثم أسلمت وماتت

(ومنهم الحرث المشهور بابن القرند من خزاعة)

وقال فى الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر يتدرجين بالالفة الى أن بلغا
فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى أن عزمت يوما على أن تزور أباها فجهزها

قلت انجز دلفظا
حده يدنى الاجل
يا عذولى كف عنى
سبق السيف العذل
وعلى ذكر العذل والملام ذكرت
قول أبى نواس فى المدام
دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء
قال المفضل الضبى دخلت على
الرشيد يوما فقال دلنى على بيت
أوله أكثم بن صيفى فى اصابة
الرأى وجودة الموعظة وآخره
ابقراط فى معرفة الدواء فقلت
يا أمير المؤمنين لقد هولت على
فقال هو قول أبى نواس
دع عنك لومى البيت قلت وبقى
لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها
الحريرى فى درة الغواص عن
حامد بن العباس انه سأل على بن
عيسى فى ديوان الوزارة عن دواء
الخمار وقد علق به فأعرض عن
كلامه فقال ما أنا وهذه المسئلة
فخجل حامد منه ثم التفت الى
قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن
ذلك فتنحنح القاضى لاصلاح
صوته ثم قال قال الله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال رسول الله

اليه

اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان يأتي أحدهما الآخر مخافة ان تزرى العرب به فمرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولى منك فى الاحشاء اصدق شاهد
هو الموت ان لم تأتنى منك رقعة * تقوم لقلبي فى مقام العوائد

(فأجابته)

كفيت الذى تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذى تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا ان يقال تظننا * بى السوء ماجانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما فى الرقعة وانتشق ريحها وكانت اعطر زمانها غشى عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أحييته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكنى قاتلة نفسى عن قريب فلم يشعر بها الا وهى ميتة

(ومنهم عياش الكنانى)

قال هشام خرجنا فى حاجة وهو معنا فمررنا ببنى حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه اذا رمى فعصب قوسا وأقبل فى الليل وهى نائمة بين اخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لاوقظنهم فيقتلونك فخاف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده فتسكن ما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فخاف ان أمكنته من رشفة فى ففعلت وشعر به الحى فتبعوه فخرج على جبل واعقب الوقت مساء فرجع النساء وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحى وقد زهر القمر فرآها على بعد وقد اسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفت على الهلاك فقتل نفسه

(ومنهم ماروا اعرابى أوهو جبلة بن الاسود)

قال خرجت فى طلب ضالة لى فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا فى كهف هنالك فسألته القرى فرحب بى وانزلنى ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوى ويقدم الى ويحادثنى حتى اكتفيت فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرا ثم أنشد

مابال مية لاتأتى كعادتها * اعاجها طرب ام صدها شغل
لكن قلبى عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالى غيركم امل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد احلت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان غادية منه على جبل * لماد وانهد من أركانه الجبل

صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحى أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فى الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلى بن عيسى ماضرك يابارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضى القضاة وقد استظهر فى جواب المسئلة بقول الله تعالى اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل على ابن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ان الذى جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي وأبى علي لفقري وزوجها من رجل وقد حملها الى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فأنظر اليها وتعادت ليس غيره والآن قد قلقت لفوات ميعادها وفي الطريق اسد قد كسر وأخاف ان يكون أصابها فعلي رسالك حتى اعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد اصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي اسألك بالذمة الا ما دفنتني وإياها في هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية وغنا الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي اوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر في مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فأخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا على عدم الجمع بينهما

(ومنهم كامل بن الرضين)

وكان يحب ابنة عم له يقال لها اسماء فافتتن بها حتى انحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه اباها ان يزوجها منه فقال له احمله الي لازوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال اوانا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعته ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يتمتعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على غير التزاور برهة * فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبر ابحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة النهدي)

وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقاما مدة لايزداد حالهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى اودعها عند صاحب له وتعجل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم قالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ثم انشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت * عليها نساء من فصاح ومن عجم
ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها الليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى اكرمن محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم

ومعنفي في الهوى لو قد ذاقها
ما لامني لكنه ما ذاقها

قال اطرح صفراء يطفي خمرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها

فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا
في طرق لومك ان أردت فراقها

وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة
حيث قال

اعاذلي ليس مثلي من تفنده
وليس مثلك مأمونا على عذلي

ما دمت خلوا فما تفك متهما
اعشق وقولك مقبول على ولي

(وقال الآخر)

لو تعلم الورق حنيني نحوكم
لمزقت من طرب اطواقها

ولو يذوق عاذلي صبابتي
صبا معي لكنه ما ذاقها

(حكي) أن السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لا مدة لم نزر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد اشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات

ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة * براذن لم يشهد لك خال به وعم

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف)

تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام بن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة اغمى عليه ساعة ثم افاق وأنشد

بينما نحن بالبلاكث بالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لك الشو * ق وللحاديين ردّا المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما اقين من دلج السيـ * ـر وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال يا سبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطى الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بنى عمه فأخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن اناخ به الحب ثقله * حتى اذهب عقله)*

وهؤلاء المعروفون عند اهل القوانين بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من الجاهيل لاشتباههم بهم فيما تقدمت من الشروط

(فمنهم ما اخرجه مغلطاى عن الاديب)

قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس واخرى يسكن الخربات ويتوحش فررت به يوما فى خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمنى حبها واضـ * ـنانى وفى بحار الهموم القانى
كيف احتيالى وليس لى جلد * فى دفع مابى وكشف احزانى
يارب اعطف بقلبها نفسى * ترحم ضعفى وطول اشجانى

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا أنا به يتمرغ على الارض فلما ابصرنى قال يا عم أنا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ما ذكره ابن المرزبان فى الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة)

قال صحبنا شابا فكان لا يلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب ادلجت * وادركت السارى بليل فلم ينم
وفى صحبة التقوى غناء وثروة * وفى صحبة الاهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الاهواء واهجر محبها * وكن للتقى الفا تكن فى الهوى علم

طرب فأنشده

ماناصحتك خبايا الود من رجل
مالم ينلك بمكروه من العذل

محبتى فيك تأبى أن تسامحنى
بأن أراك على شئ من الزلل

(الباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وما قيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب وما يستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولو أن ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا واسدى له الفضل زائرا ومزورا كما قيل

ان زارنى فبفضله اوزرته
فلفضله فالفضل فى الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل ولو ألحق فيها الوابل بالطل ومن أحسن ما قيل فى زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبى من زارنى مكتتما
خائفا من كل شئ جزعا

زائرا نم عليه حسنه

فسألناه لمن الابيات قال لاخ لى كنت احبه شديدا ولم ار امزج منه مع التقوى فسألته الدنيا تلهيج بهذه ام لاخرى فقال لامر لا اخبرك به حتى ينفذ من يدى ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فأجمعنا على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى اين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من تريد لحملتك حاجة فقال له صاحب له انا مار حيث تريد فقال

تقرا السلام على الحبيب تحية * وتنبه بتطاول الاسقام

وتفيده ان التقى ذم الهوى * لما غدا مستغولا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

ان كان تقوى الله ذمتك ان تنل * اموراً نهى عنها فهى حرام

فزرنا النقضى من حديث لبانة * ونشفى نفوساً آذنت بسقام

قال فوثب قائماً ثم انشد يقول

ساقبل من هذا وفيه لذى الهوى * شفاء وقد يسلوا الفتى جد وامق

اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى * وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدى حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأى والدين وكانت له ابنة من أجمل النساء فوقف على الباب وقال

فها انا قد جئت اشكو صبابتى * واخبركم عما لقيت من الحب

واظهر تسليما عليكم لتعلموا * بأن وصولى ثم ذامنكم حسبى

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمره قلت له ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون

بالله ربك لا تمر ببابنا * انا نخاف مقالة الحساد

فقال يا صالح اقد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذى و يقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفى)

قال حدثنى صديق لى قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد الى سارية وورائه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد فقال قرصين وفالوذج واحضرتهما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل الله ان يساعدنى عليه فقال تمضى الى زقاق الفقه فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا تحملهم فمضيت وفعلت ما قال فخرجت الى عجوز فقالت قل له عليك من ذا عليه فرجعت اليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت

الصراخ

كيف يخفى الليل بدرا طالعا
رصد الغفلة حتى امكنت
ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال فى زورته
ثم ما سلم حتى ودعا

(وما احسن قول ابن المعتز)

زارنى والدجى أحم الحواشى
والثريا فى الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال الآخر)

زارت عليه غفلة الرقيب
كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
اقصر من جلسة الخطيب

(قال) الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتابه الواضح المبين أنشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر

يقولون لى بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال يعقوب الشيبانى)

قلت اذ زار من أحب وجنح الليل
روض أبدى النجوم نهارا

الصراخ وقد ماتت الجارية

(ومنهم ما حكاه السامري)

قال مررت أنا وصديق لي بدير هرقل فقال هل لك ان تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم بأبي من اين اقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك اقبلنا من كذا ثم قلنا له ما اجلسك ههنا وأنت اغير هذا المكان اهل وهو لغيرك محل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار في سلسلة وصوب طرفه الينا وأنشد

الله يعلم انني كمد * لا أستطيع ابث ما أجد
روحان لي روح تضمنها * بلد واخرى حازها بلد
اما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقربها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي اجد

قلت وسيأتي منه انه نسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا المحكي عنه هو لان خالدا لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتي فلم يبق الا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوي ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبي ما أسرع ذهابكما عيراني سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين منهمل
فودعت ببنان عقدها عنم * ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * يا نازح الدار حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي اودعها * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجونا لننظر ما يفعل ماتوا فقال اقسمت عليكم ماتوا قلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فاندمنا على شيء أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد ان قال فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم انظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال انشدوني شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له انشد فأنشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا ايضا أموت فقال له افعل ما شئت فتجذب حتى مات واخرج الزجاج في اماليه عن المبرد الحكاية أيضا لكنه قال فقال لنا انشدوني فقلت لرفيقي أنشده فانشد

قبلت فاها على خوف مخالسة * كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا * عني فقبلتها عشرا على مهل
غضي جفونك عني وانظري أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

مالك الحب زاره مالك الحسن
فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلسا حين يمشي
واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم
بسري الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا
لغاشي الظلام كن بردارا
وعلى ذكر البردار ما أحسن قول
الآخر دوبيت
يا ليل بك الثناء والمدح يليق
اذ انت لاهل العشق خل وصديق
اذ انت جعلت بردارا لهم
لا تعط عليهم قط للصبح طريق
(وقال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حبا في حبيبا
وغناء يسبي النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح
وكن أنت يا دجى بردارا
(وما أحسن قول شمس الدين محمد
ابن العفيف)
ومليح كالبدر زار بليل
فلاحسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي
بلهيب الهوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي
يجهل النزاع كيف استدلا

فقال انا وهذا القائل على طرفي نقيض فانه يرى محبوبه وانا مقصى فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلنا لمن قال لأنت . ولي قلت محسن ان اخبرت قال عقد لي أبي على ابنة عم لي ثم توفي وترك مالا كثيرا فاستولى عمي على المال ونسبوني الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الي فقال أنشدني انت فانك من أهل الادب فلم يحضرني الا قول الشاعر

قال سكينة والدموع ذوارف * تجرى على الخدين والجلباب
ليت المغيري بالذي لم أجزه * فيما أطال تصبري وطلابي
كادت ترد لنا المنى أيامه * اذ لا ألام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فقلت كأنما * ترمى الحشا بصوائب النشاب
اسكين ماماء الفرات وطيبه * منى على ظما وحب شراب
بالذ منك وان نأيت وقلما * يرعى النساء امانة الغياب

(ومنهم ما حكاه الاسدي عن أبيه)

قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذي أوجب لك هذه الحالة فأنشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي * دمي ودمي غال فارخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ما حكاه ابن غنيم)

قال مررت بخربة فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصبر مني ألف مرة أجزع

(ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب)

قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما أنا في بعض أزقة الموصل اذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين قد دخلت فاذا أنا بشاب في الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بي قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد فقلت العراق قال أتعرف بني فلان قلت نعم قال هم الذين صيروني الى ما ترى في عشقهم وأنشد

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله يرعاهم * لو ودعوا بالطرف أو سلموا
ما زلت أذرى الدمع في اثرهم * حتى جرى من بعد دمعي دم
ما انصفوا في يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

(ومنهم القويرك وهو من المشاهير في عقلاء المجانين)

قال الأبلي رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآني قال أما ترى ما يصنع هؤلاء بي مع

ما

(وقال الآخر)
يا حبيبي وأنت ما
زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة
بت فيها مهوما
حين وليت غائبا
افل البدر في السما
ليت شعري من الذي
من أخبيه تعلما

(وقال بشار بن برد)
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة
ثني ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمائة باض ديك ببغداد ورأت جماعة عن ذلك فاخبروني به (قلت) واخبرني الآن بعض الصوفية المقيمين عندي بالضريح انه باض عنده ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم أقام بعد ذلك سبعة ايام ومات (رجع الكلام وقلت أنا)

ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت له لست بمجنون قال بلى والله وبي عشق شديد قلت فأنشدني فيه شيئا قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما * فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد تكاثفا الحشا وتحالفا * على مهجتي أن لا يفارقها الجهد
فأي طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين ما منهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفي عنقه حبل يقودونه يا أبا بكر بماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال سفها فقلت له ومن الذي يقدر أن يصف عذاب الله فقال أنا والله في عذاب أعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وأنشد

انظر إلى ما صير الحب * لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حب من * من دونها الأستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت أكتمه حتى غلب فقال أنشدني ما قلت فيه فأنشد

كتمت جنوني وهو في القلب كامن * فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلي والجسم الصحيح يذيبه * فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد)

يكنى أبا القاسم ويعرف بالكاتب خراساني الأصل بغدادي المنشأ أحد كتاب الجيش في الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء ونقله في النزهة وقال إنها كانت تعتريه زمن الباذنجان فإذا جاء الشتاء حسن حاله وحكي في امتزاج الأرواح ورياض اللطائف أنه خرج إلى بعض الأعمال بأذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فأعجب بها وطلب أن يستصحبها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله فكان يصحو أحيانا ويغمر أحيانا فترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك في كتابة بعض الأعمال فمر بماجنة تغني

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وأنها أخبرته أنها تطلب الشام ثم أفاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا أرباب الدواوين ليسمعوا شعره وقيل قال له ابن الجهم يوما هب لي قولك

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك

فقال من الذي يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فأدخله بيته ثم قال له بعدما أخذ

لي حبيب له حبيب مواف
كل يوم يأتي إليه مرارا
قلت زرني فقال حبي عندي
شغل الحلي أهله أن يعارا

(وقلت أيضا من قصيدة)

زار الحبيب ووجه الورد خجلان
فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضر في ضيق عيشي حين واصلني
سم الخياط مع الأحباب ميدان

(فصل في نم الطيب على الحبيب)

ما أحلى قول ابن سكرة

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة
تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت
ونابت أشراقها اللألاء عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها
برق الثنايا وعطر النحر والنفس

(أخذه المعتمد بن عبادة فقال وأحسن ما شاء)

ثلاثة منعتها عن زيارتنا
خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما
تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره
والحلي تنزعه ما حيلة العرق

الراحة ماذا تريد قال هريسة ورطبا فأحضرهما فلما أكل قال له اسمعنى شيأ من شعرك فأنشد

تناسيت ما اودعت سمعك يا سمعى * كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن أين لى صبر فاجعله طبعى
هل الحب تجنيه على التقاية * فافرح بعد اليأس منى ومن نفعى
علام الجفا يا من كلفت بحبه * اتتلفنى بالهجر منك وبالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدى غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله وجد لك وجد اعظيما ثم قال له اسمعنى شيأ غير هذا قال حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

يا تارك الجسم بلا قلب * ان كنت أهواك فما ذنبى
يا مفردا بالحسن افردتنى * منك بطول الهجر والحب
ان تك عينى أبصرت فتنة * فهل على قلبى من عتب
حسيبك الله لما بى كما * انك فى فعلك بى حسبى

(ودخل) على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابى من هذا فقال أوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابى اسمعنا من شعرك فأنشد

لو كان من بشر لم يفتن البشرا * ولم يفق فى الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم من حلا ومنعقدا * سلك تضمن فى تنظيمه دررا

(فقال) له ابن الاعرابى كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق أنشدنا غير هذا فقال

أراك لما لججت فى غضبك * تترك رد السلام فى كتبك

حتى أتى على قوله

أقول للسقم عد الى بدنى * حبا لشئ يكون من سببك

فقال له انك الورق ما وصفته به ووقف عليه ابراهيم بن المهدى عشية وقد تلفع برداء اسود فقال له أنت القائل

قد بكى العاذل لى من رحمة * فبكائى لبكاء العاذل

قال نعم قال يا غلام ادفع له ما معك فقال خالد وما ذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفنى من أنت قال أنا ابن المهدى فأخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدنى من شعرك فأنشد

عش بحبيك سريعا قاتلى * والضنى ان لم تصلنى واصلى
قد طغى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
نهما بين اكتئاب وضنى * تركانى كالقضيب المائل

(وحكى) عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله

(وقال)
يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولج
أقبلت اهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

(قيل) ويستدل بالطيب على الملوك فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النميه

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

وقال محمد بن عبدالله النميرى فى زينب اخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الكفرات
يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن نصف الليل معتجرات

واطعامه لكنه قال فاطمته مرطبا فقط واستنشدته فأنشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه

يكاد يجري من القميص من الشعمة لولا القميص يمسكه

(فصل في ذكر من تجرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النسا وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان متهادا عية الاعتدا)

(حكى) صاحب النزهة قال نشأ بني سران شاب لبعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها احيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست مانأكل فأخبرت اباه فقال يالها نعمة ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على احسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون داعما متزينة متطيبة ويقول لها لا احب أن أراك الا كذا فلم تزل على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعي مررت أنا وصاحب لي بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها اعلام ذا الحزن الطويل فأنشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يافتيان

واني لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه حين يراني

فعجبنا منها ثم انحزنا فجلسنا بحيث لا تراناننظر ما تصنع فأنشأت

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسني * وكان يكثر في الدنيا موالاتي

قد زرت قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من أهل المصيبات

لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتي

فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثني بأعجب مارأيت فأخبرته بأمر الجارية فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجهها اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد مرة الاذرفت عيناه (وحكى) بعض اهل المدينة قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني فدخلنا عليها فاذا هي مخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كأنها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرني بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوقي الى من سار والذي ترى مما وصفت لك فان كنت ذا أدب صرفت العتب عن

(ومنها)

ولما رأت ركب النميري أعرضت * بكرولان يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لما أنه سمع الحجاج وهي مشهورة بين اهل الادب اضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي

فسر بنا في ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على أميال

(وقال ابن الرومي)

اعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون شمالك المسموعا

(وقال المتنبي)

وتفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

(فصل) ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

ذى الكرب واجتهدت فى الطلب لدواء من أشرف على العطب وأخذت العود فغنت تقول

سيوردنى التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله الا ان أموت صبابة * ولست لما يقضى الاله بمالك
كأن بقلبى حين شط به النوى * وخلفنى فرداً صدور النيازك
تقطعت الاخبار بينى وبينه * لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلى بغنائها فقلت جعلنى الله فداءك وهذا الذى صيرك الى ما أرى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستقرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس وأبى الاجماحا البيتين فاسكتتنى بجوابها عن المحاورة وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكى) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير بن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم فى وجهى ثم قال

لئن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها امتاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت احدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا انا بين المسجدين أو قال على اثاوة الاعرج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب الظبى بقرنيه فى الرجل فدخلا فى جوفه فسقط وسقط الظبى ميتين أو قال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا ورجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهى تقول

ياحسن يابدال لكنه أجل * على الاساءة ما أودى بك البطل
ياحسن قلقل احشائى وازعجها * وذاك ياحسن عندى كله جلل
أمست فتاة بنى نهد علانية * وبعلها فى أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن به * فحال من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفى رواية وبعلها فوق ايدى القوم محتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال اتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعنى ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكى) ان امرأة أحبت رجلا وكان ممتنعا عنها زمانا فراسلته ان يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكى وتنشد

كفى حزنا انى أروح بحسرة * واغدو على قبر ومن فيه لايدرى

خبروها انى مرضت فقالت
اضنى طارفا شكا أم تليدا
واشاروا بأن تعود وسادى
فأبت وهى تشتهى ان تعودا
واتتنى فى خفية وهى تشكو
الم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك
أن أمالت على عطفا وجيدا
(أنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ
جمال الدين بن نباتة
وملولة فى الحب لما ان رأت
اثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم
أنا بالسقام وأنت بالاعراض
(وما أحسن قول السليمانى)
وأنا الذى اضنيته وهجرته
فهل صلة أو عائد منك للذى
(وقال الآخر)
لاتهجروا من لاتعود هجركم
وهو الذى بلبات وصلكم غذى
ورفعتم مقداره بالابتدا
حاشاكم ان تقطعوا صلة الذى
(ومن عظيم مايحكى) عن الملك
المعظم عيسى بن الملك العادل أن
شرف الدين بن عنين كتب اليه
وهو ضعيف

فيا نفس

فيا نفس شقي جيب عمرك عنده * ولا تبخلي بالله يا نفس بالعمر

فما كان يأبى ان يجود بنفسه * لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة (وحكى) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسي فتى اوفى البرية كلها * واقواهم في الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف في حبي يصبر واذا لحي عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما للذي يهوى ويكتم حبه * من الامر الا ان يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه (وحكى) رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا انا بجارية كانها قرة تشوق بصر من ينظر اليها فلما رأتني قالت مالك قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي اعطاكهن هو الذي أخذهن وهو أحق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فأعجبني كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبلتك ليس لك مانع من أدب أما لك زاجر من الحياء فقلت لن يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت ألك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت

الى وان عرضت اشياء تضحكني * لموجع القلب مطوي على الحزن

اذا دجا الليل أحياني تذكره * وزادني الصبح اشجانا على شجني

وكيف ترقد عين صار مؤنسها * بين التراب وبين القبر والكفن

ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسناء لم تكن

ابكي عليه حنينا حين اذكره * حنين والهة حنت الى وطن

ابكي على من حنت ظهري مصيبته * وطير النوم عن عيني وأرقني

والله لا أنس حبي الدهر ما سجعت * حمامة أو بكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فأطرقت مليا ثم انشأت تقول

كنا كغصنين في أصل غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني ان خانني زمني * ان لا يضاجع انثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنيات

انظر الى بعض مولى لم يزل
يولي الندى وتلاف قبل تلافي
انا كالذي احتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي
فحضر اليه الملك المعظم بنفسه
ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال
أنت الذي وهذه صلتك وأنا العائد
قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة
والموصول واجاد وعامله الملك
المعظم في السبق الى فهم مقصوده
معاملة الجواد ولو وقع هذا
من مثل سيبويه لكان ادل دليل
على فضله وسداد نبله فما الشان
بوقوعه من هذا الملك المعظم شانه
العظيم سلطانه فكم أقر لابن
عنين عينا ووفى عنه دينا
فنال به السول وطرب من
الصلة والعائد بره الموصول
لا جرم انه ملأ بمدائحه ديوانه
وقال فيه من قصائده لطنانه
كريم الثنا عار من العار باسل
جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية
هي الشمس لاقصى سناها وللادنى
(ولي انا من قصيدة) في هذا الوزن
امدح بها مولانا السلطان الملك
الناصر مخلصها

فاصرف عنانك عمن ليس يردعه * عن الوفا خلاف في الصبات

(وحكى) ابراهيم الموصلي قال كان كثيرا مايصف لي زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جارية كادا الغزال ان يكونها لولا ماتم منها ونقص منه فسألتها أن تغني فأخذت العود وغنت

اقفر مسن اوتاره العود * فالعود للاقفار معمود

واوحش المزمار من صوته * فماله بعدك تغريد

من للمزامير ولذاتها * وعازف اللذات مفقود

فالجو تبكي في أباريقها * والقينة الحسانة الرود

فركبت الى أمير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه قال لها هل لك ان اشتريك فقالت أما اذا اشتريتني فلا خيرلك في فرجها واعتقها واجرى عليها مؤنة

(ومن وفاء النساء) ان كسرى ابرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده أخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان في اصبعه فماتت

(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الفناء وكادت أن تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء)

ومما ينبغي ايراده هنا مصدرا الحكاية المشهورة عن حبابة وهي جارية في الاصل للاحوص وقيل لرجل مدني وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما أحسن الجيد من مليكة والـ * ـلبات اذ زانها ترائبها

ياليتني ليلة اذا هجع النـ * ـاس ونام الثيام صاحبها

في ليلة لا يرى بها أحد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار فبلغ أخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من افريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزينب بنت عبد الله بن جعفر وامهر كلا منهما عشرين الف دينار فخاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان افضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة فبلغه انها في المدينة فمضى اليها فقيل عصر فمضى اليها فقيل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها لولا أني اخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى انشد الافريقي وقد تبعتها نفسه

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

ان سار صحبي لم أملك تذكركم * او عرسوا فسهيم النفس والفكر

ولما مر بها على مكة شيعها الناس وقيل من المدينة وكانوا يأتي رجل الى ذي خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فأنشدت

تطاول غصن البان يحكي قوامه
فقلت له والله قد جئت في الهوى
ولكن بدا والتم والبحر قصرا

عن الناصر السلطان في الحسن والحسنى

(ومن ظريف ما اتفق) لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

فمن قوم ماذكرنا الامر
قط الا واشتهى ان لا يراها

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا اذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صفع اقبح أصل حانا)

رجع الكلام الى العيادة

ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقي ولم يعدني
وعارض السقم في أثر

لقد تغيرت ياصديقي
ويعلم الله من تغير

سلكوا بطن محيض * ثم ولوا راجعينا
اورثوني حين ولوا * طول حزن وانينا

ثم كتبت اسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصل بها الى سعدى البستها حللا ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقى عليك شئ وهى تعلم ما فى نفسه فقال لا فقالت بل انا أعلم فاخبرنى عسى ان اوصلك اليه فقال العالية يعنى حبابة فقالت أو تعرفها اذا رأيتها قال نعم فأخذت بيده حتى ادخلته عليها فسر وعظمت منزلة سعدى عنده وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهى أيضا جارية كانت لمدنى وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعا عظيما فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوما فسمعها تغنى من وراء الستر ولا علم لها به

كان لى يا يزيد حبك حينا * كاد يقضى على حين التقينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصل الشعر كان لى يا سقين فغيرته وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى أم عوف ويقترح عليها ان تغنى

متى أجر خائفا تسرح مطيته * وان أخف آمنا تنبو به الدار
سيروا الى وأرخوا من أعنتكم * انى لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكت يزيد بصبه لها بأن غنت اثر الصوت

أبى القلب الا أم عوف وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك انى لاحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع
تقر بقربها عينى وانى * لاخشى ان تكون تريد فجعى
حلفت برب مكة والهدايا * وأيدى الساجات غداة جمع
لأنت على التنائى فاعلمنه * أحب الى من بصرى وسمعى

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك وله والله لو أردته جرا جرا لجئت به اليك فقالت ما أصنع به انما أريد صاحبه أو ساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوما ان يغنى كل منهما ما فى نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة

(وقوله أيضا)
مرضت لله قوما
مافيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا
على اختلاف المعانى

ولهذا البيت اشباه وقلما نذكرتها فى كتابى الطارئ على السكردان منها ما حكى عن القاضى ابو بكر ابن العربى وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة اضربك به فانشأ القاضى أبو بكر فى الحال لنفسه

يهددنى بالرمح ظبى مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من أهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجب أحد منهم بطائل (وقال ابن النقيب)

سمعت بما تشكو وما انت واجد
فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وارسلت خطى فى العيادة نائبا
وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

خاف من بني كنانة حولي * بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما في نفسه فقال احتكمي فقالت تهب لي سلامة ومالها فأبى وقال اطلبي غيرها فأبت الاهي فقال أنت أولى بها وبمالها فغمت سلامة لانها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين الاخير ثم طلب يزيد شراءها فأعتقها وزوجها منه واختلفتا يوما في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألا حيّ الديار بسعد اني * أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضر يزيد ليقضي بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما له علي من الحق فأذن لها فقضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تتفقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما أرق اشعاركم يا أهل الحجاز فقال الاحوص انما هو لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الهوى * وان يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كأنما * علت فوقه ندافة العطب أغزلا

فيا عزان واش وشى بي عندكم * فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فأهلا وسهلا بالذي شد وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار في الدار وهو يقول السمك الطري أربعة ارطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه ذكرا اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد وأحسن صلته وكان ابن سريج أحذق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته وأشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم أومأت أن غن فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين ابن سريج

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد

أنت زودته جوى * بئس زاد المزود

ثاويا تحت تربة * وهي رمس بفدفد

غير اني اعلل النفس باليوم أو غد

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلي امسكتها ولا هجر
ولكنني اشفقت من أن ازوركم
فتعزوا آثار الكسوف على البدر
(وقال الشهاب محمود) في القول بالموجب
رأتني وقد نال مني النحول
وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا
وأورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني
غالطتني اذ كست جسمي الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني صدقت لكن سقاما
(وقلت) انا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها
شكوت الى الحبيبة سوء حظي
وما قاسيت من الم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني
فقلت نعم ولكن في السواد
(وما احسن قول مجاسن الشواء)
ولما اتاني العاذلون عدمتهم
وما فيهم الا للحمي قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مقصص بالياقوت فأشارت اليه ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى ابلك كيف أخذ مدهننا فقالت ما احوجه اليه ثم خرج فأمر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق أول القصة بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت اطرب مني فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فقضب واحضره فأرسلت حبابة فأعلمته ان لايطرب الا عندما تغني الصوت المذكور فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فأمر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة أخرى من أطرب مني فقالت مولاي الذي باعني فاستحضر معبدا فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى سوقت لحيته وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا فضحك الخليفة ووصله بألف دينار ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها وعزق حلة قيمتها ألف دينار قيل ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعي كان رجلا نهما اذا قدم اليه السماط لايصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه وأما أخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعي ما أعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندي وان الدهن في اكمام سليمان وأثر الخمر في ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولي الخلافة اثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ماعمر بأحوج الى الله مني فهجر الجواري والشراب أياما وقال لمسلمة أرجو ان لاتعتبني بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فأرسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلحنه ثم احتالت على اسماعه الخليفة قيل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فأوقفها بحيث يسمع وأنشدته فطرب وقال مروا مسلمة او قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه في ذلك وعاد قاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذي آمره بالكف عن ذلك مولى خراساني كان ذا رتبة عنده وأنه قال له سأحضرك معهن وأقول انك عمي فان عنفتني رجعت وفعل فشعرن به وقمن يضربنه فوقام يزيد ثم قال له ادوم على ذلك ام لا فقال دم فاستمر والشعر الذي انشده الاحوص هو هذا

ألا لاتلمه اليوم ان يتبلدا * فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا * لاعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

(وقال ابن النقيب)
ومابي سوى عين نظرت لحسنها
وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

(والاصل في هذا كله)
وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من الم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به اعين الانس

(وما احسن قول بلديينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكواغد)
اسم حبيبي ومايعاني
قد شغلا خاطري ولبي
قالوا علي فقلت قدرا
قالوا كواغد فقلت قلبي

(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)
وبي من قسا قلبا ولان معاطفا
اذا قلت ادناني يضاعف تبعدي
أترى برقي اذا أقول أناله
وكم قالها ايضا ولكن لتهددي

(وقال السراج الوراق)
قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي
لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريحة

وعهدى بها صفراء رود كأنما * نضى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى واسفل خلقها * جرى لحمه من دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جدلا كأنها * عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكى المسك منها وقد بدت * وريح الخزامى عرفه ينفح الندا
وانى لأهواها واهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
فقلت الا ياليت أسماء أصقبت * وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان فى زمن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجددا
تطوف رحاب الموقرات فكم أرى * أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فأوفيت فى نشز من الارض يافع * وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذى * اقرت له بالملك كهلا وامردا
وليس عطاء كان منه بمانع * وان جل عن أضعاف أضعافه غدا
اهان تلاد المال فى الحمد انه * امام هدى يجرى على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وجده * وقد أورثا بنيان مجد مشيدا
ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا
فأقسم لا انفك ماعشت شاكرا * لنعماك ما طاف الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الآن فى بعض أبياتها اتغييرا فى نسخة بدل اذا لم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعنى بالعزهاة بالمهملة فالزاى محب اللهو والطرب وبدل قوله وانى وان فندت وانى وان أغرقت وبدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوما هى وسلامة فغنينا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعنى قالت أنت فقالت سلامة اسمع باقيه واكلته فاجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول احسنت ياحبيبتى اتأمرينى ان اطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخففتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه وتعزلينه وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ماتصنع حبابة قال قد اتزرت بازار رخاوى وهى تلعب بلعبها فقال هل تقدر أن تمر بها على ولك حكمك ففعل فلاعبها ساعة واستل اللعبة وفر فانطلقت فى طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهى تقول عزلته واصطلحا واقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغنى ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا وانى مجرب ذلك ودعا بحبابة فأوصاهم ان لا يدخلوا عليه أحدا واحتجب معها ببستان له بقرية من الغوطة تسمى بيت رأس على زعم المؤرخون ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم

برشقها

فأجبتهم بعث الحمار وبعتها

(الباب الرابع عشر فى الرقيب النمام والواشى الكثير الكلام)

أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين كثير المين يرى المحب بعين المقت فى كل وقت ويرميه فى الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى وافقره ممن أحب وما استغنى فهو كالصبح قاطع اللذات تعيس الحركات قبيح المنظر سيئ المخبر كثير اللجاج يحرك دكان زجاج فهو والنمام فى الاذى فرسا رهان رضيعا لبان ومن ابلغ ما سمعته فى الرقيب

انا والحب ماخلونا ولا طا
فة عين الا علينا رقيب
ماخلونا بحيث ان يمكن الدهـ
ر بانى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ماقلت أنت الـ
ـح فرانى فقلت كيم الطبيب

(وقول ابن المعتز)

وابلائى فى محضر ومغيب
من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا
شرقت قبل شربها برقيب

(وقال ايضا)

قد دنت الشمس للمغيب
وحان سوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم
له حبيب بلا رقيب

رشفها بعنبة أو حبة رمان وقيل هي ابتاعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه واقام ثلاثا يرشفها ويضمها ولم يمكن أحدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فاذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال لمسلمة أنا أكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جويرية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما هيهنا كان المجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم او غد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فأمر بنبشها فقيل منعه اخوه وقال له يظن الناس انك أتيت في عقلك فجعلوا لك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال اراها أحسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل اقام أربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت على ما قيل في عهد المنصور (وحكى) عن رجل انه قال دخل على غلامي ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * وخالك المليك من الغموم

فعندك لو مننت شفاء نفس * واعضاء قذين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وامرت باذخاله فلم يجدوه فعرضت الكتاب على جواري وقلت من عرفت منكن أمر صاحب هذا فهي له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقي الكتاب والدراهم سنة في جانب البيت فبينا أنا يوما جالس اذ دخل على غلامي بكتاب مثل الاول وفيه

ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقي وحادي الموت يحدوها

حبست حاديها ظلما فحدبها * في السير حتى تخلت في تراقيها

والله لو قيل لي تأتي بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها

لقلت لا والذي أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها

لولا الحياة لبحنا بالذي كتمت * بنت الفؤاد وابدينا امانيها

فطلبته فلم أجده ايضا فغمني أيضا أمره وقلت للخادم لا يأتينك أحد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا شاب على ناقة الى جانبي وقد أخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والادب فسلم على وقال هل تعرفني قلت ردني قال أنا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من أمرك قال لم أطلب شيئا مما تقول قلت فعرفني اسمها لاكرمها

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب قال الصاحب ابن عباد

قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره

قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

(وقال آخر)

لسهم الحب جرح في فؤادي
وذاك الجرح من عين الرقيب

يوكل ناظريه بنا ويحكي
مكان الكاتبين من الذنوب

فلو سقط الرقيب من الثريا
لصب على محب أو حبيب

(وقال آخر)

يستقبلن من كمه مداما
ألذ من غفلة الرقيب

كانها اذ صفت ورقت
شكوى محب الى حبيب

(وقال ابو نواس)

لاحظته فتبسما
وخلا المكان فسلما

وبدا الرقيب فقلت لا
سلم الرقيب من العمى

(وقال الصفي الحلي)

من أجلك قال ما كنت بالذي يبوح بشيء وانصرف بعد أن أنشد

لعمرك ما استودعت سري وسرها * سواها حذارا أن تضيع السرائر
أصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة أن يغرى بذكرك ذاكر

(ومنهم) أبو عبد الله الخشاني عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها لو أرسلتها إليه فعساه أن يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف أصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهي قال قربك قالت فما تشتكي قال هجرك قالت فبم توصي قال بك ان سمع لي قالت اني أريد الانصراف قال لا تعجلي ثواب الصلاة علي فلما رآها ولت شهق شهقة فمات

(ومنهم) شاب بصري قال في النزهة اسمه ظريف بن نعيم الغفاري كان بأعظم حالة من الجمال وأمكن رتبة من المال وانه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة ان يرسله بتجر إلى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين إلى الاكتساب بالاسفار فلا تفجعني فيك فأبى إلا السفر فجهزله حملا وسار حتى دخل بغداد فأقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره إلى ان اشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري فحضر مع خواص التجار وجيء بجارية بهرت الحاضرين واشغلت الناظرين فكانت كلما اراد أحد تقليبها لم تمكنه من النظر إلى اكثر من عضو واحد وكانت كلما اراد احد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصري فأحبته واطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى اخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها إلى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فأخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له عليّ بالجارية التي اشتريتها فقال اصلح الله الامير انها روحي فلا تكن سبب هلاكي فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق لها ان عرف الخليفة ذلك فوجهها إلى الشام من ليلتها إلى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله اطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب إلى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة فأراد أن يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة ان رأى أمير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى ان تغني لي ثلاثة اصوات اقترحها ثم يفعل ما شاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس إلى أربعة أبيات فغنت فزق اثوابه ثم قال لها غني قول جميل * الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * إلى ستة ابيات فغنت فغشي عليه ثم افاق فقال غني قول المجنون * وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة * إلى اربعة ابيات فلما غنت قام فألقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ايظن اني أخرجت جاريتي وأعودها خذها يا غلام فاعطها لورثته او تصدق بها عليه فلما نزلوا بها نظرت إلى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

ومليح له رقيب قبيح
يتعنى وغيره يتهنى
ليس فيه معنى يقال ولكن
هو عند النحاة جاء لمعنى

(وقال آخر)

قالت صفا الوقت ولكن
الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب
ارضني قالت اذا

(وقال آخر)

احب العذول لتكراره
حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيب
يكون اذا كان حبي معي

(وقال ابو جعفر احمد بن الابار)

زارني خيفة الرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا
قلت ذره أق الجناب الرحيبا
عاطه كؤس المدام دراكا
وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا
واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من تسقيه
وتلقى الكرى سميعا مجيبا

من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير في عشق بلاموت

والقت نفسها في الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما وروي في الاسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

وقيل ان القصة وقعت بين يدي سليمان بن عبد الملك وانه اقترح في الصوت الاول قول امرئ القيس * افاطم مهلا بعض هذا التدلل * الى ثلاثة أبيات وفي الثاني * غدا يكثر الباكون منا ومنكم * البيتين (وفي الثالث)

تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق اني عنك مشغول
يكفيك مني عدو ثائر حنق * يكفه كحباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى

(ومنهم) الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض ايضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا فمادون ثم لحق بها وله فيها اشعار كثيرة (منها)

خليلي مرا بالعراق فناديا * الا من رأى قلبا من الوجد باليا
وان انتما أعييتما في ابتغائه * ولم تجداه فابغيا لي ناعيا

(ومنها)

دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن
أما تراني لاأثني على طلل * بعد الفراق ولا آوي الى وطن
وكيف يأنس قلبي بالديار وقد * أصاب فيها الردى من كان يؤنسني
ان الذين اذاقوني فراقهم * افنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت ايدي المنون به * ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن
جعلت روحي له من روحه عوضا * مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي اذ روحي تحل به * وصرت كالميت اذ لاروح في بدني
وكيف تذهب روحي بعده جسدي * وكان ان غاب تأبى ان تصاحبني

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزي في تنوير الغبش عن التنوخي والنوري يرفعانه الى اسمعيل بن جامع قال وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت الى خالي باليمن فكنت عنده في غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

الى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما
فداوي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت اعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فابت وقالت اني لفي

قال لابد أن تدب عليه
قلت ابغي رشا وآخذ ديبا
قال فابدأ بنا وأثن عليه
قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا
ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب
نال محبوبه ونال الرقيبا

(قال ابن بسام) لقد تطرف ابن الابار وأبر وأحسن ماشاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذي تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كني ولم يصرح حيث قال

فكان ماكان مما لست أذكره
فظن خيرا ولاتسأل عن الخبر

(وقال أبو نواس)

اذا هجع النيام نحل عني
وعني كان يصلح للدبيب
الذ النيل ما كان اغتصابا
بمنع الحب أو خوف الرقيب

(وقال ابو الوليد محمد بن حسان) الحنفي

نشر النسيم بعرفكم يتعرف
واخو الغرام بحبكم يتشرف

شغل عن ذلك قلت بعاذا قالت على درهمان فأعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب منى وأقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كانى بك وقد أخذت عليه اربعة آلاف دينار فلما كنا عند الرشيد او قال عند المأمون وبين يديه أربعة اكياس كل واحد الف دينار قال من اطربنى فله الف دينار فغنيته البيتين فرمانى بكيس واستعاد الصوت فرمانى بالآخر حتى اعطانى الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما اخرجه ابن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سرمن رأى ودجلة فى طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغنى

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا

كم يشتمون ويضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية اخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها فى الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين راى فعل الجارية القى بنفسه وهو يقول

أنت التى غرقتنى * كيف الهوى لو تعلمينا

لا خير بعدك فى البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا ودفنا وفى رواية الحافظ ان القصة وقعت فى بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذى القى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته وانما غنت هذا الصوت

ياقمر القصر متى تطلع * أشقى وغيرى بك يستمتع

ان كان ربى قد قضى كل ذا * منك على راسى فما أصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشغف بها حتى كان يأتى الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزل بها اليه فوجده نائما فنبهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها فحص برجله وحرك فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع)

فى ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق

وهذا القسم هو الذى ترجمه بمن ساعده الزمان بمطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك اما لشفاعة او جاه أو حيلة او عناية ازلية وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار أو مرمى بالعشق من جهة الجوار (فمن الصنف الاول) عبد الله بن ابى بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى أمرها فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد فى الاثر فجلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو

شرف المتيم فى هواكم انه
طورا ينوح وتارة يتلهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح
نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا
ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه
أخفى عليه من النسيم وألطف
وكأنما يفد النسيم دياركم
وله على تلك الديار توقف
(قال عروة بن عبد الله) كان عروة ابن أذينة الليثى نازلا فى دار ابى العقيق فسمعته ينشد لنفسه
ان التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة
أخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى
ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة
فى بعض رقبتها فقلت لعلها

لايدرى وجاء أبوه وهو جده عندها فقال له أجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك
عاتكة عن التجارة فلم ترتب فى ذلك ولم تقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها
طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فانشد

اعاتك لا انساك ماذر شارق * وماناح قمرى الحمام المطوق
لها منطق جزل ورأى ومنصب * وخلق سوى فى حياء ومصدق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على
غلام له فقال له انت حر واشهد انى راجعت عاتكة ثم ضمها اليه واعطاها حديقة على أن
لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لا تنفك عينى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى اغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر وأحمى فى الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون اشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا فى ذلك فأفتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج
ففعلت فذكرها على بقولها وآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله أن تقولوا
مالا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن على حتى قال ابن عمر من أراد
الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت انى لاضن بك عن القتل وخطبها مروان
بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ومنهم ما حكاه معبد المغنى) قال بينا أنا جالس اذ طرق بابى فقلت للغلام اخرج فانظر من
بالباب فخرج وعاد مستأذنا فأذنت فدخل غلام فوضع بين يدى ثلثمائة دينار وقال غن لى

بالله يا طرفى الجانى على كبدى * لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لالا أبوح حتى يحجبوا سكنى * فلا أراه ولو أدرجت فى الكفن

فعملت لهما لحنا شجيا وغنيته به فأغمى عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدى
ورجلى على أن اعيد الصوت فقلت أخشى ان تموت فقال من لى بذلك فغنيته الصوت فخر
مغشيا عليه فلم أزل أنضحه بالورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت
خذها وامض عنى فقال لك مثلها ان اعدته فشرهت عينى فقلت له ان اقم عندى
وا كل طعامى حتى تقوى نفسك واخبرنى بقصتك اعدته ففعل وحدثنى انه خرج غب
سماء وقد سال العقيق مع فتية الى متنزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس
بعينين لا يرتدان الا باقتناص النفس فأوقعت به وعاد مسلوب العقل فأقام لم يعرف لها
خبرا حتى كاد أن يقضى فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا أربع الوقت خرجنا بك اوان
الفرج فلا نعود الا بخبرها قال فلما جاء الا بان خرجنا الى المتنزه فاذا هن والنسوة كفرسى
رهان فقلت لبعض قرابتى قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال

فأتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر ألك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فأنشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عنى فأهلى بى أضن وأرغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف (وقال ابن رشيق)

تأذى بلفظى من أحب وقال لى
أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا

وقال اذا كررت لفظك دونهم
على فما يخفى دليل مريبنا

فقلت بلينا بالرقيب فقال ما
بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من اجاب

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فأخبرته القصة فأمرني باحضاره فأحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان أغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل واهله فلما حضروا امهرها الخليفة وزوجها منه

(ومنهم رجل عذري) دخل على معاوية في جمع فلما اخذ كل مجلسه قام فانشد

معاوي يا ذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل

اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي * وانكرت مما قد اصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عني فانني * لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي

وخذلي هداك الله حقي من الذي * رماني بسهم كان اهونه قتلي

وكنت أرجي عدله اذ أتيته * فاكثر ترداذي مع الحبس والكبل

فطلقتها من جهد ما قد أصابني * فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحياء فانفقت عليها الى ان املقت فرفع أبوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق علي السجن والقيود حتى طلقت كارها فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعد ذلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ويقول في آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زاني

قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان

حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو الي بحق غير بهتان

أعطي الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من ديني وايماني

ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع * واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابي انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسي عن بدني ثم أنشد

(وقال آخر)

ورقيب عدمته من رقيب
أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل في الظلام وعندي
هو كالصبح قاطع اللذات

(وسألت) في وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطي هل تحفظ شيأ مليحا في هجو الرقيب فسكت لحظة وانشدني لنفسه

قال لي صاحب يروم قريضا
في هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم في الرقيب شيء مليح
قلت ما في الرقيب شيء مليح

(وقلت) أنا من قصيدة

قد بسك قد غاب الرقيب فغن لي
وقل في ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفي عن أرض ليلى عشية
وأخرج منها خائفا يترقب

وقلت أيضا

عاذلي في الحبيب دعني فاني
برحت بي في حبه البرحاء
راقب الله في محب حبيب
من نجوم السماء له رقباء

(وقلت) أيضا من قصيدة

فبت ولي شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عني من السهد ذائد

(وقلت) أيضا من رسالة

وأما الرقيب فأمر عجيب وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو يأتيهم ذار من الذين يراؤون ويا ليس ابن فاعله

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي و يصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى اغيب في رمس واحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وشعرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح في اطمار * وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذا غدرت حر النار * خل سبيلي ما به من عار
لعلنا نرجع للديار * وان عسى نظفر بالاوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وامر ان تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار

(ومنهم) ما حكاه في منازل الاحباب عن بعض الجدوية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها الخين بلغناها قال المتوكل هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدي وجعلنا نستقري الاماكن ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى اقبلت جارية لم ير قط أحسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين اسقني ماء فقالت يا سيدي ليس هنا الاماء الغدران وانا لا استنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها واسرعت بكوز فضة فأومأ الى ان اشرب به فشربته ثم قال لها ان هو يتك تساعديني فقالت أنا الآن أمتك واما اذا صدق الحب في المحبة فما اخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا
أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هيئي نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

يا خاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لا عدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكأسك عن جليسك اذابي
قد والذي رفع السما ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فاسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ما حكى عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فابت عليه فكاد ان يطيش عقله

لا ينام ولا يخلى الناس ينامون فأذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان قعد قامت القيامه وان راح لا كتب الله عليه سلامه

(فصل في النمام والواشي وما اظرف ما سمعت في ذلك)

قال لي عودي غداة رأوني
ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مقلي به لسان وشاة
قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود
فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة واكباد الحساد (وقال الآخر)

لي عندكم يوم التواصل دعوة
يا معشر الجلساء والندماء
أشوي قلوب الحاسدين بها وأل
سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة (وقال وضاح اليمن)

فاعص الوشاة فانما
قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا أتو

فتنكر يوم عيد النصارى وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فأدخله فلما رأته قالت للبواب من هذا قال انها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل أتدرين من هذا قالت لا قالوا انها هو الخليفة فأجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى * منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول ايضا لما اشتهر أمره بها

ألا حبذا سعدى وان قيل انني * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا أن نظل نهارنا * الى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا أن يكون صليبا في الزنار (ومثل) ذلك ماحكى عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان فجلست معه أسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس
قد تجليتها بناي وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذي دلال * ساحر الطرف سامري عروس
قد خلونا بطيبة نجتليه * يوم سبت الى صباح الخميس
بين ورد وبين آس جني * وسط بستان دير سرماجيس
يتثنى في حسن جيد غزال * في صليب مفضض ابنوس
كم لثمت الصليب في الجيد منها * كهلال مكلل بشموس

(ويقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكي انه عاق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتي وأقام على ذلك طويلا وأنها قالت له يوما ان احببتني فاكو على رأسك صليبا ففعل وأنا رأيته

(ومنهم النجمي) وهو رجل من فزارة أو هو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه أن يزوجه بها فتسور عليها ليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسري فأقام جماعة فشهدوا أنه سارق وسأله فاقر ليسترها فأمر بقطع يده فرفع أخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاتق

لا تتعصوا ونهولك عن (حكي) انه غنى معن بحضرة السلطان عماد الدين زنكي صاحب الشام بقول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل
الواشي اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثني قوس حاجبه
كأنني كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فأمر باحضاره ليتخذه نديما ويحله من حضرته مقاما عظيما (وقال السري)

واقالك بالبشر الجميل مداهنا
فلي منك خل ما علمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة
يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الأثير)

اني بحبك مستهام مغرم
وسوى هواك على القلوب محرم
لا تسمعي قول الوشاة فانهم
زادوا الكلام ونقصوه وعمموا
فناي ان ترضي ولو عنيتي
اي والطلاق ثلاثة لي يلزم

(وقال آخر)

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستبيح دم الحجاج في الحرم
خصاله لست احصيها لكثرتها
لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمنكر ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة

ولولا الذى قدخفت من قطع كفه • لالقيت فى امرهاغيرناطق
اذا امدت الكعبان فى السبق للعلا • فأنت ابن عبد الله اول سابق

فتبسم خالد على الامر فلما استصحه أحضر أباها وامره أن يزوجها من الغلام فأبى فاجبره وساق المهر من عنده

•(ومنهم محمد بن صالح العلوى)•

قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابي قافلة الحاج فجمعنا مالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسى واصحابى يجمعون الى المال اذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت ابن الشريف صاحب السرية فلى اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونية بنت عيسى ابن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا اسألك أن تأخذ منى ثلاثين الف دينار مع الى اعطيتك ما فى يدك ولكن اسألك بفضلك أن لا يكشف لى احد وجها فناديت اصحابى فلما اجتمعوا قلت من اخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بى الخليفة وحبسنى بسر من رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من اهلك يريدان الدخول عليك ولولا أن دفعتا الى دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك احد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئا فلما بصرت بى قالت اى والله هو وبكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمى وقالت لو استطعت أن افديك بنفسى لفعلت ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبى نارا قدحتها النظرة الاولى فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانه • وتشعبت بشعابه اشجانه
وبدا الحين بعدما اندمل الهوى • برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه • صعب الذرى متمنعا اركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق • نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه • والماء ما سمحت به اجفانه
ياقلب لا يذهب بحلمك باخل • بالنيل باذل تافه منانه
واقنع بما قسم الاله فأمره • ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى • عصر النعيم وزال عنك اوانه

ولم يزل رسولها يعاودنى بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم امرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان ممن هواها اعظم على من السجن فلم ار الا أن اتيت ابراهيم بن المقتدر فاخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى

ومن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ المواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيء وقد أكثرت الشعراء من ذمه ومنا الفهم ابن رشيق فقال

لم كره النمام اخواننا
اما اخوانى وما أحسنوا
ان كان نماما فعكوسه
من غير تكذيب لهم مامن

(وقال آخر)
اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذران تكو
ن من الثقات على ثقه

(وقال آخر)
ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيبه بالوم ابلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

(وقال آخر)
لا تقتضاحى فى عوارضه
سبب والناس لوام
كيف يخفى ما اكابده
والذى اهواه نمام

(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

زوجني بها ولابن صالح فيها وفي ابراهيم مدائح كثيرة تركتها

(ومنهم جعد بن مهجع العذري)

قال عمرو بن أبي ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار وملح الاشعار مع انه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لي رجل تريد ابا المسهر قلت نعم اياه اعني فتنفس الصعداء ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمرك ما حبي لاسماء تاركي * صحيحا ولا اقضي به فأموت

قلت وما به قال مثل ما بك من تهيامك في الضلال قلت فمن انت قال اخوه قلت كانك واياه على طرفي نقيض ثم انطلقت اقول

اراك حسنة حجاج عذرة وحسنة * وللبارح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى * متى ما اقل يسمع وان قال اسمع
فلا يبعدنك الله خلا فانني * سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وانا بعرفة رأيت شابا لم تبق الارزء ومعه فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله فشكا الي ما به فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل ما بك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى ولوحه
انت حسيب الخصم يوم الدوحه

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثني ان له اخوالا من كلب وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطارد حمارا وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلي لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج فقلت امرأة انت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فحادثتها ساعة واخذها النوم فوالله لقد هممت بجراءة لما داخلني ثم راجعت المروأة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأبا كذلك ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك فاني موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت الف دينار ومطرف خز وقبة خضراء من ادم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد اتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة أنت والمرغوب في مثله فقلت لم اخطب الا لصاحبي هذا وهو ابن اختكم فقال الحسيب الكريم ولكن اخبرها بينكما قلت ما أنصفتني فأومأ صاحبي الي ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الى فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وامهرتها الفا وكسوت

استنفدت حبك عن جميع جوارحي
فوشت عيوني والوشاة عيون
ووددت ان جوانحي وجوارحي
مقل تراك ومالهن عيون
ياليت قيسا في زمان صبابتي
حتى اريه العشق كيف يكون

(الباب الخامس عشر في العتاب عند اجتماع الاحباب وما في معنى ذلك من الرضى والعفو عن ما مضى) اقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الزمن الاماني وبث هوى ارق من النسيم المتواني ثم في العتاب فوائد جمة وازالة كرب فلا يكن امركم عليكم غمة وهو على اقسام عتاب يوفي تاكيد المودة بحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الحق من الباطل ومن المعلوم ان للعتاب بين الاحباب اصلا وفصلا وقطعا ووصلا لابد منه ولا غناء عنه اللهم الا عند من لا يراه البته ولا يعاتب الحبيب الا فاته كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي امثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب

الشيخ الطرف وسألته ان يفى بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لى كثيرا مما اخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحنى اوتقول فتية * يضربها برح الهوى فتعود
فوريت عمالى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت

(ومنهم ما حكاه اسدى وهى من العجائب المستلطفة)

قال ضلت لى ابل فطلبتها فى قضاعة حتى اذا دهمنى الليل امسيت فى بيت تفرست انه كفؤ للضيف فناديت اهله فلبتنى امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلستنى عند نار فاصطليت واتتنى بعشاء كثير فاكلت وهى تحادثنى واذا ابل كثيرة قد اقبلت الى البيت وقد اقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا اظنه عبدا لقباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسدى فعلمت انه زوجها فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كانك تعجب منا فقلت إى والله وأى العجب قال احدثك بوصولها الى قلت ما اشوقنى الى ذلك قال اعلم انى كنت سابع سبعة اخوة اذا رأتنى غلمتنى عبدهم وكانوا يطرحونى للرعى ونحوه وفضل لنا بعير فقالوا امض فى طلبه فقلت ما انصفونى فقال ابى اذهب يالكع والا جعلته آخر ايامك وتهددنى بالضرب فمضيت وانا على اسوأ حال من البرد والجوع فدفعنى المساء الى عجوز عليها سمة الخير والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بى وتقول هل لك اذا نام الناس ان تدخل على فاتحدث معك فانى لم ار احسن منك فقلت دعينى من هذا واقبل ابوها واخوتها سبعة فناموا بازاء الخيمة فاغرانى الشبع والدفء فدخلت الستر فلما شعرت بى قالت من تكون قلت الضيف قالت اخرج لا حياك الله ولا صبحك فخرجت فزعا فلقانى كلبهم يريد أن يأكلنى وأنا ارده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فجاذبنا حتى سقطت أنا واياه فى حفرة لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى اذا ابصرت بى قالت وددت والله ان اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لى حبلا وقالت ارق فحين قاربت فم الحفرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال ابوها انى لاعرف من ابنتى ما لا ريبة فيه فامسكوا واخرجونا فاقبل على ابوها فقال ما فيك خير الا رجلك بها اتقاء الشهرة فقلت حين سمعت الحياة وهل عندى الا الخير فزوجنى بها على خمسين بكرة وامة وعبدا فرجعت الى ابى فاخبرته بذلك فاحضرها واقبلت بها اليهم فأخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما اقول *(ومن الصنف الثانى)* ما حكى عن على رضى

(وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد

(وقد قال بشار فى تقليل العتاب)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

(وقال سعيد بن حميد الكاتب)

اقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفعت
يباعد هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن اظرف ما سمعته فى من جنى من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت على ولا ذنب لى
بما الذنب فيه ولا شك لك
وبادرت لومى فبادرتنى
الى اللوم من قبل ان ابدرك
فكنا كما قيل فيما مضى
خذ اللص من قبل ان يأخذك

(ومنهم) من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود

الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها انى احبك فأخبرت عليا بذلك فقال لها قولى له وانا ايضا احبك فماذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا اجورنا من يوفى الصابرين اجرهم فمضت واخبرت عليا فدعا به وزوجه منها *(وحكى)* عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له فبلغه انها تهوى عبدا من عبيده فقال لها فى ذلك فقالت اعيذك بالله من هذا فاقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كاد أن يذهب عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا بمائة الف فقال بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فأعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله فى كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلانى وابلانى بحب دنية * وصبرنى حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرى ما حبى بحب ملالة * ولا كان حبى زائلا فتقضا
ولكن حبى معه دل يزينه * ويعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشى قال اشترى بصرى جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما فى يده حتى اذا املق ولم يبق معه شئ اشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما حضر بها السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت

هنيئا لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
اقول لنفسى وهى فى غشى كربة * أقلى فقد بان الحبيب او اكثرى
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى
اروح بهم فى الفؤاد مبرح * اناجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا لفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له اطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شئ فأمروا أهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده انشد يخاطب الجارية المغنية وساقية كانت له يقول

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة * من الله قد ايقنت ان لست باقيا
واذ قد نامونى وحانت منيتى * وقد جلبت عينى الى الدواهيا
اموت بشوق فى فؤاد مبرح * فيا ويح نفسى من به مثل مابيا

والقطيعه كما قيل
لاتفزعن مماع من
تهوى بتعداد الذنوب
ما نافس الاحباب الا
من يعيش بلاحبيب
ومنهم من يراه ولا باباه كما قيل
تصالح عاشقان على عتاب
فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر
ولا شئ الذ من العتاب
فلا هذا امل حديث هذا
ولا هذا امل من الجواب

(وقال آخر)
واحسن ايام الهوى يومك الذى
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب
(كتب) الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن
كتبت الى الحبيب بيت شعر
اعاتبه فاغضبه جوابى
اجبنى يا ملول على كتابى
فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا
وابعادا الى يوم الحساب

اعلموا

فأعلموا عمه بذلك فرحمه وبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ماعنده بلطف فاخبرها انه رأى جارية أخته فى نومه فعشقها واصابه هذا الحال فاعلمت اخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته * (وحكى رجل) * قال عشق عبد اسود لصديق لى بالمدينة جارية لرجل أيضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وحبسه فتوله وطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء فى الهوى غير انها * تجلد احيانا ومابى تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنونى عليها حين انهى واوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه (وحكى) عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية بسنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته فأخذت بجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم امرها فلما افضت اليه الخلافة استشار اهل سره فى امرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع ابيك ولا نأمن عليك فى ذلك فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فاخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على أمره فقال له مكنى مما اريد ولك على ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى منى ما يسرك ثم اعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه واخذ العراقى فى التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وساله قبولها فقبلها وقربه الى خواصه فزاد فى الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت ان فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطايب بذلك سرورى قال ياسيدى انا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقى فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فما أصبح الا وقد جاء العراقى بالمال فقال له ابن جعفر انا كنت مازحا فقال له ياسيدى انت تعلم ان المزح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى ان خدعه فأخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عنى بها فلا ترنى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية انا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاستترت فلم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد

(وذكرت هنا قول ابن رشيق)

وظبى من بنى الكتاب يسبى
قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه
واسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤادها
مسامحة فلا يعدى عليه

(وقال الشيخ العلامة ابو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)

وبتنا على حكم الصبابة مطمعى
زفيرى واحشائى وشربى المدامع
وحبى يعاطينى كؤس ملامة
وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما
تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر وعبرة لمن اعتبر وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه ثغر محبوبه بانياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسى أحديد أنت أم حجر وما أظنه ملا كؤس هذا الملام الا من ماء ملام ابى تمام حيث تجاوز الحد فى الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام

صرت لي ولكن اشترى فاني معدلك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا اخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هالك لم يرتفسه اهلا لها فاعادها اليه ولم يرلها وجها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقي حتى صار اعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف وأقاما على ما كانا عليه (وحكى) في الاغاني عن ابن أبي مليكة عن جده قال كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة فمر يوما بجارية تغني شعرأعشى بني قيس وهو

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالحدين فالفرعا

وانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه في ذلك فانشد

يلومني فيك اقوام أجالسهم * فما أبالي اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين الف درهم ثم احضر الناسك وكان الصوت الذي سمعه من الجارية بلحن عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد أغنا فيه الماء الماء فأتي بالماء فجعل ينضحه حتى افاق فقال له اسمعه من الجارية قال قد رأيت ما وقع لي منه مع من لا احبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل اعرف غيرها فأخرجها فوسلمها اليه وقال هي لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد اعدت عقلي واحييت نفسي ودعا له فقال ياغلام احمل معه مثل ثمنها مالا وثيابا وطيبا يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوي النعم تعشق قينة على اوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق ماله فاشار عليه بعض اصدقائه ان يأذن لها في الغناء عند الناس فانها مطلوبة ويحصل له بذلك الثروة ففهم لذلك واخبره ان الموت عنده أسهل من ذلك وقالت له الرأي ان تبيعني فتحصل من ثمني على غناك او اكون انا في ثروة فانه لا يشتري مثلي الا غني فحضر بها السوق فاشتراها هاشمي من اهل البصرة بألف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وفارقها صار كل منهما على اقبح حال من البكاء واجتهد في الاقالة قال فخرجت لا أدري الى اين اذهب اذ لا يمكنني الدخول الى البيت وقد اوحش منها فدخلت مسجد الجمعات والكيس تحت رأسي ونمت فما انتبهت الاوثاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلي مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاشتد ما بي فجئت فالقيت وجهي والقيت نفسي في دجلة طالبا ان اغرق فاستنقذني الحاضرون ظانين اني وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتي فمنهم من عنف ومنهم من رحم فخلا بي شيخ منهم فوعظني وقال لست اول من افتقر بعد غنى اما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير في النار فسكن ما بي قليلا ثم عاودني القلق فاخبرت صديقا

كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا تنزه عن الافراط في هذا
السلك واقتدى بقول ابن سنا الملك

واملي عتابا يستطاب فليتني
اطلت ذنوبي كي يطول عتابه

وفي غزلي ذكر العذيب وبارق
وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق بأخلاق الناس وتأسى
بقول أبي فراس

اساءه فزادته الاساءة حظوة
حبيب على ما كان منه حبيب

يعد على الواشيات ذنوبه
ومن أين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون
قصد معنى جليل القدر فحينئذ
يكون كلامي حسد بشراقة يا ام
عمرو

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

(وقال الآخر)

واذا الحبيب اتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

(واحسن منه) قول عتيق بن محمد
الوراق

كلما اذنب ابدى وجهه
حجة فهو مليء بالحجج

كيف لا يفرط في اجرامه
من اذا شاء من الذنب خرج

لى فاعطانى خمسين درهما واشار على ان اخرج من بغداد فعسى ان اجد من اكتب عنده من الاكابر لحسن خطى فعزمت على واسط لان لى بها صديقا من الكتاب فجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معه غريبا فتزيينا كاملك بعض الملاحين فوقع بقلبى ان الزلال الذى اشترى جاريتى فانسلى حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فلما وقفت الا وجاريتى قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء واكلوا وشربوا قال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت أول من فارقت مولاها وأحوا عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علقت فادلجوا * عمدا القتلك ثم لم يتحرجوا

وغدت كأن على ترائب نحرها * جمر الغضى فى ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء وادنوا فى ادنى فافاقت ولم يزالوا يلاطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم * وكان قلبى بالشفار يقطع

فدخلت دارهم اسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف جلبتم مجنونا اطرحوه فلحقنى امر عظيم فتصبرت فلما شارف القوم المنزل فى بعض الطريق اوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها فلما رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه فى هذا الوقت فبالله عليك الا ما انشرحت معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود على طريقة كان يحبها مولاى ويضرب معى وانه معنا فقالوا لها والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حملتم احدا واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا ياسيدى فاحضرنى وقال انى والله ماوطئتها وانا رجل قد وسع الله على ما اخذتها الا لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فاعتقها وازوجك بها ولا اريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وتنصرف فقلت كيف امنع ذلك عنك وانت سبب حياتى فقال للجارية ارضيت بذلك قالت نعم وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغنى وانا اقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلا ونحن غافلون فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة فاخذنى النوم ولم يدروا بى حتى سافر فأفقت بحر الشمس فلم اجد هم وعدت الى المحنة فجاز بى حمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم اعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد ما انقمت لاشكو اليه حالى فواتنى فتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالى الى

(وقال الحكم بن قنبر المازنى)

كانما الشمس من اعطافه لمعت
حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت
منه الاساءة معذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

وهذا ماخوذ من قول ابى نواس فى سياقه

وجهى اذا اقبلت يشفع لى
وبلا طرفك حسن ما خلق

وفيه زيادة بذكر ماخلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء واعذب ثناء

(وقال ابو فراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا
درجونا على احتمال الملال
أحسنوا فى فعالكم او اسيئوا
لا عدمنا كم على كل حال

(وقال أيضا)

الا ايها الجانى ونسأله الرضا
ويا أيها المخطى ونحن نتوب
لها القصر بمالك فى القرب وحده
ومن لا يرد الغيب حين تغيب

(وقال الآخر)

اذا مرضنا أتينا كم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال الآخر)

واذا ما غضبت يوما عليه

الرجل فاستحسن البقال خطي واسترث حالي وسألني عنه فلم أشرح له اكثر من انه لم يبق في يدي شئ فقال هل لك ان تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالي فأجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزادني اكرامي فزوجني بعد حول بابنته واشركني في ماله غير اني في خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي ان اخرج معهم وان عسى ان اظفر بأصحابي فاستأذنت الرجل فاصلح لي ما احتاج اليه وخرجت فما وصلت الاوالزلال بعينه في اوساط الناس فلم املك ان طرت اليهم فحين رأوني فرحوا بي وقالوا نحن منذ فقدناك ما شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتجلس قبر تجلس عنده تبكي ثم اخذوني وادخلوني عليها وهي على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة ما شككت في موتها فلما أفاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة واعطاني ثيابا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما كنت اجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجئت الى البقال فاعلمته بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية في احسن حال (وحكى) ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغني ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والخماس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون في ثوب خشن فادخلنا دارا خربة ففرش لنا حصيرا واجلسنا ورحل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا فاخذت العود وغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا ويتك موحشا مهجورا
فلقد اراني والجديد الى البلا * دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى * عندي وكنت بذالك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر في القميص فسمعنا لهما بكاء وشهيقا ثم خفيت اصواتهما حتى ظننا انهما قبضا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال اشهدكم انها حرة واريد أن تزوجوني بها ففعلوا وغم جعفر لفراقها وقال له ما حملك على هذا قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال انا ابن فلان وقد كنا من ذوي النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى الخماس ثم قال وكانت هذه الجارية لامي فنشأت انا واياها فادخلنا المكتب فبرعنا في الادب واخرجت هي لتعليم الغناء فلم اطق فراقها فصرت معها فلما برعت فيه طلبت امي بيعها فايقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لي وجهزوها لي ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الاكابر واظهرت الزهد

والعفة

اذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى
اترضاه كحي زول الملال

(وقال الآخر)
حججي عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول أنت ظلمتني
والله يعلم انني مظلوم

(وقال الفراء)
ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(وقال ابن المعتز)
اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره
وقد اجلك من يعصيك مستترا

(وقلت انا من رسالتي قرع الباب وانتظار الجواب) فنعوذ بالله من زلة العاقل ونبرأ اليه من التمادي في الباطل

وهذا الحق ليس به خفاء
فدعني من بنيات الطريق

فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال طق

(وقال الآخر)

والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فأقبلت في أرغد عيش الى ان
مات ابي فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال واكثرت من الهبة واسرفت حتى لم يبق
عندي الا هذا الثوب أتناوبه انا واياها فاشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة
الرأى انى ابيعك وأعلم أنى هالك اثر ذلك ولكني اختار أن تعيشي بخير فلما عرضت عليكم
ودخلت الى قالت لو كان عندك مني ماعندى منك ماذكرت بيعا فقلت أتحبين ان
أعتقك وأتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا في الحب فافعل
فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر قال الاصمعي فلما ركبنا قلت له انت تبذل الاموال وتغني
المحاويج افلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبت لفوت الجارية ثم التفت الى النخاس
وقال كم صحبت من المال قال ثلثمائة ألف دينار قال ادفعها اليه وأمره ان يأتيني غدا
فلما اعطاه النخاس المال واخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه كاد ان
يطير فرحا وأقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من
الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وأمر كلا من العسكر أن يهاديه ففعلوا واقام
في النعم (واغرب من ذلك) ماحكى أن أندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا
وأنه أراد بيعها للوحشة فلما سقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشتري في ماله فأبى
فتشفع عنده بأكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك وأخبره بحاله فأحضر المشتري وشفع
عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسي اليأس منها ألقى نفسه
من شاهق فابهت الملك وامر أن يتلقى فقدر انه لم يصب بشئ وجئ به الى الملك فقال الله
أكبر قد ظهر الحكم في ذلك ثم قال للمشتري قد رأيت مافعل هذا من حبها فان كنت تحبها
كما تقول فافعل كفعله فان عشت فأنت أحق بها فقال أفعل ثم هم بذلك ورجع فأمر
أن يلقى غصبا فلما دق ذلك قال اعطيته اياها فأخذت منه وأعيدت الى مالكها (وحكى)
ان المأمون افتتن بجارية من جوارى أبيه الرشيد وكان يكتم امره وكانت من خواص
الخدمة فبيناهي يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشار لها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة
بحاجبها الى أنها خائفة ففترت في صب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها
فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد أن يقضي من الخوف فضمه وسكن مابه ثم قال له اتحبها
قال نعم قال قم فاختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له أأنشدني في هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

(وحكى) أن ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت
المنصور وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعلمها حتى صارت من ألطف اهل

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بجو لا ناوقد وقف على
عتبة العتاب وقال من دق
الباب سمع الجواب فأجابهم
فان كنتم تلقون في ذاك كلفة
دعوني امت وجدا ولا تتكلفوا

(فصل في العفو والرضا والصفح عما مضى)

جاء عن على رضي الله عنه في قوله
تعالى فاصفح الصفح الجميل انه
الرضا بغير عتاب وقال تعالى
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون
ان يغفر الله لكم وقال صلى الله
عليه وسلم من لم يقبل من معتذر
صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض
(وقال الشاعر)

ذنبي اليك عظيم
وانت اعظم منه
فخذ بحقك أولا
فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن في فعالي
من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما احسن العفو من القادر

زمنا فوكلتها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتم حبه حتى سكر يوما فغنى

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
والذى أجلت خديه * فقبلت يديه
بأبى وجهك ما أكثر حسادى عليه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت لطلبها بما اراد فاخبرت مولاتها فوهبتها له فلما رآها مقبلة اعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه (وحكى) أن رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة والطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وأنه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله وأنحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع فى كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقى السنة عليلا فى بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه واطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من أمر الجارية ورغب اليه أن لا يفشى سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها وخرج بها يوم الموسم فلما اجتمع الناس قال أشهدكم أنى وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذل لك فيها الاموال قال دعونى انى احييت كل من على الارض لان الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكى) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له انا سائلك الملك من ظلامة وانتقص حرمتى قال من قال موسى شهوات قال على به فأحضر فقال له أنت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسى تتلف فى حبها ولم أكن أقدر على ثمنها فشكوت حالى الى اصدقائى فلم يجبنى احد فشكوت اليه فاستمهلنى ثلاثا وأتيته وهو جالس فقال لغلام عنده أخرج الوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندى من النفقة فأخرجها فاذا هى مائة دينار فصرها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل الى فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد * اخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

ثم أحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون الفا قال هى لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم

لاسيما عن غير ذى ناصر
بغاية القصد وأقصى المنى
وشيرمرحى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى
فماله غيرك من غافر
اعوذ بالود الذى بيننا
أن تفسد الاول بالآخر
(كان) أبو محمد اليزيدى ينادم
المأمون فغلب عليه الشراب
ذات ليلة فعربد فأمر المأمون
بحمله الى منزله برفق فلما افاق
استحيا وانقطع عن الركوب
أياما فلما طال عليه ذلك كتب
الى المأمون أبياتا منها
انا المذنب الخطاء والعفو واسع
ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت منى الكاس بعض ما
كرهت وما ان يستوى السكر
والصحو
ولاسيما أن كنت عند خليفة
وفى مجلس ما ان يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة
انا المنافقد عفونا عنك فلا عتب

فقلت

فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت ففيم انفقته قال في تفريج عن
صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكى) عن الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله
عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فاقول لها

ومن السعادة ان تحب وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه

(فتقول)

ويصد عنك بوجهه * وتلح انت فلا تغبه

(وحكى) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا انا بسوداء قائمة ساهية فأنكرت حالها
فمكثت ساعة ثم انشدت

اعمرو علام تجنبتني * أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت يا عمرو أخبرتني * أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها ومن عمرو قالت زوجي أوهمني انه يحبني حتى تزوجني وعندي من المال له
ماعندي ثم تركني ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لي بذلك
فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد
وصفته لي بأنه احسن ما أرى فاذا أنا بفتى على ماوصفت فأنشدته الشعر فقال قد رأيتها
قلت فما يمنعك منها قال والله عندي أضعاف ماعندها وانما منعني الاكتساب قلت فكم
يكفيك في كل سنة قال ثلثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشر سنين
فاذا فنيت أو قاربت فائتني اوجه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندي من
الحج (وحكى) ان بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديكبريكة وقال ابن الجوزي
سكباج وأبى ان يأكل معهم فاستمعوا الاجله فقال كلوا فلولا الاذى يلحقني منها الاكلت ثم
عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجيء بالغسول غسل يده أربعين فقالوا له ابك
وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذي قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال
اوصاني ابي وكان من ذوي النعم ولا وارث له غيري أن أحسن الانفاق والتكسب وأن
اسبق الى السوق وأتجر فيه فحفظت ما قال فبينما انا يوما في السوق سحرا وقد عرفني
الناس بذلك فكان ربما أتى ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فأقضيها فاكتسبت بذلك مالا
وجاها فبينما أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندي فرحبت بها
فرأيت نغمة وشكلا بهرني فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت اجلسي حتى
يتكامل الناس وقد أذهبت عقلي واطارت لبي فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم
فأخذتها وانصرفت ولم تعطني شيأ ولم أطق من دهشتي ان أقول لها في ذلك ووقع عندي
أنها محتالة فقلت ابيع ماعندي واعطي الناس وألزم بيتي فمضى على ذلك اسبوع فبينما أنا
جالس اذ أقبلت على العادة فقعدت واجلستها ونسيت ما كان عندي فقالت قد ابطأنا

عليك وبساط النبيذ يطوى معه
أخذه الشاعر فقال

انما مجلس الشراب بساط
فاذا ما انقضى طوينا بساطه

(وقال ابن سناء الملك) وأما ذلك
الحبيب فأنه حضر متفضلا وجاء
متذللا لا متدللا واستجار بحرم
الحرمة وخفض جناح الذل
من الرحمة واعتذر بأن الادلال
دلاه بغرور واوقعه في أمور
واخرجه من الظلمات الى
النور فقبل عذره وقبل ثغره
وامتثل أمره وثنى عنان القلب
اليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة
جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

(وقال الآخر)

وزعمت أني ظالم فهجرتني
ورميت في قلبي بسهم نافذ
نعم ظلمتك فاعذري وتجاوزي
هذا مقام المستجير العائذ

(وقال ابن زيدون)

يا قمرا مطلعه المغرب
قد ضاق بي في حبك المذهب

عليك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ماربحت في ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فأخذتها ومضت فما ودنى مامضى فأبطأت فقلت والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار ثم طالت غيبتها أشهرا وطالبنى الناس فعزمت على بيع عقارى ومالى اوقال بعت وأوفيت واذاهي قد أتت على العادة ونزلت عندى فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار فقالت هل لك زوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته في أن يكلمها في فصلك وقال هي والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها في ذلك فضحكت وقالت الخادم يأتيك برسالتي ومضت ولم تأخذ شيأ اذلم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لى أنها عملوكة لام المقتدر وقد رغبت في جعلها قهرمانة فلما تألفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك فأبت دون أن تراك وقد أخذوا في حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم أمرك وهي ان تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم صناديق فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلوني في صندوق منها وجعلوا في الباقي ثيابا وحملوها الى الدار كلما جاز وابطبقة من البوابين يريدون ان يفتشوا ذلك فتمنعهم حتى عارض خادم وقال لابد من تفتيش هذا الصندوق فأدركني من الخوف ما انساب معه البول مني فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه أوانى ماء الورد فقال اذهبي فضوا حتى أخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى اتتني يوما فعرضتني على السيدة فرضيتني لها فاحتالت في خروجي وأمرتني بأن اتزين في احسن زينة الى باب الخلافة ففعلت فأخذوني واجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتي ففرحت فرحا أطار عقلي غير أني جعت جوعا احرق احشائي واستطعمت الخدام فلم يطعموني لانهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني فشكوت اليه الجوع فقدم لى دبكبر بكة فأكلت وغسلت يدي غسلا ظننت معه النقاء فلما خلوت بها رفستني وقالت عجبت كيف تفلح وأنت عامي سفلة وهمت بالخروج فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمني صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق وصدقة مالي أن لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدي اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى اسبوع أعطتني مالا وأمرتني أن اشترى به دارا فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال (وحكى) التنوخي في المستجاد ونقله في نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قدرموا بالزندقة فلما اجتمعوا للنزول في السفينة جاء طفيلي فنزل معهم وقال ما أظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمة فلما قيدوا ندم وعلم أن لا خلاص له فحين ضربت أعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتي طالق ان كنت اعرفهم اوأحوالهم واتما

رأيتهم

أرمتنى الذنب الذى جئته
صدقت فاصفح انى المذنب
قال من أغرب ماصرتنى
أن عذابي فيك مستعذب

(وقال آخر)

وماقابلت عفوك باعتذار
ولكنى أقول كما تقول
ساطرق باب عفوك باعتذار
ويحكم بيننا الخلق الجميل

(الباب السادس عشر في اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)

أقول هذا باب عقدناه لذكر أكبر الناس فتوة وأغزرهم مروءة وأرقهم قلبا وأحسنهم صربى ممن أصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وامسى له بكؤس المحبة ألف سكرة لاجرم انه اعان ذوى المحبة ووازن نفسه من في قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى في اصلاح حاله وساواه بنفسه

رأيتهم مجتمعين فظننت أنها وليمة فقال المأمون يبلغ التطفل بأصحابه الى هذا عزروه لئلا يعود الى مثلها فقال ابن المهدى هبه لى يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثنى قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ماشممت مثلها قط ورأيت معصما من الشباك اخذ بقلبي ايضا فاشتهيت أن آكل منه وأخذت فى الحيلة اذ لم أكن اعرف أحدا من أهل المكان فجئت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لى عن اسمه وانه تاجر يصحب عشرة مثله فقلت أيشرب الخمر قال نعم وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فمكثت ساعة فاذا هم مقبلون فقال لى هؤلاء اصحابه فحركت دابتى حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أنى من جماعة صاحب المنزل وهو يظن أنى معهم فأكرمنى كل منهم وقدم الطعام فاكلنا فقلت فى نفسى هذا الطعام قد قضيت منه شهوتى وبقى الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها * فمن ضم كفى فى أناملها عقر

فهيجت بلابلى وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم تملك نفوسنا ثم غنت ايضا

اليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على الحذق والاصابة غير أنى قلت بقى عليك شىء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فتأملوا منى فقلت قد فاتنى ما املت ان لم أتلاف فلو بهم فقلت هل عندكم عود قالوا نعم واحضروه فأحكمت اصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم البلا فبلينا

لا بل بلين فهيجن داء ساكنا * لمتيم وأثرن منه دفينا

راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا او حيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذرة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت ايضا فغنيت

أفى العدل أن تمسين لا تذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما

الى الله اشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما

ومالك وقه القائل فى هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا
اومعينا اوعاذرا أو عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله
أعنى باطماع كذوب على النوى

اذا لم تقاتل بالجبان فشجيع
قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة

مالك وقه القائل فى ذلك

لو تعلم الناس من شوقى ومن كلفى
مابت اعلله استسقوا به عاد

واستشفعوا الى الى بأجمعهم
وجاء عائدهم فى زى قواد

(ومن العجب) ما حمته فى اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغنى ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله وقال الخرائطى كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها فى المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال

فردّى مصاب القلب أنت سلبته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله اشكو انها أجنبية * وانى لها ما عشت بالودّ محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فأمسكت عنهم خشية ان يتلفوا ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوى على كمده * وجد امدامعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده

يا من رأى كلفا في حبه دنفا * كانت منيته في عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلا بى فسألنى من أنا فأخذت اورى فأقسم على الا ما عرفته بنفسى وقال قد ذهب لعمرى هدرا اذ لم أعرف مثلك فلما عرفته بنفسى وثب قائما وقال لا اقضى باقى ليلتى فى خدمتك الا قائما فأقسمت عليه أن اجلس فجلس واخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فأخبرته بالقصة حتى انتهيت الى أنه لم يبق على الا المعصم فقال تناله ان شاء الله تعالى وعرض على جوار يه فلم أر الغرض فقال يا سيدى لم يبق عندى الا أمى واختى فقلت ابدا بأختك فأتى بها فاذا هى الغرض فقلت ها هى فقال قد والله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليها وأدخلنى بها فلما اصبحنا حول معها متاعا لا يوجد مثله الا عندك يا امير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من سموا بالفساق من العشاق)

وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله فانهم يرون تصوّر السلوّ معصية بل تصوّر خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر بن الفارض اعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردّتى

فان الخطور بمجرد جواز الميل على القوى من غير أن تمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء قسرى لعدم احتياجه الى مقدمات والارادة بمجرد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشرى وهو صفة للخطور قسرية ايضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الاصلاح على الخارج به بشئ رحمة وتخفيفا فقد بان أن الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبنى على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد فكان المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار اليه ايضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهو نى ما لم تكن فىّ فانيا * ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتى

وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب فى ذلك فقال انى سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا افلا أحيى الناس جميعا

(وحكى) الطرطوشى انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك فى المنام كأنما * عاطيتنى من ريق فيك البارد

وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتنا جميعا فى فراش واحد

فطفقت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

(فأجابته الجارية)

خيرا رأيت وكل ما ابصرته * ستناله منى برغم الحاسد

انى لارجو أن تكون معانقى * فتبيت منى فوق ثدى ناهد

وأراك بين خلاخلى ودمالجى * وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

وهذا

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو اصناف

(الصنف الاول في ذكر من جلد هواه على اذية من يهواه وهؤلاء اما نساء او رجال وكل من القسمين اما بالغ مناه او مكفوف اذاه)

(فمن الاول ما حكي) عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قتة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فأرسلت اليه على حين غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فأبى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك فقال ان الاذى أن افعل ما تطلبين وخرج فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثد اخبرته ان رجلا من اقرب ما يكون اليك ساومني نفسي فامتنعت فجهد في ان تخبره فأبت وقالت انا لا اصرح باسمه ولكن هذا اقدمه فعرفه وهجره فأنشد في ذلك

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شر الاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو اخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لومي مرارا واصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدرى * فما بال من يرمى وليس براى
فلو أنها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ماذكره وفي النزهة ان مرثدا اتى يوما من سفره في الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للمدنف الصب
بليت بمن لم يدر حالي بحبه * ألا ان عمرا في الهوى قاسي القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصطلح امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع

(ومن الثاني) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها في التوراة فذكر أن في سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ما ترجمته لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى اورشليم يعني بيت المقدس بالعربية واسلمها الرب في يده ثم نزل بيت صنمه بشنغار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشر بعث الناموسية الموسوية بحكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل فكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت في ارفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما وأحسن اليهما على شدة غيرته (وقال) أبو الفرج بن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له فقال المهلب

لعمري اني للمحبين راحم * واني ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل وجد مبدد * واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف (وروى) عن عثمان بن دينار عن أبيه انه جاء به عثمان رضي الله عنه جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا أمير المؤمنين أحب ابن أخيه فما أنفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او أعطيك ثمنها من مالي فقال أشهدك يا أمير المؤمنين أنها لابن أخي * وأتى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال لست بسارق ولكني أصدقك

والديها كانا صديقين فى بنى اسرائيل وكانت فى كل يوم تنزل الى بستانها تمشى للنزهة
ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر فى الحكومات وكتم كل عن
الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد
الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا
فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع
جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد استخفيا فأرسلت الجاريتين لتأتياها بزيت
وغسول فظهرا وأغلقا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن
اجل ذلك ارسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكانتنا من بنى اسرائيل قالت سوسن والله
لا أغضب الرب ابدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء
العبيد فأخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوءا ثم اتى بوا كيم فاعلموه
بالامر وأنهما لم يقدرا على مسك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن
سوسن وقالا نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما واغلقت
الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب
فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا الله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما
كذبا على ثم أقاماها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء
وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما
من تحت اى شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله
شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت اى شجرة جاء الحدث فقال
من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فانشمرا ونزلت نار فأحرقتهما وحفظ الله
الدم الزكى وعظم أمر دانيال عليه السلام
(ومن الرابع ما حكى) فى نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى
بالمخنث لما كان يظهر من التزيى بزى النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة
فقالوا له ما زنين به هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلانى وكان معروفا
بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صريرسلسلة
تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فأخذه وهم ليخرج اذ سمع
امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذى صنعت حتى تقتلنى فيقول اقتلك وأموت خير من
ان تصيرى الى زوجك وأموت غما فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق
بالرجل فظنهما جنا ففر وهرب وترك السلاح فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فأخبرته بأبيها فعرفه
وأن هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى أبيها فأبى وهم بتزويجها من غيره وأنها
خرجت لتفرج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتى كن معها واخذها هو
فصيرها الى هذه الحالة فأخذها عباد الى اهلها وأخبر أصحابه بالقصة فكذبوه فأراهم

تعلقت فى دار الرياحى خودة
يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها فى بنات الروم حسن ومنصب
اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة
ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر أهل الدار بى ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر
فلما سمع على شعره رق له وقال
للمهلب اسمح له بها ونعوضك
عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله
لنعرف نسبه فقال النهاش بن
عتبة العجلى فقال خذها فهى لك
(وحكى) التميمى فى كتابه امتزاج
النفوس ان معاوية بن أبي سفيان
اشترى جارية من البحرين
فأعجب بها اعجابا شديدا فسمعها
يوما تنشد أبياتا منها
وفارقته كالغصن يهتز فى الثرى
طريرا وسيما بعد ما طر شاربه
فسألها فقالت له هو ابن عم لى
فردها اليه وفى قلبه منها شرر
النيران ٭ وذكر انطرابلسى أن
المهدى خرج الى الحج حتى

ذلك فصار يعد من الشجعان

(ومن الثالث) ما حكى عن حيوية بن حباب الطائي انه حين قتل ابوه رجلا من كلب من بني عذرة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع امه وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعد ما قتل ابنا امرأة اشتهر بها الى بلقين فأجاروه ففعل عندهم ما فعل فى كلب واشتدوا عليه فجاء الى أمه ليلا فاخفته واخبرت ظئرا لها فقالت ادنعيه الى فأخذته فجعلته فى متاع لها خارج البيت وتعدى رئيس بنى كلب فقال ماهذا قالت متاعى وأنا على سفر وأريد ان تجيره فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا حياك الله وخرج فأقام عنده زمانا فعلق ابنته وطال بينهما الامر فأنشد فيها

مازلت أطوى الحى اسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج
وتناولت رأسى لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش ابى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

وبلغ عدى بن اوس ذلك فقتله

(ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل او عبد الله او عبد الرحمن ابن كلال وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فلما افضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ليزيد والصحيح الاول لما سبق فى قصة حبابة وذكر زوجات يزيد تحبها فازداد بوضاح الامر حتى تحيل فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فأخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فأخبرتها فأدخلته فى صندوق فكانت اذا أمنت تمكنت معه واذا خافت أدخلته الصندوق وجيء للوليد بجوهر نفيس فأمر خصيا يحمله اليها فحين دخل الخصى وجدوضاحا فأدخلته الصندوق واستوهبها الخادم اؤلؤة فأبت فمضى وأخبر الوليد فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل امر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خبية قد بلغنا عنك امر فان كان صحيحا فقد كفانا الله والا فما علينا فى دفن الخشب ورماه ورمى الخصى معه وقيل ضرب عنقه حين اخبره وأهال التراب ولم يبين لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتى المكان فتبكى فوجدت ميتة فيه وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته فأبى الا قتله

اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوى دخل عليه وبكى وقال يا أمير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويحك ماهذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه فقال من عشقتك قال ابنة عمى قال ألها اب قال نعم قال فماله لا يزوجك بها قال ههنا شئ يا أمير المؤمنين قال ماهو قال انى هجين والهجين الذى امه امة ليست بعربية قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل فى طلب أبيها فأتى به فقال هذا ابن أخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من أولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذى يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوجه اياها على عشرين ألف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين قد فعهما اليه فانشأ الشاب

(ومنه أيضا) سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس وكان اعجميا غليظا ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان فقال لا حاجة لي بمن اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فنها في التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا

توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى انهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فأنشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعني * بشيء ولو أمست أنامله صفرا

أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

اشوقا ولما يمض بي غير ليلة * فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

فرق له فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه الى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به فأنشد

أبا معبد بئس العزاضة للفتى * ثمانون لم تترك لحالكم جلدا

كسوني غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا

فما السجن الا ظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا

ابا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيد بها وجدا

فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة * وان يتركوني يتركوا اسدا وردا

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره احرقه

(ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد البسته أحد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان

يقول

اشعت ظبية بالغلاء وانما
يعطى الغلاء لمثلها أمثالي

وتركت اسواق القباح لاهلها
ان القباح وان رخصن غوالي

وعرض خالد بن عبد الله القسري سجنه يوما فكان فيه يزيد بن فلان البجلي فقال له خالد في أي شيء حبست يا يزيد قال تهمة اصلح الله الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم ايها الامير وكره ان يعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد احضروا رجال الحي حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجهه الى خالد

أخالد هذا مستهام متيم
رمته لحاظ انه غير سارق

اقر بما لم يأته المرء انه
رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

ولولا الذي قد خفت من قطع كفه
لالفيت في أمرهم غير ناطق

اذا بدت الرايات للسبق في العلا
فأنت ابن عبد الله اول سابق

فلما قرأ خالد الابيات علم صدق

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري
واقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فرنت وقالت هل بجسـ * ـمك يا مفضل من فتور
ماشف جسمي غير حبـ * ـبك فاهتدي عني وسيري
وأحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري
واقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل * يا هند للعاني الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر فأنشد

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * في آخر الليل لما بلها السحر
تثني على خدها مثنى معصفرة * والحلي منها على لباتها خصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
في ليلة النصف ما ادري مضاجعها * اوجهها عنده ابهى ام القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من رقة للمشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الابيات وكانت بفطانة فلما فطنت به قالت يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

الا رب صوت جاءني من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى امة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته قالت صادف مني يا أمير المؤمنين خلف ابقتلنه فأرسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل ذلك ديته وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت الجبتري ويلك فقال أنا فارسك فاستبقني فقال لا أقتلك ولكن أزيل تفعلك وأمر به فخصي وألقي في دير الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله ان احصهم يعني اضبطهم لننظر في امرهم

قوله فأحضر أولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا اما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه ظالعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بجعله حتى صيره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم
من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به
طول الصبابة أوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلى العريف ولا تخشين من احد
امسى العريف صغير السن ولهانا
اما الفقيه فلا يسطو عليه أذى
فانه قد بلي بالعشق الوانا

فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة صارت مثلا فقال طويس ما هذا الا ختان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم السحر بالخصي صرت مخنثا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل ويروى ان الذي سمعه سليمان لم يكن سنانا الكلبي بل كان سميرا الايلي وفي الرواية بدل محجوبة وعادة سمعت وبدل قوله في ليلة النصف في ليلة البدر وهو اليق في هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو في ليلة البدر ابهج ولم يلهج الشعراء الا به وان سليمان قال حين رجع في خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغني فتشبق المرأة

(ومن الثاني) ما حكي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة لفقره وكان عنده امرأة مفرطة في الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على ان تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ولو طاوعتني لزوجتك بالملك وأمرتها ان تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ما هذا يا هناه قالت هو ما تراه فقال أطلقك قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبي ذلك الزمان فجاءه الوحي ان يعني ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية في النزهة في باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا فلجت وأنها ماتت بعد سبعة ايام

(ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها للسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لي فيهما اربعون ألف درهم فقالت هبهما لي فقال افعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فيها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا فكسر ابن يزيد يديها يعني كانتا يديه فجلس مقعيا يمشي على رؤس أصابعه وتقدم اليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت المغلوب في استه عود فقال اما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة في انفي وفمي ما حييت أبدا وانها افضت الى جعفر ابن سليمان وأبوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الايام وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتليته فرضي ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء يوما هل تمكن أحد من محبيك يوما منك بشئ فخشيت أن تكتمه ما عساه ان يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفي فاحتال عليه حتى حمل عنده فضربه حتى مات

وذكر الخرائطي عن أبي عساف قال أمر ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها أحرة أنت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فقالت فاقسم عليها فانشدت

وانا التي لعب الغرام بقلبها
قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله مات بهن كريم وعطب بهن سليم ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم حرجت منها فقالت انجزيها وعلي اثمها (حدث) محمد بن عبد الله بن ابي مليكة عن أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن

(ومن

(ومن الثانى) ما حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة ثم ماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وسأله ان يحييها له فقال لا يتيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها نصف عمرى فأحياها له ومضيا وقد لحق عبود اتعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو ايضا بقلبها فأعرض عليها ان تكون معه فأجابته فحملها فى قبة وانتبه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فاخبروه بأنها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهى ساكتة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح فى احيائك ووهبتك نصف عمرى لى ان تكونى معى فحيث لم ترضى فردّى علىّ ما وهبتك فقالت قد رددته فاخرجت الكلمة حتى ماتت

(ومن الثالث) ما حكى عن لقمان بن عاد الذى كان يضبط عمره بأن يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها فى بيت نقره فى جبل لا يصعد عليه الا بالسلاسل وان عملقا نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه فى سيوف حزمة واستودعوها لقمان مدة فوضعها فى بيته فلما خرج تحرك العملق فخلته الجارية فكان يكون معها الى ان يأتى لقمان فتجعله فى السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة فى سقف بيته فسألها عمن فعلها قالت انا فأمرها تفعل فقصرت لان النساء لا يقدرون على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال ياويلتاه والسيوف دهتنى ثم رمى بالمرأة من اعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته فضربها بحجر فكسر رأسها فضربت العرب أمرها مثلا لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعنى ابنة لقمان

(ومن الثانى) ما حكى ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فنى فى حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وأن ابن عم لها غيره اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضى حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها واذا هى قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت اما اذ عزمت علىّ فانى أصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب فكان كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتى

(الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فجرته الى تهمة محبوبه فأثرت له على نيل مطلوبه)

ابن أبى عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومنى فيك اقوام اجالسهم
فما ابالى اطار اللوم ام وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه بأربعين الف درهم وأمر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال مالى لا أرى ابن ابى عمار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فأتاه ابن جعفر فلما رآه أراد أن ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال اتعرفها ان رأيتها قال او اعرف غيرها قال فأنا قد ضممنا اليها واحدة والله ما نظرت اليها وامر بها فخرجت فى الحلى

(حكى) ان عبد الله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشم ويديك الجن الحمصي كان أديبا حاذقا شاعرا لبيبا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وأنه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام في نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما واحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره في ذلك متظاهرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية بقوله

يا طلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما * روّى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها لما وطئ الحصى * شئ أعز علىّ من نعليها
ما كان قتليها لانى لم اكن * ابكى اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وأنفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشي بعدما قبرت * فظلت الثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذى زيارة من في القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * او ابتلى بعد الوصال بهجره
فرقدت استخرجته من دجنه * لبليتي وأثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة * ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار او ظلما * ومالكى ظالم في كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا ظلما

(ومما ارخه الفرس) عن اردشير ملك الطوائف انه لما حضر ثرثار وهى قلعة في بر سنجار

والدال فقال هى هذه قال نعم بأبى انت وامى قال خذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال اى والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى ان اعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة الف درهم

(الباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذى اعجز اهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وما هم بسكارى على ان الذى اجمعوا عليه واشاروا لديه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين

رأيت الحب ليس له دواء
سوى وضع الصدور على الصدور
ولا سيما اذا بدت نهوده وتوردت خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه

من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت اردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب فى نشابة فيه ان أنت شرطت لى ان تتزوجنى عرفتك كيف تأخذ القلعة فراجعها انى شرطت لك ذلك فدلته فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شئ يؤلمها فى الفرش فكشفوا فاذا هى باقة نرجس فتفكر فى رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد والمخ العظم والزبد فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بى واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييزا بحالة تغلب عليه من قبل ما تغير به الكائنات الناسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعرف عندهم بالتوأمين والعذراء والمؤنثة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم قال الاترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام لم يقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفرى لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع فى طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم الاترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جئ بطست فوضع بين يدى مستعيد الصوت وقال له الملك اكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية أبو حيان فى تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه فى فعله)

(حكى) لى رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يوما فوجدها تأكل فى طعام لم يكن جاء به هو فسألها عنه فقالت من بعض اهلى فداخله من ذلك شئ وقوى عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شئ فمضى وركب دواء سميا ثم جاء به اليها فقال احتفظى بهذا فانه باهى فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقى ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقى السم قدت من ليلته (ورأيت) فى الشهنامة الفارسية ماترجمته أن ابرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة

اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى
فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال الآخر)

شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع البطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون

(وقال آخر)

اسقم قلبى ثم لم يبره
عاقد زنار على خصره
لا ارتقى روحى مع جسمه
حتى أرى صدرى على بطنه

(وقال أبو جعفر العدوى)

وسكر الهوى أدوى لعظمى ومفصلى
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثانى ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه لها وهي تظهر
حبه وتخفي بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة
المنكرة فكادت نفسه ان تزهق وعلم انه ان اظهر أنه رآهما امرت المرأة ولده بقتله
فرجع وأخذ في تدبير الحيلة فأخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر
واودعه صندوقا وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس
غير أنه لم يكن يعدل نفسي الا هذا الصندوق فاحتفظي به وعلم انها ستطلع عليه ولده فلما
خلت به اخبرته القصة فقال علي بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب
مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه ملتفا بعضه ببعض فجعل يبل اصبعه من ريقه
ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب اباه فسقطا
ميتين (ووقفت) في سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم
اعرف مؤلفه سماه درر الافكار في التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ما ملخصه
ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تاتي
مقابل السيد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتها ولا تمحض حسن مودتها الا لمن يفض
ختام بكارتها لانه القاطف لزهر محاسنها والمجتلي على اول مطالع بدر مواطنها
فان وقع منها لغيره ودفنا درلا يعتد به ونزر لا ينفي التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم
محفوظة وبعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم
ومال ورزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم
والخطوط وأمرهم بالنظر في ذلك فرأوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك
فارسل فجيء له ببنت فاختاروا له طالعا يبني بها فيه وواقعها فحملت وجاءت بذكر صحيح سوي
حسن الخلقة فأولم الملك أربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان اباه طلب
تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة
للملك فارادوا التحويل عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه ودخل فوجدها ثيبا
فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان امه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن
في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حب الها ثم اله فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق
الحدس فانها ثيب ولا يستطيع أحد أن يكلمه في أمرها فلما أفضى الملك اليه بعد والده
دخل يوما فوجدها كالتي فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها
تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه والتي تغيب حال الفعل تسمى الربوخ فسألها عن
العلة فاجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها
فامسك وتمكر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة
وأتى بها اليها فوضعها في صندوق محرز في خزانة سره وأخذ مفتاحها وجعل كلما
جامعها أخرج من الطيب ودهن منه ذكره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها

(وقال أبو دهقان)
حدثنا عن بعض اشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى ينيك
وقال في الاغاني قال أبو العيناء
أنشدت ابا العبر قول المأمون
ما الحب الا قبل
وغمز كف او عضد
من لم يكن ذا حبه
فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد
فقال كذب المأمون وأ كل من
شراي وطلبن وربما بالميزان وأخطأ
واساء الادب هلا قال كما قلت انا

إن

ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوى الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة
والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك
عندها فجاء بسم قاتل لوقته فاوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه وأعلمها انه خارج
فى شغل يقيم فيه سبعة أيام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا
فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقيهما وسال عن الرجل فاذا هو
جارها انشأ معها صغيرا فعلم انه الذى أزال بكارتها ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو
على سرير ملكه مايذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها السوقة عليه وايثارها
الارذال فيسكن مابه ويعود فلم يزل أياما على ذلك حتى غلب الحب على التاسى فمات

(الصنف الرابع فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق وأهل العشق الصحيح
بريؤن من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم * فمن أهل هذا الصنف ما حكى عن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه آلى ان لا يهدر دم مسلم فأتى يوما بشاب أمرد مقتول
فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاء به أمره وقال ارجو ان لا يفوتنى فلما كان
بعد حول رأى طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما أطلب واخذه فسلمه الى
من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلمينى بها
فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتى تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته
وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا
أبوها شيخ من الانصار قد كبر فقال اين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على
أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقى فقال مكانك حتى ادخل عليها وأعظها
فقال افعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال اصدقينى ما فعلت والا رميت عنقك
فقالت يا أمير المؤمنين انى والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان عجوزا كانت
تدخل على من الصغر وتخدمنى الى ان صرت كما ترى وانا اظنها صالحة فقالت لى يوما قد
عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن ان اتركها فى البيت فأريد ان اجعلها عندك حتى
اعود فقلت كرامة فمضت واحضرت شخصا مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب
على صدرى فنال منى فعمدت الى شفرة بالقرب منى فبجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت
فبعد مدة رأيت انى حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعا لها وجزاها خيرا واوصى اباها بها

(ومنهم أعرابى من اسد)

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها احدا سامها
نفسها فقالت على رسلك لا صلح من شأنى وغابت ثم جاءت وقد اخفت مدية فوثب ليعانقها
فضربته بها فى نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها وهى على تلك الحالة
فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن ابى

وباض الحب فى قلبى
فواويلا اذا افرخ
وما ينفعنى الحب
اذا لم أكسر البرنخ
وان لم يطرح الاصلع
فزجبه عن المطبخ
ثم قال لى كيف رأيت قلت عجبا
من العجب قال كنت ظننت انك
تقول غير هذا قال بل بدى فارقها
قلت قول المأمون ان نكح الحب
فسد هذا على قول من يرى ذلك
كما ذكر المرزبانى ان اعرابيا قال
علقت امرأة كنت آتيها
فأخذتها وما جرت بيننا ريبة قط
الا انى رأيت بياض كفها فى ليلة
ظلماء فوضعت يدى على يديها
فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه
ما نكح الحب الا فسد * وحكى عن
بعض الادباء انه كان يعشق جارية
فقالت أنت صحيح الحب كامل
الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا
حيث شئت فلما حصل فى منزله لم
يكن همه الا ان رفع ساقيها
وجعل يجامعها بجميع
جوارحه فقالت له وهى فى
القالب

علية وقيل صيفي بن سعيد الباهلي وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمري لقد اخفت معاداة ضيفها * وسوت عليه مهده ثم برت

فلما بغاها نفسها غضبت لها * عروق نمت وسط الثرى فاستقرت

وشدت على ذي مدية الكف معصما * وضيئا وعزت نفسها فاستمرت

* فأمت بها في نحره وهو يبتغي الـ * ـنكاح ومرت في حشاه وجرت

فنح كان الغيل في جوف صدره * وادركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكى أن رجلا اضاف بني هذيل فخين خرج عن البيوت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتمنعت فاخذت حجرا فضربته به فقضت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى * وغزا رجل فخرج جاره فرأى في بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

واشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه ليل التمام

ابيت على ترائبها ويضحي * على جرداء لاحقة الحزام

كان مواضع الربلات منها * فئام ينتمين الى فئام

فدخل فقتله وكان في عهد عمر أيضا فلما اصبح اعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الاخيرا فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا واقتدى به في عدم ايداء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد جاء اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فأدخل رأسه فشدخته وقال لا يودى واما مصعب بن الزبير فأخذ به رجل وجده رجل مع زوجته فقتله

(ومنهم ما حكي عن عبد الله بن سبرة)

ان امرأة مغيبة يعني غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء اخبرته اذ رجلا يسومها نفسها فقال ادعي اليه واختفي فلما جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشتري بها خادما وقال * وكل حديث جاوز اثنين شائع * وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه فير وزخرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان في طلب العطار الى الشام حتى قتله

(ومنهم ما حكي عن جويرية بن اسماء عن عمه)

قال خرجنا نريد الحاج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها فخفنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة أي شقية ابن حيتك فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده اكرمنا وساله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل علي جنوبه * وأدنيت والممشى الى قريب

اسرفت في نيكاو النيك مصلحة
فارفق بفضلك ان الرفق محمود
فأجابها وهو في عمله لا يفتر
ولم أملك نيك من تبقى مودته
لكن نيكي هذا نيك مجهود
فنفرت من تحته وقالت يا فاسق
أراك على خلاف ما قلت كانك
تجعل جماعي سببا لذهاب حبك
والله لا جمعني واياك سقف بعد
هذا أبدا وعلى هذا القول
جماعة أعني ان الحب اذا نكح
فسد ومنهم من قال لا يستحكم
الحب الا بعد ايقاع الوطء وانه
اذا وقع الوطء ازدادت المحبة
ويسمونه مسمار المحبة كما قيل
لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا
وصلا يحل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله ما يشفي الفؤاد الهائما
نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما
وتعلق القوائم القوائما

(وقال آخر)

قولا لعاتكة التي
في نظرة قضت الوطر
اني أريدك للنكا
ح ولا أريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا
لك كان هذا القمر

فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة سنتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فخلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى أبيات ابى الاسود الدؤلى التى أوصى بها ابنته عند الزفاف

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب

فانى رأيت الحب فى الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها وصفرت واذا بالوادى كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه

(القسم السادس فى ذكر من حل عقد المحبه وخالف سنن الاحبه)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر فى صنفين ارد فهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب * قلت سبق لك فى الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد أكثر فى كتابه من التخليط فى تبويبه وذكر غير المناسب لما بوب به ولكن لعمرى لم يقع له بهذه الاوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجم عن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر محبا بين نكث أحدهما عهد الآخر ثم اما عادوا ما دام ولم يذكر من ذلك الاقصة كثير التى ترجم لها فى الباب عن تاب عن عقوقه ورجع الى معشوقه فمات فى نادى الهوى وسوقه وها أنا اذكر ما وقع لى من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

*(الصنف الاول فى ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف
وكان محبوبه فى الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)*

حكى المسعودى فى جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس اثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها ارب لما كان قد عاهدها انه يدوم معها على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبيناهو ليلة نائم اذ رآها باكية قد نامت فولت وجهها وقالت أى غادر لو ملكت من أمرى ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وايم الله انى لم أكن معه الا كفترش النارق الهواجر أو متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش * وفيه أيضا ان قيس بن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره وانما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته * وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة أرادت ان تعلم مالها عند كثير فتنكرت له ومرت به

كان زهير بن مسكين يهوى جاريه واستهام بها فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها ألف قبلة
كفاك أما تشتهى لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ما لذة الفتى
من الحب فى قلب يخالفه العمل

وأما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب أبو تمام الطائى الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه فى ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك أمران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع فى الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل

ولرب لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت أين حبك عزة قال جعلت فداءك لو انها أمة لى لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغنى انها لك مخلصة وفى المحبة صادقة فقال دعينى منها فهل لك فى المخالاة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال ندبره فيك ثم أنشد يقول

ماوصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى ان قبلته ولا مناقضة بين هذا وبين ما تقدم من انه أثبت من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رمى الله فى عينى بثينة الابيات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق وأما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز فى الابيات التى منها

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا أأنت ام أم سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذا القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب فاداه التوغل فى التشبيب ونظيرها ما سبق فى قصة كثير من اعتراض العجوز عليه فى قوله فما روضة بالحزن البيتين وأما من رجع نادما على الهفوات فوجد الحبيب قد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل

(ومنهم ما حكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولا)

أن كعب بن مسعدة الغفارى قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذرى نمشى فى الفمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست لياليك فى خاخ بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرنى غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فاستقريت والا وجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك فلما صرت اليها قالت أنت المجيب قلت نعم قالت فما أقصى جوابك قلت لم يحضرنى غيره فقالت لم يخلق الله احب الى من الذى كان معك فقلت على ان أحضره اليك فقالت هيهات فضمنته فى الليلة القابلة ورجعت فرأيته فى منزلى فاخبرنى بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فأنشدته أبيات أميمة امرأة ابن الدمينة

وأنت الذى أخلفتنى ماوعدتنى * وأشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لها غرضا أرمى وأنت سليم

أأذنون لصب فى زيارتكم
فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

(وقال آخر)

خود حرائرماهمن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتى ما ورد فى هذا المعنى فى باب العفاف والثانى ما قاله العلماء فى أسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما تنكره المرأة من الرجل كما قيل

وأتت حى سعاد بلا جماع
فقالت حبلنا حبل انقطاع
اذا المحبوب لم يلثذ امر
راى المعشوق كالشئ المضاع

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

(فأجابها)

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن * وفي بعض هذا للمحب عزاء

بحزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي الى اذاه

فالتفتت الي وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ أنا أبصر

ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب ولي رأي وعقل موفر

ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذي جئت أقدر

(فأجابها)

لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت انهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها انه قبلها وأنشد

دمعي عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب

لاشيء في الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فأجابته)

خاوتم بأنواع السرور وهنا كم * وافردتموني للصبابة والحزن

وعذبتموني بالصدود وانني * لراض بما ترضونه لي من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين انشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له أو كنت تفعل ما فعلت خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قلت لك انك لاتفي بضمانك ولكن اذا كان السحر فأتني قال كعب فجئت فاذا أنا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت في عنقها النشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكره فتقول انه لقاسي القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته في النوم فقالت هلا كان هذا قبل فمات من وقته * قال في النزهة وأصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لاتحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك أنفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ماشئت ان تسلو حبيبا
فأكثر دونه عدد الليالي

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان المحب اذا دنا
يمل وان النأي يشفي من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله
لآخر وطول التمادي على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لأكثرهم من عهد الثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ

(الصنف الثاني في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد)

أخرج في اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعي قال نزلت على رجل من بني هذيل فأكرمني وأطرفني بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور فلما كان الليل فرش لي موضعا للطعام وطنا وغبت وجلس فقلت هل بقي ثاث ارب في السهر قال لا وعافاك الله ثم ودعني لمالي فحدثت ان له شأنا وهمته النوم فقام وفتح مخدعا فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق اخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وادخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وابديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ايوقظني فرآني منتبها فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاما فقال انشدك الله هل رأيت من حالتي شيأ انكرته قلت اللهم نعم قال أوتحب ان اطرفك به قلت اي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فارسلها وانشد

اكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدي جاريا
فياليت شعري ذا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا املك الصبر عنها فتزوجتها فكانت لي أبر من أمي وأقمنا مدة لم آل جهدا في الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت انفت مني فأخذت في التصامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت اوفاعل انت ما اقول قلت نعم قالت تطلقني فخاطرني حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فتأملت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على احسن ما يكون من انواع الزينة فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها ان لا آخذ بدلها لبسها وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فانا الآن امثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فاسلبها واعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططا وسامها انقصا فندمت فراسلتني فلم اجب مع انه لم يكن على البسيطة اعز علي منها ولكن الغيرة تمنعني قال الاصمعي فلم ار أغرب منها

ما على الخاتم فلعله ينتهي عن ذلك والله أعلم * وقال شمس الدين ابن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندي اذا شرب العاشق منه اربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات في اجواف الدجاج اذا رمى في ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه ايضا وكذلك حجر السلوان وحكه بالابن ومن علق عليه حجر القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقا الذكر وتمرغ في مناخ ناقة زال عشقه انتهى * تنبيه * التداوي بالجماع لا يبيحه الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا اسهل من ذلك فان شربه من الكبائر وهذا من الصغائر * (شربة) * يستعمل البوس والعناق والشفاه الرقاق في قاعة وايوان وبركة

*واخرج في النزهة عن الرياشي قال اتجر صديق لنا بحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه أنه نافق بها فلما حل بها صادف كسادا فمكث مغموما فبينما هو كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت اما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا واما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء الا ان تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤانسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن أين لي بما ذكرت قالت انا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وامرتها ان تفعل فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح الى اجل فوقعت فيها الخيرة وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيفة وقد فرش لي قطيفة بزة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا ان عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز هاهي فتراضينا ودخلت بها ودمت اسبوعا في انعم حال غير اني اجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الاشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس فلم اسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد اخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وعادت فرقت اثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله الا بهذه الابيات

ايا عين نوحي بالدموع السواجم * على طامس بالشرق خافي المعالم
وسحي دما ان سح دمعك واسعفي * حليف الهوى من قبل حل التمائم
اذا ناحت الورقا على فقد الفها * ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام علىّ النوم اذ فاتني به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها وراجعت نفسي في سؤالها ثم غاب على عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما احتاجه حتى اذا انمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها فقلت ياسيدتي قد ضاق صدري لحالك وأنا اعزم عليك الا ما أخبرتني بما انت فيه فقالت أولا بد قلت اي والله قالت قد كان أبي ذا ثروة وعز وكان لي ابن عم قد كفله أبي صغيرا فنشأت واياه ليس عند احدنا اعز من الآخر فزوجني منه فأقمنا لا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغرد بأنواع التغريد فاذا اخذت واحدة في شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد ان تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما جارح فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فأقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها فقلت له يوما لئن فارقتني لاكونن كهذه فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد تجد احسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فأردت ان اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها

وشاذروان وطعام سبعة الوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار في كيس وجارية من بني الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع احمر ذي نقش اخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام *(شربة اخرى)* يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب ومثقال من عدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع مثقال من غلث الهجر والانقطاع واوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من عيدان الصد والهجران ويؤخذ عطر الصدور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانيه محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكريه وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على

فلم توافقه فرجع يطلب منى ما كنت عليه فابت نفسى ان اطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال أطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم أعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارقنى فان رضيت هذا الحال والا فشانك قلت فلاى شئ هجرك اليوم قالت كفارة النومى عن مناوحة الحمامة وسبقها لى

(الصنف الثالث فى ذكر من اشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته فتعاهد اشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فتمسك احدهما بعهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذى عقد له المصنف الباب ووعد بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بما مضى الصق

(فمنهم صخر بن عمرو)

وكان من اشجع العرب واكرمهم وأجملهم وكانت تحبه سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث الرياحى وصخر هذا هو اخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها الا كره الموت الا انه يفرق بينى وبين هذه فلما كان اليوم المشهود يوم الكلاب وهو الذى تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التقى صخر مع ربيعة بن ثور العوفى الاسدى بعد ما غلبت بنو الحرث على بنى اسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصابه ربيعة فأدخل فى بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة فكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى فى خدمته فسمع يوما امرأة تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسألت امرأته اخرى فقالت لا حى فيرجى ولا ميت فينعى فتم لذلك وانشد

فاى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا فى عنا وهوان

(وحكى) فى النزهة انه جلس يوما يستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بنى عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها ايباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه على بسيفى لانظر هل صدئ ام لا فاتته به فجرده وهم بقتل سلمى فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وانشد

أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها

ارى ام صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنت اخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمرى لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له أذنان

فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

وزن ثلاثة دراهم غلية مصريه ويضاف اليها حسن الاعكان المطويه ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب فى مرجل الجلاد ويصفى الجميع على مقعد دمشقى سلطانى ويحل فيه اوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة ايام ويكون الغذاء مزورة من بقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العشاق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من المدام ويتبع برطلين من شمول الساقين ويدخل الحمام فانه نافع والسلام * سيف قاطع وبرق لامع ساطع فيما يتعلق بدواء علة الهوى وهو ما حكاه ارباب الرياضى فى الاعداد المتحابة وذلك ان فى الاعداد اربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٣ ٢ لـ وحروف نطقه دفروفى الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعى هذه ا لـ

فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة من موضع الطعنة فقيل له اقطعها فحموا الحديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان اديب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع بلعاء بن ربيعة وكان الاخوان جميلا عند يهودي فحسدهما على الحسن فسقاهما في الشراب سما والصحيح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء في صخر قولها)

قذى بعينك ام بالعين عوار * ام اقفرت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر هي العبرا وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب استار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
وما عجول على بو تطيف به * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما باوجع مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار
لابد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول واطوار
يا صخر وراد ماء قد تبادره * أهل الموارد مافي ورده عار
يمشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان انياب واظفار
وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصحن مهمار
طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات امار

(وقالت أيضا)

الا يا صخر ان أبكيت عيني * فقد اضحكتني زمنا طويلا
بكيتك في نساء معولات * وكنت أحق من ابدى العويلا
دفعت بك الخطوب وانت حي * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو أشد لجزعي عليه وادعى للبكاء فتلك من الاجوبة المسكتة

(ومنهم هدبة بن الخشرم) وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة واظهار المروءة وله اخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن الزيد الذبياني وهو رئيس قومه

وحروف نطقه كرفعدد عشرين ومائتين يحبه ابدا عدد أربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم أو لوح فضة او ما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان أو لوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة وثمانون ومائتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومائتين فان اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين اللذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر مادامت الرقعتان معهما فان لم يكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما أو لقبه المشهور وضع الحق في موضع يمران عليه فانهما يتحابان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم انسانا قدا بعض آخر اربعة وثمانين

فراهنه اخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في القيظ وحلوا الماء فاخذت اخت هدبة ماء زوجها الى اخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة فبيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد ان يقود هدبة ان قامت البينة فكره سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريده نثرا أو نظما فقال نظما فانشد

الا يالقومي للنوائب والدهر * وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

وللارض كم من صالح قد تراكت * عليه فوارته بلماعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد اقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها ارسل الى زوجته وكانت من اجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة فحادثها الليل وراودها عن نفسها فاجابت فلم يتمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني * لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف

رأت ساعدي غول وتحت ثيابه * جآجئ يدمى حوزها والحراقف

وحين أخرج للقتل مر على زوجته ابن عوف فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالا

تعجب حي من أسير مكبل * صليب العصا باق على الرسفان

فلا تعجبي مني حليلة مالك * كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته تجزع وأنشد

اقلي علي اللوم يا ام بوزعا * ولا تجزعي مما اصاب فاوجعا

ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * اغم القفا والوجه ليس بانزعا

كليلا سوى ما كان من حد ضرسه * لدى الزاد مبطان العشيات اروعا

ضروبا بلحييه على عظم زوره * اذا الناس هشوا للفعال مقنعا

وحلي بذي اكرومة وحمية * وصبرا اذا ما الدهر عض فاسرعا

وكوني حبيبا اولا روع حاسد * اذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان اتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها او أنشد اقلي علي اللوم الابيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف نصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد ام واحد * ولا وجد حبي بابن ام كلاب

حبة رمان وما ئتين وتطعم الآخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان ويتمايزون كذا المحبة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلة من ريق كل من المتحابين الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهواء فاذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى فيه كسريان النوم وفي جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فدب الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاي وهذا الذي اميل اليه ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالي وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(فصل) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا

رأته طويل الساعدين شمردلا * كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها انفها وشفتيها قال ابن عساكر واذنيها وأقبلت عليه فقالت اهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى أبويه فرآهما في أسوا حال قد تهيا للحزن فانشدهما

ابليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادئ شر

لا اراني اليوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر

اصبرا اليوم فانى صابر * كل حي لقضاء وقدر

وأراد سعيد ان يفديه بمائة ناقة حمرا مسلمة فقال أخو زيادة لوملأت لى قبتك هذه مالا ما فديته لقوله

أنجد عن بايدينا انوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه فلما أراد قتله ارسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين واقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لاطلتهما قال السيوطى فى شرح الشواهد ثم قال للقاتل احد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك واجد الضربة ثم قال بلغنى ان القتيل يعقل فان كان كذلك فانى قابض رجلى وباسطهما ثلاثا فلما رمى عنقه فعل ذلك وفى شرح الشواهد انه أول قتيل فى الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على مابها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا الترعرع

(ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبى طالب وكانت ذات جمال فعشق بها فلما حضرته الوفاة اظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو وخلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ماعليك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورسله فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت اتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين الف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم وأربعين ألفا

(ومنهم الحسن بن الحسن) خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين فى الجمال فقال الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامى فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك رآبائك فقال هو كذلك ولكنى اجدكرا غير الموت ثم قال لبعض اصحابه كانى بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء فى كبكبة يظهر جزعا على وما هو الا ليخطب فاطمة فلما مات حلفت انها لا تتزوجه فان فعلت فرقيقها عتيق ومالها صدقة وما كان الا ان مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فارسل اليها ان بنى عليك فان لنا فيك أربا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان امها الجأتها الى

ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من اضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف ان يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه فى الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها فى كل اربعة أشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق فى الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو امثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه ان يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه ان يشبعها وطأ اذا أمكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبى

تزوجه بان وقفت فى الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب

*(ومنهم غسان بن جهضم) * وكان مفتونا بابنة عمه ام عقبة لانها كانت من أجمل النساء وأحياهن وافضلهن خصالا حضرته الوفاة فجعل ينظر اليها ويبكى ثم قال انى منشدك ابياتا اسالك فيهن عما تصنعين بعدى وأعزم عليك ان تصدقينى فقالت قل فوالله لا اكذبك فانشد

اخبرى بالذى تريدين بعدى * ما الذى تضمرين يا ام عقبه
تحفظينى من بعد موتى لما قد * كان منى من حسن خلق وصحبه
ام تريدين ذا جمال ومال * وانا فى التراب فى سجن غربه

(فاجابته)

قد سمعنا الذى تقول وما قد * خفته يا خليل من ام عقبة
أنا من أحفظ النساء وارعا * هن ما قد أوليت من حسن صحبه
سوف ابكيك ما حييت بشجو * ومراث اقولها وبندبه

(فقال)

انا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج يا خير من كو * فر فارعى حقى بحسن وفاء
انى قد رجوت ان تحفظى العهـ * ـد فكونى ان مت عند رجائى

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

ساحفظ غسانا على بعد داره * وارعاه حتى نلتقى يوم نحشر
وانى لفى شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلى من الناس يغدر
سابكى عليه ما حييت بعبرة * تجول على الخدين منى فتكثر

فلما طالت الايام تناست مصيبته فاجابت الخاطب فلما كانت الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم فانشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفى حقا ولم تحفظى عهدا
ولم تصبرى حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزى وعدا
غدرت به لما ثوى فى ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كانما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ما ترك غسان فى الحياة اربا ولا فى السرور رغبة اتانى فى المنام فانشدنى هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها اخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا فى مجالس هشام حين تذاكروا النساء فقضى منه عجبا

(ومثل هذا ما حكى عن موسى الهادى) * انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر ورؤى يوما يبكى فقيل علام تبكى يا امير المؤمنين فقال كانى بى وقد مت واخذ اخى هرون

صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه الاجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفى بضع احدكم صدقة ففى هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الاجر وفرح النفس وذهاب افكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا اى سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التى لا يعادلها شئ ولاسيما اذا وافقت كمالها فانها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها وتقابله من المحبوب بنظيره فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله

الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد في البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لا يتزوج بها وحلفت هي أيضا فلم يمض شهر حتى مات وافضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت انه اتاها فعاتبها وانشدها

اخلفت عهدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد * ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

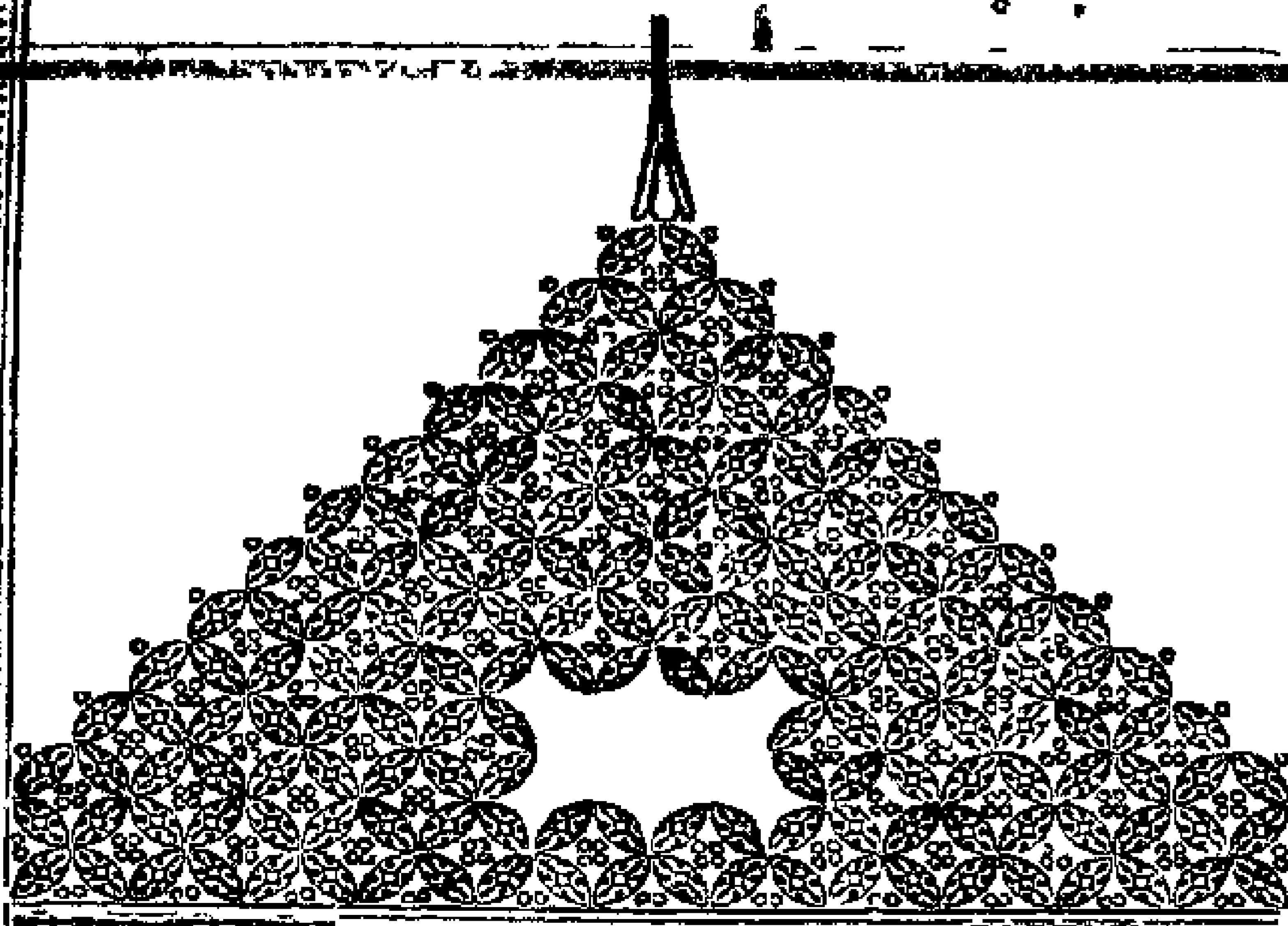
فقال لها الرشيد لا بأس عليك انما هو اضغاث احلام وجعل يغمزها وهي تضطرب في يده حتى ماتت

{تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله}
{* الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان الخ}

سبب آخر طبيعي وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوم لي ذكري فان فيه صلاح الاهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي أهله يقول اللهم شدلي اصله وارفع لي صدره وسهل علي مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

الجزء الثانى من تزيين الاسواق بتفصيل أشواق
العشاق تأليف العالم العلامة الشيخ
داود الانطاكى المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

وبهامشه بقية ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين
أحمد بن أبي حجلة المغربى رحمة الله تعالى عليه



بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصاريف الزمان)

اعلم أن أصل هذا قد نشأ في قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان أصل ذلك من ياجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجل ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فيجب على كل ذي نفس شريفه وهمة منيفه الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثه التي ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووي رحمه الله تعالى مطلقا وقد ورد انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه وأخرج الخطيب عن أنس موقوفا لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجواري العواتق وحرض النخعي والثوري على عدم مجالستهم * وعن الخدري قال رأيت ابليس في النوم فقلت له تعال فقال لا حاجة لي بن رمى الدنيا وان لي فيكم لطيفة فقلت وما هي قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لا اتخوف من العصا وانما يخوفني نور القلب وعن الموصلي قال نهاني ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لي أستاذي أورأيته سوف ترى غبها فأنسيت القرآن بعد

(الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر)

أقول هذا باب عقدناه لذكر التجني وقول المحبوب المدعي فهو باب لمن جربه حلو المذاق عطر الخلاق بالاتفاق لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند أرباب الهوى
ان المليح على التجني يعشق

لا يصدهم صد ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حد فكم رأوا جور الحبيب عدلا وقالوا لحده اذا أقبل أهلا وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي

جبل الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج

كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

وأحسن أيام الهوى يومك الذي
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميري على هذا فقال عشرين
واحق في مقالة العذال * وشقائي في قولهم لا تغال لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب لصب الا بخمس خصال

عشرين سنة والآثار في هذا المعنى كثيرة ولله در من قال في المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا الى الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم * فأوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من * يتابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما في ثلاثة أقسام

(القسم الاول)

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر في العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلاني)

هو أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الاصفهاني كان لبيبا حاذقا وفقيها شاعرا وله في فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع في كتاب جمع فيه طرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهرة وساير به عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجمل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر أمرهما فلم يسكراه واتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة في أول الكتاب المذكور بقوله وتسكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجب ما يأتي الزمان ظالم يتظلم وغاصب يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام يوما فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه وأتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا بأس عليك انني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ولكن رأيته عقب حمام فأعجبني فأحببت أن لا أمتع به أحدا قبلك فغداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أياما فسئل في ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا منذ رأياني فآليت أن لا أدخل مكانا فرقت فيه بين محبين

بسماع الاذى وعذل نصيح * وعتاب وكاشح ومطال

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه * عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي الصبر منها او عندها جزعي * لكنت أملك ما آتي وما أدع

ومن أبلغ ما قيل في عتب الاحباب قول بعض الاعراب في محبوبته

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت نعتنا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام فقالوا هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور فأما هجر الدلال فهو ألذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة * فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة وماله * من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه * وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقال أيضا

زيدي أذى مهجتي ازدك هوى * فأجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التذلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته

واتماعز لما عزمطلبه فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لان النفس الحرة لاتنفك عن غيره وقد قال العباس ابن الاحنف ياقوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

وأما هجر الالال فيبطه مرور الايام والليالي اما بتنائي الدار أو بطول الاختبار * حكي ان متيم الهاشمية لما اشتراها علي ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها افتراضا فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ماأراني الاسأهجر من ليس * براني أقوى على الهجران
ملني واثق بحسن اخاء * ماأضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولاسيما اذا كان المحبوب ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء يتق الله في الحب وقد أفلح من كان همه الاتقاء وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لادواء له قال المصري وهذا لايصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله

وكان يجمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير بن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح فحين وقف على القصة قال لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية أمرنا ان نعد قول من خالف خلافا فغضب ابن شريح وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهرة أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لاتحسن النظر فيه ألم أقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى مالوأنه * على جامد الصلد الاصم تهدما
ويظهر سري عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح بم تفخر علي ولوشئت لقلت

ومساهر بالشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابه وبحسنه وحديثه * وأنزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال يلزمني في ذلك مايلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق ومن لطف ابن داود أنه سئل يوما

ياابن داود يافقيه العراق * أفتنا في فواتك الاحداق
هل عليها القصاص في القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى * أجريت دمعا لم يكن بالراقي
اخطأت في نفس السؤال وان تصب * بك في الهوى شفقا من الاشفاق
لو أن معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ماترى فقيل مامنعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ واما التلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

مالهم أنكروا سوادا بخديـ * ـه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعـ * ـر فعيب العيون شعر الجفون

أنا أيضا ان هذا القسم مرضه مما لايمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لايلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لايرد عليه السلام (أحبابه كم يفعلون بقلبه * ماليس يفعله به أعداؤه) أخذه الارجاني فقال

قيل له أسكرت القياس فى الفقه وأثبته فى الشعر فقال غلب الحب وتوفى نهار الاثنين تاسع رمضان أو لايام بقين منه أو سابع شوّال سنة سبع وتسعين ومائتين ومن لطيف أشعاره فى محبوبه قوله

يا يوسفا لحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك فى الحور فلينظر اليك فما * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتعريف يا أملى * نور البدور عن التعريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذى فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمى تزيد مع الايام كثرته * وأنت فى عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وأنت يا قاتلى ظلما تحلله

ومنها

حملت جبال الحب فيك وانى * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياما لنا ولياليا * لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب فى عاج

(أخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى)

هو قاضى القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفرى أحمد بن مسعود بن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفى يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار أمام الشمعة لينظره فأطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الارض فالتهبت نار عشقه فى قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبيناهو كذلك اذ أرسل المظفر ولده يعوده فحين رآه وثب قائما كأن لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه فقال من رأى القاضى بعد ذلك انه كان يبيت الليالى الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتى

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا * اذا رمتموا قتلى وأنتم أحبة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا
وقال آخر يطالبنى قلبى بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب ٥ ويشتاقكم شوق الذى مسه الظما
وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتمو قتلى وأنتم أحبة
اذا فالاعادى واحد والحبائب

(الباب التاسع عشر فى الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب)

كقولى

دعوت على الحبيب بعشق ظبى
يقاسى منه أنواع الجفاء
فواصله وبالغ فى صدودى
فكان اذا على نفسى دعائى

أقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه وأراد أن يدعو على روحه فدعا على نفسه فهو يتشهى ويشتكى ويتشفى ويتمكن لا يثبت على حال ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضى والحال فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه فمن أحسن ما قيل فى الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى رحم الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه

أعز الله أنصار العيون
وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وان تك أضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا
وان ثنت الفؤاد الى الشجون
واسبغ ظل ذاك الشعر يوما
على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على القلب الطعين وقوله أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
واسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال * ولا زالت عمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال

أو أرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

وقيل مات وهو ينشدهما وحكي انه كان بعد حبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضي كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتي اني قنعت وحقكم * في حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجري وفرط تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبي
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها في الحب أصعب مركب
لولم أكن في رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذ لي * خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ديك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم)

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر وولي أسلم القضاء بالاندلس بعد ما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطه بتاريخ غرناطه معروف بالرياسه والفضل والعرافه فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وهو زامر السلطان يغني به قوله

أسلمني في هوا * ه أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل أحمد لا يمر الا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فمضى أحمد وأخذ جلبابا وبيضاوتزيا بزي بعض فلاحي أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على

ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي

أدام الله أيام العذار * وبارك في لياليه القصار ٦
وأغنى الله روضة كل خد * اذا استغنت عن الديم الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تضفو * ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن أبي الحديد

لاعاقتك من البرية كلها * الايدي اليمنى وبدقبا كا
كلا ولا ارشفت رضابك بعدما * قد ذقته من فيك الاقا كا

وقال آخر

يا رب ان قدرته لمقبل * غيري فلمسوالك أو للاكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يا رب فليك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يا رب فليك من عيون النرجس

ومن أحسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما أدعو على هاجري * الا بأن يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم في حقي

وقال الآخر

يا ذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
ولهتني فيه حتى * أعاد رشدي ضلالا
أدعو عليك وقلبي * يقول يا رب لالا

وقال الآخر وأحسن ما شاء

قد قلت لما أحسن حتى * أراد أني العشق مثلي
وقلت في السر مني * يا رب لا تستجب لي

وقال الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا أزال الله عمري * أو يريني بك ما بي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى قلبك في مثل عذابي الضياع

الضياع فاستلقاه فحين عرفه قال أما يكفيك قطعى عن الطلب والخروج حتى تبعتنى الى
هنا ثم حلف لايخرج من بيته ومضى أحمد حزينا فكان يماجن فيقال له ذهب دجاجك
و يضك فيقول أودّ لو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر
انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لو سعيت فى أن تجمع
بينى و بينه لاثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فضيت اليه فقلت له تعلم حرمتى عليك وحرمة
ماضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا قلت ما عليك
ان تزوره فتنقذه من التلف فامتنع فلم أزل به حتى أجاب أن يمضى من الغد فلما جاء الميعاد
ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال فى هذه الساعة أموت ورجع بعد ما جاذبته
الرداء وقطع منه فى يدى قطعة ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده
معى تغير واختلط عقله فقمت عنه فآبت نفسه اليه فقال لى اسمع وانشد

أسلم يا راحة العليل ❊ رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادى ❊ من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقد قام الصراخ عليه ومن شعره
فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح ❊ بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا ❊ كما وهبتك روحى

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا فى أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن
خطاب فكتب

ألحق لى التنوين فى مطمع ❊ فاننى أنسيت الحاقه
لاسيما اذ كان فى وصل من ❊ كدّرنى فى الحب أخلاقه

❊(أخبار مدرك وصاحبه عمرو)❊

هو مدرك بن على الشيبانى نسبة الى بنى شيبان عرب بادية البصرة دخل بغداد صغيرا
ونشأ بها فتفقه وأحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصرانى
البغدادى كان بدير الروم من الجانب الشرقى وكان لمدرك مجلس علم لايحضره فيه
الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد فيه وجده فالق
اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التى ❊ بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة ❊ غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة ❊ الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس فكان مدرك يلزم
دار الروم ويتبع عمرا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس

وقال الآخر يارب ان لم يكن فى وصله طمع ❊ ولم يكن فرج من طول جفوته ❊ فاشف السقام الذى فى طرف مقلته
واستر ملاحة خديه بلحيته وقال الآخر كم جفانى فرمت أدعو عليه ٧ فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لاشفى الله طرفه من سقام
وأرانى عذاره وهو سائل
وقال ابن سنا الملك
أسر لطول أسرى فى يديه
فيغضب اذ أسر لطول أسرى
سألت الله ان يبلى بعشق
فيصبح عاشقا لكن لهجرى
وقال ابن وكيع
ان كنت تعلم مابى
وأنت بى لاتبالى
فصار قلبك قلبى
وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش
تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى
عليك ثم بدا لى
وقوله أيضا
فهم غالط منى فهما
جاءنى يسأل عما عملا
مقسما ما بلغته عاتى
كاذب والله فيما زعما
رزق المظلوم منا رحمة
ثم لا أدعو على من ظلما
وقال ابن منقذ
ياظالما يعرض عنى اذا
دعوت غضبان على ظالمى
أظنه أنت والاظلم
تخشى دعائى دون ذا العالم
يارب لاتسمعه فيما ان
كان دعاء المغرم الهائم
وقال الآخر
قلت لمحبوبى وقد مر بى
محبوبه كالقمر السارى ❊ هذا الذى يأخذ لى طرفه ❊ من طرفك الوسنان بالثار وقال الآخر ولما بدا لى انه غير زائرى
وان هواه ليس عنى بمنجلى ❊ تمنيت ان يهوى سواى لعله ❊ بذوق مرارات الهوى فيرق لى

(الباب العشرون في الخضوع وانسكاب الدموع) أقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب
قبسات وهو من جريانه كالرعد ٨ كما قيل انبوب على انبوب ولاسيما اذا تمادى الهجر أو كان عليه بعض حجر هنالك يرى
من انسكاب عبرته العبر وينشد
اذا عزم الخليط على السفر
ومفارق سكن القلو
ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لى
وأنا السميع له المطيع
بالله قل لى ما جرى
بعدى فقلت له الدموع
وقال الآخر
قال لى من أحببت والبين قد جد
وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى
قلت ابكى عليك طول الطريق
وما أحسن قول القاضى الفاضل
رحمه الله
قد استخدمت بالافكار سرى
وما أطلقت لى بالوصل اجره
ولم أرلى على الايام الا
عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا
وصرت بادمعى فى الشمس عصره
وقوله أيضا وهو من نثره الذى
أصبح بين النجوم نثره فيصبر حتى
تنجلى هذه الغمره وتقلع سحائب
هذه السكره وتجف مناديل
الجفون فانها صارت بالدموع
عصره فقاتل الله البين ما أكثر
فضوله بدخوله بين المحبين وفى
هذا المعنى الباهر يقول ابن
عبد الظاهر
لا تسلنى عن أول العشق انى
انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارخت غراى بمستهل وغره ومن معانى المتنبى الغريبة قوله أتراها لكثرة العشاق
تحسب الدمع خلقة فى المآقى وقوله أيضا لا تعذل المشتاق فى اشواقه * حتى يكون حشاك فى احشائه افديه

عليه يعودونه فقال أما بينكم وبينى حرمة وعشرة أما فيكم من يرحمنى بالنظر الى عمرو
فمضوا اليه فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من أجله مضى معهم فحين سلم عليه أغمى عليه ثم
أفاق وأخذ بيده وأنشد

انا فى عافية الا من الشوق اليك
أيها العائد ما بى * منك لا يخفى عليك
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا فى يديك
كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بتخميس
الحلى لها أوردناها معها غير ان المصنف أبدل أبياتا يسيرة من التخميس وزاد آخر زعم ان
الحلى لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير انى أقول فى أبيات المصنف له
وهى هذه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه فى اسر
من غير ذنب كسبت يداه * غير هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه * كأنما عافاه من أضناه
اذ كان أصل نفعه والضر
(له) يا ويحه من عاشق ما يلقى * من أدمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما أجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
اخبار من يعلم أخفى السر
لم يبق منه غير طرف يبكى * بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكى * كأنما قطر السماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر
الى غزال من بنى النصارى (له) عذار خده يسبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب به أسارى
تنشد قول مدرك فى عمرو
(له) ريم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
وعظم ردف ونحيل خصر
ريم به أى هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولم يخش القود
متى يقل ها قات الالحاظ قد * كأنه ناسوته حين اتحد

ان القتيل مضرّجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه (وقوله أيضا) وهبت السلوان لامني * وبت من الشوق في شاغل
كان المقون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل (وقول الآخر) ٩ شققت عليه يد الاسى * ثوب الدموع الى الذيول

أفديه من ريم ومن هزبر
ماأبصر الناس جميعا بدرا * ولارأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا
فما أفقت ساعة من سكري
ها أنا ذا بقده مقدود * والدمع في خدي له أخدود
ماضر من فقري به موجود * لولم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجري
ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقضه الآثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
ياخيبتي ان لم أفز بغفر
ياليتني كنت له صليبا * أكون معه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا * لاواشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف أبدا من غدر
ياليتني كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا * كي ما يرى الطاعة لي ايمانا
فلا يزال الدهر طوع امري
ياليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم أحرفا
اوقلما يكتب بي ما ألفا * من ادب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر
ياليتني كنت لعمرو عوده * او حلة يلبسها مقدودة
او بركة باسمه محدوده * او بيعة في داره مشهودة
يدلج في أرجائها ويسري
ياليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
أضمه الى طلوع الفجر
قد والذي يبقيه لي أفناني * وابتزعقلي والضني كساني
ظبي على البعاد والتداني * حل محل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر
واكبدي من خده المضرج * واكبدي من ثغره المفلج
لاشئ مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
الاجمال ثغره بالدر

وقال الآخر في الخضوع وانسكاب الدموع
ولم أنس لاأنس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد
(وقال ابراهيم بن المعماد)
وبي غضبان لايرضيه الا * دموع سابكات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره
(وقال الآخر)
وقائلة مابال عينك مذرأت * محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظر قطلعة * فحق لها من فيض ادمعها غسل
(وقال السري الرفاء)
بروحي من رد النحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه * كان دموع العين تعشقه معي
(وقال ابن وكيع)
وسحاب اذا همي الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا * طل يذكي على القلوب الحريقا
(وقالت من قصيدة جازية)
خليلي روض الرقتين طرازه * اذا لمع البرق الحجازي مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي اذا همت * فما كل برق لاح للعين خلب
(وقالت من أخرى حجازية)

٢ تزني جفني القريح على الخدين قدوكفا * فحسبه ماجرى من ادمعي وكفا ان عزنظم دموعي حين انثره *
فالدرماعزحتى جاوز الصدقا لا تعجبوا من وفادمعي غداة جرى * من عينه ماجرى فالبحر فيه وفا

اليك أشكو ياغزال الانس * مابي من الوحشة بعد الانس
يامن هلالي وجهه وشمسي * لاتقتل النفس بغير النفس
وجد بوصل لسقام يبري

جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدى عن طويل العهد * فليس وجد بك مثل وجدى
وليس ذكرك مثل ذكرى

ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا أفيق
محترق ماسى حريق * يرثى لى العدوّ والصديق
من حر صدرى وعظيم ضرى

فليت شعرى فيك هل ترثى لى * من سقم لى وضنى طويل
ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذى جسد نحيل
افنيه حبك طول الدهر

في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكى بدمع وبدم
شوقا الى بدر وشمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى وبدر

اقول اذ قام بقلبي وقعد * ياعمرو ياعامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ واصلته لقد سعد
وكان من اشفيته في حر

ياعمرو ناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ماله من جبر

ياعمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى في مهده المنحوت * عوّض بالنطق من السكوت
وأنشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن أمه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
عالديه من خفى السر

بحق محيى صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور

مازلت أبكى على وادى العقيق الى * ان قيل هذا الذى من عينيه قد رعفا (وقلت ايضا من قصيدة)
بكيت على ارض بها كنت ماشيا * فاشبهت في دمعى على صخرها الخنسا ١٠ تجرأت يادمعى فلم تجر دائما
فيادمع ماابجرى وياقلب مااقسى
(وقلت أيضا من قصيدة)
ان عيني على العقيق اذا لم
يحك دمعى بلونه حمراء
منذ اسى بالبين دمعى نضارا
صح عندى اعين الكيمياء
لاتسل ماجرى من الدمع لما
صار من عاذلى على اجتراء
اطلع الليل ادمعى فوق خدى
مثل ماتطلع النجوم السماء
(وقلت من قصيدة)
لئن فترت عيني بجرّ دموعها
فثغر الذى اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفى بالدموع وكاءه
فنهد الذى حلت بطرفى عاقد
(وقلت من قصيدة)
سقيت بحر الدمع باردا ارضها
وارسلته فيها على حين فترة
فياطرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت
(وقلت من قصيدة)
خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلى محضرا فدامعى
كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه
تجرى العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه
زكيت شاهد قلبه المجروحا
(وقلت أيضا)
الطرف من فقد الكرى
يشكو الاسى اليه والخد من فرط البكى * ياما جرى عليه (وقلت أيضا) ومن
ارحم وجت لوعتى * وابعث خيالا في الكرى ودمع عيني لاتسل * عن حاله ياما جرى (كان) المسعودى شارح

ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
وما به صرف القضا يجري
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر
بحق ماري مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل اواب وحبيب الصدر
ونينوى اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فأقيل ذنبه * ونال عند الله ما أحبه
اذ رام من مولاه شد الازر
بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر
بحق أعياد الصليب الزهر * وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد ماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حل الاصر
وعيد شعياء وبالهياكل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبري
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر
بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق ما في محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبا جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل

وقائلة ما بال دمعك ابيضا
فقلت لها يا عاذلي هذا الذي بقي
الم تعلمي ان البكا طال عمره
فشابت دموعي مثل ما شاب مفرقي
وعماء ابل لا دموعي ولا دمي
يرين ولكن لوعتي وتحرقي
(وقال آخر)
وقائلة ما بال دمعك اسودا
وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعي من البكا
وهذا سواد العين فهو يسيل
(وقال آخر)
كانت دموعي حمرا يوم بينهم
فذ نأوا اقصرت بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم
فاستقطر البين ماء الورد من حدقي
(وقال الناشئ الاكبر)
بكت للفراق وقد راعني
بكاء الحبيب لفقد الديار
كان الدموع على خدها
بقية طل على جلنار

(الباب الحادي والعشرون في الوعد والاماني وما فيهما من راحة المعاني)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الاماني التي لا بد منها ولا غنى عنها فلا اقل منها
اعلل بالمنى قلبي لعلي
اروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى
ولكن لا اقل من التمني
ولم يزل المحبون يعللون بالاماني نفوسهم ويترعون براح راحتها كؤسهم فمنهم من فاز بالامنية قبل حلول المنية ومنهم من مات باعظم غصة وما وقع له الحبيب على قصة من نال من دنياه امنية * اسقطت الايام منها الالف وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به من المحبين

جم غفير من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الامانى لم يزل مهزولا نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد
بعيدا من لقاء الردى على ميعاد يصدق قول الحبيب ويكذبه ويمخنه ويجربه ويقول
مازلت منتظرا لوعدك سيدى
فى البيت ملتفتا لقرع الباب
يا كاذبا فى وعده بلسانه
من لى ببعض لسانك الكذاب
طالما أيس من وعد المحبوب
وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد
عرقوب كما قيل
وما بلوغ الامانى فى مواعدها
الا كاشعب يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم فى المثل مواعيد
عرقوب يقال لمن وعد وعدا
واخلف وأصل المثل المذكور
ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيأ
فقال له عرقوب اذا اطلع نخلى
فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح
قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا
ارطب فلما ارطب قال اذا صار
تمرا فلما صار تمرا أخذه من الليل
ولم يعط أخاه شيأ فضرب به المثل
فى خلف الوعد فقيل مواعيد
عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتنى ما لا أحاول نفعه
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقينى مثل ما
لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتنى
فقال لم تفسك يا اشعب
(وقالت اناس قصيدة حجازية)
يعدنى بالهجر فى كل ليلة
اصدق فيها وصله واكذب
ولما وردنا ماء مدين قال لى
وحق شعيب انت فى الطلب اشعب والناس فى الامانى على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس الارغبت
كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم من يقول ليس الترجى مما يغنى فيرى الامانى من الخداع

يسندزيد علمه عن عمرو
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقاذى الفعال الصالح
بحق تلميذا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين فى عظيم الاجر
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابسى الامساح * وعابد باك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حمر
بحق تقريبك فى الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
بما يعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر
بحق ماقدس شعيافيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومار يوبه * عن كل ناموس له فقيه
متبع فى نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعلمهم آخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبترك الاكبر والرهبان
والمغربانى ذى الخصال الزهر
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل * ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما اتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاق
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يا مهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
توقد فى راحته كالجمر

الارغبت فى رضا اديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر
فانظر اميرى فى صلاح أمرى * محتسبا فىّ عظيم الاجر
مكتسبا فىّ جميل الشكر * فى نثر ألفاظ ونظم شعر
فقيلك نظمى أبدا ونثرى

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى عمرو منها وظاهر انه كان روميا ولكن مدرك لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب فى الاصل والتزامى ذكر مافيه لحذفته أصلا لعدم الرغبة اليه لكن ساذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف اى جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله فى ربقة) بكسر الراء والموحدة المحتمة فى الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كان ربقة العشق جعلت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه الربقة وقوله ريم يعنى غزلا والروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الاسد يقول ان أشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسدا لصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو اوّل من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى به انهم لعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى دنك الخنزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصنائع وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ

والوقوع فى النزاع ولكل من القولين جهة ومذهب مساواة المحبة ومن أحسن ماسمعته فى القول الاول قول بعض بنى الحرث أمانى من سعدى حسان كانما * سقتنا بها سعدى على ظما بردا ١٣ منى ان تكن حقا تكن احسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
(وقول الآخر)
والمحلنا منزلا طله الندى
انيقا وبستانا من النور حاليا
اجدّ لنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الامانيا
(وقال افلاطون) الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحزون * وقال غيره الامانى رفيق مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك * وقيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها ايامك * وقال القاضى الفاضل وأحسن ماشاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ووقى كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منا
أغنى تلك الليالى المنيرا
ت وجهد المحب ان يتمنى
(وقال ياقوت الرومى)
لله أيام تقضت بكم
ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها
شئ سوى ان نتمناها
(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس
اصبو الى البان بانت عنه هاجرتى
ته للابليانى وصلها فيه
عصر مضى وجلابيب الصبا قشب.
لم يبق من طيبه الا تمنيه
(وقال العفيف) ابن عمّ كاتب الانشاء للناصر داود لولا مواعيد آمال أعيش بها *
لمت يا أهل هذا الحى من زمن وانما طرف آمالى به مرح * يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن (وقال ابن خفاجة)

القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من أول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك مادام عنده زوجة وان بلغ فى العلم مابلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والاصار مطرانا فان تنزه عن الذفر ومايخرج من الارواح صار بترككا فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لايجوز ان يكون بتركا الامن تنزه عن النساء وأكل الارواح ومايخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والمرون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالما كث فى القلة ميرون وكثير السياحة اسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وان لايصلى خارج كنيسة ولوخص قوله * كيماترى الطاعة لى ايمانا * بقوله * يكشف الرأس اذا ويجرى * لكان أليق لمافيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمصحف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ماشتملت على عواميد الاناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع رقيق الاسفل والقلة مثلها الا انها لاتسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ماشرح مؤخر والمغربانى الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية فى بيعة البرنز فارسله لوقا نذيرا لاهل السدخبسه شعياء اليهودى فى جبل الغمام وضربه على ان يرجع عن النصرانية فابى ومات جوعا عند الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا اول بترك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل اقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه الجوز فوق الجمر) لانها وظيفته والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوز فيها مدرك كما زاد الالف فى مرقولا والبيرم الفراش فى الدير وأشار بعفور رأس مريم الى بولس الذى نحر عن مريم يوم صورت فى القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما بدؤها خامس عشر ابلول وهو تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من اول اذار يعنى برمهات وقد يتقدم او يتأخر بخمسة عشر يوما وأصله فى الانجيل ثلاثون يوما ثم زاده لوقا عشرة أيام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فامر

وابل اذا ماقلت قدبان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب ولاانس الاان اضاحك ساعة * ثغور الامانى فى وجوه المطالب ١٤ حسبت الدياجى فيه سود ذوائب * لهاعتقى الآمال بيض الترائب

(وقال آخر)

فى المنى راحة وان عللتنا
من هواها ببعض مالا يكون

(وقلت انا)

رق لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يردها
لولا المنى مات باقصى أمانيه

(وقلت أيضا)

ياطيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه قلبى فى الهوى تلفا
كم ذا أعلل قلبى بالنسيم وما
ارى لداء غرامى فى هواه شفا

(وقال ابن زيدون)

لاسرحن نواظرى
فى ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى
ولاشربنك بالضمير

(وقال آخر)

عللينى بوعد
وامطلى ماحييت به
ودعينى أفوز منك *
بنجوى تطيبه
فعسى يعثر الزما
ن بحظى فينتبه

(وقال آخر)

وشادن قلت له
هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق
سفكت فى المنى دمه

(وقال أبو بكر الحاتمى) لى حبيب لو قيل لى ماتمنى * ماتعديته ولو بالمنون
اشتهى ان أحل فى كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون (وقال أيضا) امامنى قلبى فانت بجمعه * يابيتى اصبحت بعض مناك بزيادة

بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان بركة الغطاس لابد ان يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان وأنواع الطيب لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحه لهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هى ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الاصم أعنى ثالث عشر طوبة والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالخماسين والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كاز ردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآلشلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى قصر بعد الموت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعوا يعنى اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا واميخا وجرجس ورو يل ونبايئيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها فى الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد فى رؤس الجبال بالعبادة ولقد رأيت بعضهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لايسعها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بنى اسرائيل والدواء الذى فى قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة أرجل التاركة فى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل الملل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب المالنخوليا فان صح ذلك فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوما انا أغسل رجلى بالماء وارفعه فلا يتغير أبدا فتبطل معجزتكم ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون فى الباطن رفع اليهم من ذلك شيأ وأمرهم بادخاره فبقى رطبا الى القابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور ويطرح فى الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزع فيكون عندهم الى القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعنى الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخور الكنائس وغيرها ويداوون به أمراضا كثيرة كالحميات ثم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه فى الارض اسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها فى كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد الشمونا عاشر نيسان وعيد

يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم أكاديه اقبل فاك (وقال الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراكا ١٥ واذا ما تنفس النرجس الغض * توهمته نسيم شذاكا

خدع المنى تعللنى فيك * باشراق ذا وبهجة ذا كا

(ومما احتج به ارباب القول الثانى)

وأكثر أفعال الغوانى اساءة * وأكثر ما تلقى الامانى الكواذبا

(وقال الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(وقال ابن شرف القيروانى)

غاب عنوا فى البيوت امانيا * وبجميع أعمار اللئام امانى

(وقال ابن المعتز)

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

(وقال) على بن أبى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم * وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى (وحكى) ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج وأتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال أيبس لو رفست ابنتى هكذا لجمعتنى فيها * وقال على بن عبيدة الامانى حبائل الجهل * وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغم هسم روحين في بدن   هناك أنشد والآمال حاضرة *

هنيت بالملك والاحباب والوطن   ١٦ فوعده الملك المظفر اذا عاش حاجة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر بلا فصل باعياد وعيد مرماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعياء يكون في صوم الميلادة بشباط يعني أمشير والارمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء والماقية تسمى يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم والهيا كل الاماكن التي فيها اقبيور ومثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق ومر عيد عابد كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

(النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا ان نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)

(فمنهم) سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء وأهل الادب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ماعندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

احمل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لايدري بمن كلفي * وانت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه أهله بعد جهد فخرج الى دير زكى واقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالطرد من الدير فمنعه اي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وان الصنوبري آتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا ابا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذي على شرافة الدير قلت نعم قال لي اسأله حمل رسالتي الى عيسى فأبى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زكى * وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما * الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني * فقلبي مايقر من الوجيب

مولاي هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته
فذا أوان الموعد الصادق
فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته اسفار فأنفق فيها المال الذي أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
ذاك الذي أعطوه لي جملة
قد استردوه لملا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال
أتخرجني من كسر بيت مهدم
ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمني
وان مت تدري ذكر من سيموت
فحبسه المظفر فقال ماذنبي الملك قال قولك حسبي الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بذلك قال
أعطيتني الالف تعظيما وتكرمة
ياليت شعري أم أعطيتني ديتي
قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبي الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فكان حاله معه كما قيل
فكنت كالمتمني ان يرى فلقا
من الصباح فلما ان رآه عمي
(ولله القائل)
ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه اولى به من أمله   رب من ترجو به دفع أذى * سوف يأتيك الأذى من قبله (ذكرت هنا قول الآخر) وقالوا لما بدا العارض في خده * بسرت قلبي بالنعيم المقيم   وقلت هذا عارض ممطر * جاءني فيه العذاب الاليم

وقالوا اراك بنا المام سعد * ولا والله ما أنا بالمريب
وقولى سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذاما كنت تمنع من قريب
وان ألك مت فاكتب حول قبرى * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغص عيش * فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فاراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بمائة الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله تضربه الصبيان بالاحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن ايوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وانشد

جمعت بالكاس شملى * الله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى * حتى اقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزى عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفى يده مديه فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من الم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتى التى تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ما حكاه الثورى فى روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدورى عشق غلاما وكلف به فلما علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدوله فضعف واشتد غمه فكتب الى أبى الغلام يستعطفه فاجابه بانه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايا الدم وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فاخبر ان كبده تقطرت فمات فى الرابع (ومنهم) ما حكاه فى ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق فى الباب الثانى قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد أن شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبى كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى فى الادب وكان من أولاد الجند عشق شابا من اولاد الحسينية وافرط فى حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبى لمرضه فدخل

وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت الذى نقضنى من يده ورفضنى من باله وانت الذى فصلنى قبل أن يستكمل الوصل مدة حمله وفصاله وانت الذى اخلفتنى ما وعدتنى واشمت بى من كان فيك يلوم

لعل عينا اصابتنا فلا نظرت
أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه
وربما صحت الاجسام بالعلل
لعل الرضا منكم وكيف مناله
يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يروى أوامه
ويجر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى أمل
قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضا ممن كلفت به
يوما تبرح ما قالته حسادى
لعل زمانا قد تولى سينثنى
الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع
يجرها الجانى على مفرق الذنب
لعل سلو الفؤاد يعوده
وذا غلط ما نى فؤادى أن يسلو
لعل وما تغنى لعل وانما
علالة صب واستراحة هائم
ولا اقل من التعلل بلعل وما أقل
غناها واكثر عناها

(الباب الثانى والعشرون فى الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الحب المطبوع والعاشق القنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة فى العام فهو فى الرضا منه بالنزر اليسير كما قيل
(قليلك لا يقال له قليل)

٣ تز نى أنا راض منكم بأيسر شئ * يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق (وقال المعرى) لا قالك فى المام الذى ولى ولم * يسألك الاقبال فى القابل

أصحابه عليه ليعودوه فقال اريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعنى صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات ثم قال احملونى من هنا وألح عليهم فاخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه واتفقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معا ومن شعره

ملأت فؤادى من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبى رائع
وقلت لقلبى قسم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما انا صانع

(ومنها)

ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه * اذا تصدت قتلت

(ومنها)

وصفت خصره الذى * أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

(ومنها)

له عـــين لها غزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(ومنها)

عودا اصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرا * وقلبـــه ماله قرار

(ومنها)

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب فى معنى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

(ومنها)

لم أنس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ * حتى حسبناه معنا

(وقال)

لم انس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والنجاح
ذاك زمان مر حلوا لجنى * ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكرها ابن حجة فى شرح بديعيته أنه مدح بها صاحب حماة

ثانى المعاطف كنت أول عاشق * فى حبه ولكل ثان أول
يدنو فيصلو المتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل

ان البخيل اذا غذ له المدى * فى الجود هان عليه بذل الباذل (وقال جميل) أقلب طرفى فى السماء لعله * يوافق طرفى طرفه حين ينظر (وقال ايضا) وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو استيقن الواشى لقرت بلابله

بلا وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل ومن هذا المعنى المبتكر قول ابن المعتز

ألست ارى النجم الذى هو طالع
عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها
فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(والعلم) المشهور فى هذا الباب قول بعض الاعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علانى

كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر

الى الطائر النسر الطائر كل ليلة
فانى اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده
فنشكو جميعا ما تجن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى
اذا هى بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكى عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى أن اعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها وتحيل فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هذه فبالت له فى الصحفة وقالت الجارية

وتعبس منه شمائل لم ادر من * مشمولة او حركتها شمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

(القسم الثاني فيمن اشتهر في العشق حاله ولم يدر ما آله)

(فنهم) ما حكاه من له اعتناء بنظر كتب الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها
ففي حبل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها
بمن لو رأته القاطعات أكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما (ومنهم) ما حكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا اظن انه ابوه فقال حتى افرغ واكلمك فلما فرغ أقبل علي وقال هذا الشيخ يزعم انه يهواني وله ثلاث ما رآني (ومنهم) ما حكاه الاصمعي عن أبي نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لاقبلنه عند الحجر قلت اتق الله في ذلك قال لا بد منه فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وانشد

وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد

(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجني الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه الى القاضي وكان لطيفا فقال لاي شيء فعلت هذا فأنشد

لما تمادى على بعادي * واضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أكبر في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذا الذي مرادي

فاستظرفه القاضي وحل عنه ما أفسده

(القسم الثالث في ذكر من ساعده الزمان في المراد حتى بلغه ما اراد)

فنهم ما حكي انه كان ببغداد رجل صوفي معروف بالزهد والعبادة فهوى غلاما جنديا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر امره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفي كان يقصده في الطرق والمواكب لينظره فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم ما لكم فقالوا الا شيء فاقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه واعلمه أنه يهواه فقال منذ كم قالوا من

ابعه وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى ان دخل بعض الخربات فوضع ابره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل
ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من افرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فأصبح هو ومحبوبه كالشيء الواحد في رأى العين حتى عند الاحول الذي يرى الشيء شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له
من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(وقال ابن الرومي)

اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه رشفا ما سوى الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال آخر)

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو أن روحي مازجت ثم روحه * لقلت ادن مني ايها المتباعد

زمان طويل فقال بئس المرء الذي لا يعرف من احبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فانشد

يامحرقا بالنار وجه محبه * رفقا فان مدامعي تطفيه
سرق بها جسدي وكل جوارحي * واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي (ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتدبه بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فأبى وكان لا يساوي اكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري اكثر من يوم حتى ذهب عقله واكثر التردد الى أبي الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

ابا الفضل في تسع وتسعين نعجة * غنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
اتأخذه مني وقد اخذ الهوى * فؤادي له فيما أسر وما ابدي
رتغدو عليه صبوتي وصبابتي * ولم يعده وجدي ولم يأله جهدي
وقلت أسل عنه فالمنية دونه * وكيف يسلو ان الظمآن عن الورد

فقال ابيعكه بجميع ما ملكت في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح أقاله وقال اياك وهجر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ما حكي عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له اخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فافتتن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام امره فقال ما أصنع واخي لا يفارقني ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتيتنا ولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليل اظهر الشاب انه نائم فنام اخوه ففتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فاخذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا لطيفا ملبين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكاس في يد الشيخ وهو ينشد

سقاني شربة من خمر فيه * وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خد الخد * مليح في الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا انم عليكما وانصرف * وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده * وتطلع يا بدر من بعده

(وقال ابو الحسين التونسي) ثم اعتنقنا فترانا معا * في ظلمة الليل ونور العتاب بجسمين صارا في الهوى واحدا *
كشكلتين اختلطا في كتاب (وقال خالد الكاتب) كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى
حسبتنا في جسد واحد
(وقال نفطويه النحوي)
ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه اعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضي
(وما احسن قول ابي بكر الاربلي)
هم الرقيب ليسعى في تفرقنا
ليلا وقد بات من اهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى
فذرأى واحدا ولى على حنق
(وقال سيف الدين المشد)
ولما زار من اهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا
كأنا واحد في عقد كاتب
(وقال آخر)
توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا مارأى غير واحد
قال قاضي القضاة كمال الدين بن
العديم لما سمع هذين البيتين امسكه
امساك أعمى (وقال ابو الفضل)
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفي حبائلكم
بسهم هجرك ترمى ثم تنويني
ومثل هذا القول في عدم السلامة
وتوجيه الملامة (قول ابن سنا
الملك) وليلة بتنا به دسكري وسكره * تبدت وسادي ثم وسد يدي
وبتنا بجسم واحد من عناقنا * والا كحرف في الكلام مشدد

وهلا

لو قال كرف في التظلم ماوقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ معدود عند العروضيين بحرفين وأما في الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما أراد ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ٢١ ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة وقال

فهلا خسفت وكان الخسوف * لباس الحداد على فقده

تخسف من وقته (ومنهم) الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من اجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد اسود فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له اما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا اقل من الواحد أو لونا اشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر اليه فزال ما به فاتفق لابرسل الى الشريف الهدايا الامع اعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه واخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم يمكنه به الشريف ويعتبه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب اهل السنة وان دليل ذلك امر عظيم اخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتسنن وهي

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي * من بعد بعدك بالكدر
ومنعت جثماني الضنى * وكلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا * دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالاغن من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما * لذبسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي * لا ينياط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقول * عيون أبناء التتر
وكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى * يقضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر

بعض شعراء الذخيرة
بتنا وراء الحجاب يلحفنا
برد وقاروا الشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد
صارا كفرد بالروح يتصل
لو ان غيث السماء أمطرنا
لم يصب الارض تحتنا بلل
قال محمد بن عرس اجتمعت أنا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكرة فكان في بعض ما قاله أنا أشعر الناس فقلت لم ذا قال بقولي
الا رب ليل ضمنا بعد هجعة
وادني فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الخمر فيما بيننا لم تسرب
فقلت له والله لقد أحسنت ولكني أشعر منك قال بأي شيء قلت بقولي
لا والمنازل من نجد وليلتنا
بغيداذ جسدانا دينا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
يوما فما انفك لا خد ولا عضد
والاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر المحرك
ومرتجة الارداف مهضومة الحشا
غمور بسحر عينها وتزير
اذا نظرت صبت عليك صبابة
وكادت تميل القلب بالحاشة بين قد رو
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا
الى الصبح دوني حاجب وستور

ذكرت بقولي في أول الباب الاحول الذي يرى الشي شيئين قول بعض المغاربة في مليح له رقيب أحول
بأبي رشأ يحوي مع الاحسان * ملكية موضوعها انساني أحوى الجفون له رقيب أحول * الشي في ادراكه سيان

عذل العــدول وما رآ * ه مخين عاينــه عــذر
قــــــــريزين ضوء صبــــح جبينه ليل الشــعر
ترى الواحــظ خــدّه * فــيرى لها فيه أثر
هو كــــالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
و يلاه ما أحــلاه فى * قلبى الشقّ وما أمر
نوى الحــرّم بعــده * وربيع لذا فى صفر
بالمشعرين وبالصــفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيــه وطا * ف به ولبى واعتمـر
انّى الشريف الموسوىّ ابن الشريف أبى مضر
أبدى الجحود ولم يرِ دّ الى مملوكــــــى تتر
والت آل أميــة الــطــهر الميامين الغــرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدّم شيخ تيـ * ـم ثم صاحبه عمــر
ماسل قط ظبى على * آل النبىّ ولا شــهر
كلا ولا صــدّ البتو * ل عن التراث ولازجر
وأثابها الحسنى ولا * شــق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ * ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراقه * مصــفه براءة والزمر
ورثيت طلحــة والزبيـ * ـر بكل شــعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أوعذر
وأقول أم المؤمنيـ * ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمــل لتصــلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ * ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حســن وسـل حســامه وسطى وكرّ
وأذاق اخوته الردى * وبعــيرأمهــم عقر
ماضرّه لو كان كــف وعف عنهــم اذ قــدر
وأقول انّ امامكم * ولى بصــفين وفــر
وأقول ان أخطا معا * ويه فما أخطا القــدر
هــذا ولم يغــدر معا * وية ولا عمــرو مكر

بالسه ترك الذى أنا مبصر * وهو المخبر فى الغزال الثانى وقال ابن اسرائيل من دوبيت قد بالغ فى مدحه بالمين
من قال رأيت مثله بالعين ما يبصر مثله سوى ذى حول ٢٢ من حيث يرى الواحد كالاثنين وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لى لم ذا كلفت بأحول
يقلب بالزوجين قلت اهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها
فعادت بطول الدهر تنظرها شزرا
(الباب الرابع والعشرون فى عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب)
أقول هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول الى الذبول وأصبح كالطلل بين الطلول فهو من شدة الضر كما قال صردر
وكم باحــ[ل] بين تلك الخيا
م تحسبه بين أطنابها
فحو بة فى الخفاء واحد كالالف
وهو فى رقتــه كالخيال يمشى الى خلف
ولما رأ تنى كعود الخلال
وجسمى كما ينسج العنكبوت
فقالت تموت الى كم تئن
فقلت أئنك الى أن أموت
والعلم المشهور فى هذا الباب قول المتنبى
أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد فى مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمى نحولا اننى رجل
لولا مخاطبتى اياك لم ترنى
(وقال أيضا)
ولو قلم ألقيت فى شق رأسه
من السقم ما غيرت من خط كاتب
(وقال أيضا) الام طماعية العاذل * ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
وانى لأعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل بطل

ولوزلتم ثم لم أبككم * بكيت على حبي الزائل (وقال المعمار) ترك اضراري والنحول كلاهما *
في العشق جسمي بشدر العشاقا فكأنه ألف بخط مدهب جعل الدجى أرقى له أوراقا

بطـل بسـوءته يقا * تل لابصارمـه الذكر
وجنيت من رطب النوا * صب ماتمـروا ختر
وأقول ذنب الخارجيـــن على عـلى مغتفـر
لاثاريقتالهـــــم * في النهـروان ولاأثر
والاشـعرى بمابؤ * ل اليـه أمرهماشـعر
قال انصبوا الى منبرا * فأناالبرىء مـن الخطر
فعلا وقال خلعت صا * حبـكم وأوجزوا ختصر
وأقـول ان يزيدما * شرب الخمور ولا فجر
وبجيشـه بالكف عن * أبناء فاطـــــمة أمر
والشمر ماقتـل الحسيـــن ولاابن سعد ماغـدر
وحلقت في عشر المحـرم مااستطال من الشعر
ونويت صوم نهـاره * وصـــــيام أيام أخر
ولبست فيـه أجل ثو * ب الملابس يفتخر
وسهرت في طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطر * يق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو * ل بلحـم جوني الجفـر
وجعلتماخبرالمآ * كل والفوا كه والخضر
وغسلت رجـلى كله * ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلا * ة كن بهـا قبلى جهر
وأسـن تسنيم القبو * ر لكـل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغـديـ * ـر أقول ماصح الخـبر
ولبست فيـه من الملا * بس ما اضمحل وماانـدثر
وسكنت جلق واقتـديـ * ـت بهـم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * بالقـا شريا قـد فشر
مصطيحى مكسورة * وقطـيرتى فيهـا قصر
بقسرترى برنيسهم * طيش الظليم اذا نفـر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهـم هـدر
وطباعهم كجبالهـم * خلقت وقـدت من حجر
مابدرك التشبيب تغـ * ـريد البـلابل في السحر
وأقول في يوم تحـا * رله البصــيرة والبصر

وقلت أنا من قصيدة
كأن ضباب الافق نقسرت به
نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم
ولم يبق منه غير صوت وأنة
(وقال المتقل)
ان جفاني الكرى وواصل قوما
فله العذر في التخلف عنى
لم يخل الهوى بجسمي شخصا
فاذا جاءني الكرى لم يجدني
(وقال ابن لؤلؤ)
وأرقني خيال من حبيب
تناءت داره لما رآني
فمن سهري يلم فما أراه
ومن سقمي يطوف فما يراني
وقال محيي الدين بن عبد الظاهر
أيها الصب المعنى بالعذول
هو من دون الورى مقتنصي
لاتسم طائر قلبي هربا
انه من أضلعي في قفصي
(وقال مضر المغربي)
أذابه الحب حتى لوتوهمه
بالوهم خالق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه
لم يدره بعيان من يكلمه
وقال محاسن الشواء
ضنيت وضن من أهوى بوصلى
وعادني الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا
وان خالفته صلة وعائد
وقال الارجاني

ولولاسناها لم يروني من الضنى * ولاأبصروا من أجلها خصماني ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء
(وقال آخر) قد كان لي فيما مضى خاتم * فدق جسمي فمنطقت به

وزادني السقم فلو زجّ بي * في مقلة النائم لم ينتبه   وقال ابو العتاهيه لم يبق الا القليل في وما أحسبها تترك الذي بقيا

(وقال بن عبد ربه) رأيت العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا (وقال آخر)

والعصف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف أضلنى * بعد الهداية والنظر
مالى مضل فى الورى * الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف * فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وأيقن أننى * بحر وألفاظى درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
والى الشريف بعثتها * لما قراها وانبهر
ردّ الغلام وما استمر * على الجحود ولا أصر
وأنابنى وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هذا باحسنة فدحه مهذب الدين فقال

* الى المرتضى حث المطى فانه * امام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضا فى الفضائل عنده * ونجل الزكى الهاشمى هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يقصر ما بعده من الكلمات المهملة التى تستعملها أهل دمشق فى الخلاعة والمصطحة خشبة فى الاصل تجعل تحت دود القز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطحة ويكون معهم فى المواسم وقد تظرف فى المبالغة فى المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر الى القطيرة والكسر الى المصطحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة فى لعبة عن جاص وبانه قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطحتى قصيرة وكذا فى لعب القطيرة من قطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم أنه ملحق بعد ردّ المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

(القسم الرابع)

فى ذكر من منعه الزهد والعباده ان يقضى من محبوبه مراده

ولما ان رأى أهلى سقامى
تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عنى
مخافة ان أطير مع النسيم
(وقال آخر)
واذا عائدنا الكلامى
لعبت بى انفاسه فى الفراش
(وقال آخر)
عبثت به أيدى الضنى فكأنه
سرّ خفىّ فى ضمير كتوم
وقال ظافر الحداد
أنحلنى حبك يا منيتى
وزادنى الشوق فلم أعرف
ذبت حتى لو رمى بى الهوى
فى ناظر الناظر لم يطرف
وقال ناصر الدين القيسى
قول جسمى نحول رقّ
أفرط بى فرط ضنى وكتاب
نعالت بى يا سقم ما لم يكن
يلبس والله عليه الثياب
ومما يفرط فى هذا السلك ما وصفت
به الشعراء الخصر من النحول وقد
بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال
وأحسن فى المقال
واها على خصر الرقيق رأيته
قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكأن تقبيلى له تعنيق
وقال الشيخ صفى الدين الحلى
مليح بفار الغصن عند اهتزازه
ويخجل بدر التم عند شروقه
فاقسم معنى ناقص من خصره
وما فيه شى زائد غير ريقه   قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى وأراد قصره على الحسن فقصر   قد
يجرى خاطره ليعثر على المعنى فاعثره عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الاصباح والا كوثر والخصر والمنصر الا ترى قول ابن العفيف

قد رأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر اقوام عصمهم الله من الوقوع فى الخطا وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى) فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرا وراعيها وانه أتانى يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انما لى عندك فرق من أرز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من أحب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فابت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتسور اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت فقال لاى شئ فعلت هذا قالت خفت ان أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية فحلف لا يعصى الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت انى احب لك منك لى ولكنى اخاف الله فقال اتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد ان يأتى عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لى عمل فقال الرسول انا ادعو وانت أمن وفعلا فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالى عمل وقد تبعتك اخبرنى ما فعلت فأخبره فقال ان التائب عند الله احسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه فلما افضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت امسكتها عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعى ثيابك فحين همت اجلسها ثم قال لها من اين جىء بك فى الاصل قالت اغتصب الحجاج مال

وحلاوة منطقه الظريف فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتمالى ردفه وهو بارد وكم يدعى صونا وهذى جفونه بفترتها للعاشقين تواعد (وقال ايضا) شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلفت حتى انه قط لا يعفو

فلا انت لى الاعطاف والخصر رق لى
ولكن تجافى الشعر وانقل الردف
(وقال ايضا)
تلاعب الشعر على ردفه
أوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره
رفقا به ما أنت الا ثقيل
وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الآخر
لبدر من وجنته نكتة
وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كانه يمشى الى خلفه
وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص
جاء وفى قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال
وثقلت ردفه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
تثنى الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا
خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف
وردفه خارج ثقيل
(وقال ابن رشيق)
أجل أثقالى على ردفه
وامسك الخصر لئلا يضيع
(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)
سألت النقا والبان يحكى لناظرى *

٤ تز نى روادفا وأعطافا من طال صدها فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

*(الباب الخامس والعشرون فى ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق والم

الفراق) كقوله شكى ألم الفراق الناس قبلي * وروّع بالنوى حي وميت
وأما مثل ما شئت فلو عينا * فانى ما سمعت ولا رأيت أقول هذا باب ٢٦ عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار في طلب الاوطار فهو لا يزال مشغولا بحاله متقلبا بحسب أحواله يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال ما هو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال

(قال الطغرائي)

ومن طلب الاحبة كان أحرى
يبذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من
نضى من دون مطلبه حسامه

(وقال أيضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني
باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك واني
لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن
عليك لشقوتي وقع اختياري

وقد أنصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو أحسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس أوقعاه في هواه ومن أحسن ما سمعته في طلب الاوطار وركوب الاخطار قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحي كل تنوفة
يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر

عامل فاصطفاني منه وارسلني لعبد الملك فوهبني لابنته فقال احق هو قالت لا قال هل له ورثة قالت ولد فاحضره وامره ان يذكر ما غرم الحجاج اباه واعطاه عمر رضي الله عنه ذلك مع الجارية وقال له احذر ان يكون ابوك ألمّ بها فقال هي لك يا امير المؤمنين فأبى فقال ابتعها فأبى فقالت الجارية اين وجدك بي قال قد زاد ولكني انهى النفس عن الهوى (وحكي) ان امرأة كانت في بني اسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعني الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال أجبتك فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لي زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراما له قال ابن عباس فجاء منها سبعة أنبياء * وأما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة الى ان افردت بالتاليف وحاصلها ان بشرا رجل من اسد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الاول من الاصابة وهند جهنية قيل ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة فمر بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلقته وتعرضت اليه بمراسلات بأشعار اظنها موضوعة لا همالها فلذلك حذفتها فلما رأى بشر الحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها ان يدعو لها الاطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر اخبرت زوجها انها رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فيزيدت وأطلعت عجوزا على أمرها فوعدتها أن تجمعها به ثم وقفت له فسألته ان يقرأ لها كتابا أو يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز أراك مسحورا وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوما لتنظر له فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فهيئي فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فجاء فحين جلس ادخلت هندا عليه واغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه طلقها ثم مضى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ اسلمت ولا زنيت منذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فادّب العجوز وقال أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة فاخلصت توبتها (وفي امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا كنت أعرف فيه راهبا معروفا بالاخبار فوجدته مسلما وجميع من في الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته اليها فأبى فلما زاد بها الوجد أعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت الصورة فلما أصبحنا وجدناها

ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بباقيها
أسلمت وجهي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يهويها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبـــــة لم تزل تشفي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فأخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فأنشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحـد صمـد
محا الاله ذنوبي كلها وغـدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت عـلى الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلـــــد
أثابني رحمـة منـه واسكنني * مع من هويت جنانا آخر الابد

فما ثنا ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير بسببها (وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهويها شاب مسلم واشتد ماله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فأبى فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بها الى الجنة فمنعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا لي ولك وستأتي بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لي بعض أصحابي بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فاني أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكنا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبي كأن فلانة ارسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد

جعلت من وردتها * تميمة في عضـدي
اشمها من حبها * اذا علاني كمدي
فمن رأى مثلي فتى * بالحزن أضحى مرتدي
اسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوا دهره * مقارنا للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا الشهده فحين دفناه اقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها فما تركت ترابا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم يجرونها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا اهتمام فوالله لا ينتفعون بي فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل في شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان

فلم أرق الاصعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد اطل على نهر ولا شمت الاغرة فوق اشقر * فقلت حباب يستدير على خمر فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر (قلت) ٢٧ انظر الى هذه الابيات التي أفرغت في قالب عجيب وأسلوب غريب فبينا صاحبها يصف أدهم الليل اذ مالت عليه الخيل كل الميل وبيناهو يكافح الاسود اذا به يتهدد على النهود وبيناهو يقيم قدود الملاح مقام الرماح اذا به يقول لخدودها

من صدعن نيرانها
فانا ابن قيس لا براح

قد أحسن فيها الاستعارة وساير بنظمها المعالي وعددها السبعة السيارة فنظمه في النجوم ودمع المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره في هذا النمط ودره الداخل في هذا السفط قوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته
أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت أطراف الاسنة انجما
ودست بهالات البدور ديارا

(وقال أيضا)

يعللني منه بموعد رشفة
خيال له يغرى بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم
عليها حباب من أسنة مران

(وقال ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه
من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم
لولاك ما كنت أدري انهم خلقوا

(وقال الآخر)

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن يطلب العلياء لم يدعه المهر

(وقال آخر) يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلا

(وقال المتنبي) لقد أطمعت نفسك بالمحال
تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون فى طيف ذكر الحبيب) (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين تكسرت النصال فى كل موقف ٢٨ الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولاسيما اذا لقيت القسى مقام الحواجب والتبست الخدود بنهود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود هنالك يجعل حبيبه المشار اليه نصب عينيه لايلهيه عنه ضرب الحسام ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائى التى اربى فيها على عنترة العبسى وزاد بها فى الوفاء بشرط المحبة على كل جنى وانسى وهى ماحكاه غير واحد من أرباب التاريخ ممن خبر وخبر وتصدى وتصدر وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب أبا اسمعيل الحسين الاصبهانى المنشئ المعروف بالطغرائى كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان والرى وانهزم الملك مسعود كان أول من أخذ الطغرائى فلما عزم السلطان أخو مخدومه على قتله بعد ان قيل له عنه أشياء من جملتها انه ملحد وانه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاغروه عليه الى ان أمر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة لرموه بالسهام ففعل ذلك وأوقف أنسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائى وأمره ان يسمع مايقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام فى أيديهم مفوقة لرميه (واخبرنى) بعض من حكى لى هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتهم هو بحبه فأنشد الطغرائى فى تلك الحالة يقول لى

بكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرلى بما شئت فارسل اليها ان الزمى طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لايفتر عن ذكرها حتى بلغ الى مارأيت

(النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان)

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه قال بعضهم مررت بدار قوم لوط فأخذت منها حجرا الحاجة فحين نزلت فى دار جعلته فى طبقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بى فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك* فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ماشاء وينام يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى على سليما لم اقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة على فيه معصية وان الذى اضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت او كان بالارض لتدكدكت ثم يا ليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدى انت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذى يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه* وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الاحداث بالهجر قال أبو حمزة رأيت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليثيبنى الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا فى دار الكرامة قال ورأيت ايضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له ماأراك تسلو عن صاحبك فقال كيف اسلو عن شخص أحسن تأديبى وعصمنى من الفسق* وحكى أبو حمزة الصوفى قال نظر رجل صوفى الى غلام جميل فافتتن به فأقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به وبلغ الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فاكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزم الفتى يوما فابى ان يذهب معه فقلت له لاى شئ امتنعت فقال لست معصوما وأخاف ان تحدثنى نفسى عند الخلوة بما يحجبنى عن الله* وحكى ايضا قال صحب محمد بن قطن الصوفى غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكى والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه* وصحب أبو الحسن غلاما كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتى به الى بيته فتحدث الناس فيه فمنع الغلام أهله من صحبة أبى الحسن فنحل حتى شارف الموت فانشد

يامن بدائع حسن صورته * تثنى اليه اعنة الحدق

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الأحبة موضع ٢٩ أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم

(خاتمة في ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق في صدر الكتاب أنه لا علاج للعشق على الأصح إلا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع في الخبال فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه أنه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك أنه مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أو من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه * أخي حفاظ عن المكروب فراج

فقال إنها امرأة تسمعها من نصر قالت رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان فقال له لا تساكني في بلدة تمنتك النساء بها وأخرجه إلى البصرة وخافت المرأة فكتبت إلى عمر تستعطفه

قل للإمام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
إني عنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجي
إن الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى أقر بإلجام وإسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجي
لا تجعل الظن حقا أو تبينه * إن السبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل إليها قد بلغني عنك خير فقري ومضى على نصر مدة بالبصرة فأراد عاملها إرسال بريد إلى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من شيء عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء فمالي في الندي كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي في المكتين مقام
ويمنعني مما تظن تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهذان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر أما ولي سلطان فلا وبعث إليه فأقطعه بالبصرة ما يعيش به وقيل نزل نصر على

فأمر السلطان بإطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وسحر بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإني لصادق * أداء عراني من حبابك أم سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(ومما راق قول الطغرائي أيضا)

إني لأذكركم وقد بلغ الظما * مني فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغا * كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

(وقال ابن تميم)

ألا من يبلغ المحبوب أني * وقفت وللظبى حولي صليل
وإني جلت في جيش الأعادي * برمحي وهو في فكري يجول

(وقال أيضا)

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو في الحشا * شوق إليك تضيق عنه الأضلع
ومن الصبا وهلم جرا شيمتي * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

(وقال الشريف البياضي) ولقد ذكرتك والطبيب معبس

مجاشع بن مسعود السلمي من بني عمه فاكرمه ورفع محله ونفى نصر بها الثقفي وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبي حماء بن أبي بهرو كانت من اجل النساء فتوامقت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فاخفياه وكان مجاشع آميا فكتب لها نصر يوما في الارض أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك او تحتك لاقلك فكتبت هي وأنا وقيل قالت ذلك بلفظ خفي فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما أحسن داركم فقلت وأنا قال ماهذا لهذا وجعل على الكتابة صحفة فمن أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هي طالق الفا يا ابن أخي فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبها فارسلها مجاشع اليه بطعام فضمت به فضمت نصرا الى صدرها واطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الاعشى حيث يقول

لو أسندت ميتا الى صدرها * عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشفوف وقيل ان مجاشعا حين طلقها أخبر أبا موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة فقال لنصر ما أخرجك أمير المؤمنين من خير اخرج عنا فاتى فارس فعلمته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص فقيل اخرجه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان أخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فأمر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت اذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فأولدها الحجاج وبها كان يضرب المثل فتقول العرب اصبأ من المتمنية وادنف منها * ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات قيل وجد على قبر الملوك حجرا أو صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحسنت سلمى اليك صنيعها * تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونه مقلوبا ويسقونه العاشق فيسلو ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه في خشب الطرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس احدث السلو (وأخبرني) من اثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجامع الاموي قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أتقد مامعه وهي تكثر التجني عليه ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على ان يشرب السم ليموت فشكا ذلك الى صاحب له فكتب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث باآت وخمس هاآت وعشرين كافا وأمره ان يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثا فكان الله لم يخلق حبها عنده (ورأيت في كتاب البوني) سماه خزائن الاسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب ورتيس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقيل ان عين اليوم اليسار واظفار

والجو منغمس به المسبار
وادم وجهي قد قرا حديده * ويمينه حدرا على يسار
فشغلتني عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الاقطار (وقال ابن رشيق)
ولقد ذكرتك في السفينة والردى * متلاطم متوقع الامواج
والجو مظلم والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للاعادي عسكر
يتوقعون اغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة
وانا وذكرك في الذ تناجي
(وقال أبو الثناء محمود)
ولقد ذكرتك والسيوف لوامع
والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله
حسناء ترفل في رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري
يلهو بطيب ذكرك المستعذب
(وقال صفي الدين الحلي)
ولقد ذكرتك والعجاج كانه
مطل الغني وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل في جندل
مناو بين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر
بضياء وجهك او مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كانما
فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر
(وقال أيضا)
ولقد ذكرتك والجماجم وقع
تحت السنابك والاكف تطير
والهام في أفق العجاجة حوم
فكانها فوق النسور نسور
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة
وبدت علي بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي
والراح تجلى والكؤس تدور
(وقال آخر) وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الاحباب
ولقد ذكرتك والرماح تنوشني * عند الامام وساعدي مغلول
الخفاش
ولقد ذكرتك والذي أنا عبده * والسيف فوق ذؤابتي مسلول
(وقال أبو طالب الرفاء)
ولقد ذكرتك والظلام كانه

الفاش اذا جعلت فى جلد حمار وحش وحملت على العضد الايسر احدثت السلو ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حامله يورث الهم

(الباب الرابع فى ذكر ما سوى البشر وما القوا من العبر)

وهو نوعان (الاول) فى الجنة وما القوا من المحنة اسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلانى يرفعه الى البيهقى انه قال تزوج سعد بن أبى وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانا فهم بقتله فقالت هذا كان يتبعنى وأنا فى بنى عذرة عند أهلى فقال لسعد هذه امرأتى تزوجتها على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها فانساب حتى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وصعد فى السقف فلم ير بعدها (ويحكى) عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها ان جنيا أتاها فى هيئة ثعبان اسود فعالجها فأتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبر الى الكبير أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على امتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت أو قالت جعل يده فى حلقى فاسود وأخبرت بذلك عائشة (وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جنى الى زوجته فزنى به فلما جاء قال له لك ليلة ولى ليلة والا قتلتك فانى أحبها فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتى فهل لك ان تكون معى قال نعم قال فحملنى حتى لصق بالسماء فسمع قائلا يقول ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوقع وراء ق فصرت أقولها اذا جاء فيذهب الى ان مضى ولم أره وعندى فى هذه بعد لانه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجنى فى الخراب (واما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها وأصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فرأى شخصا يمشى فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل انا جنى وقد صار بيننا صحبة ولى اليك حاجة فهل تقضيها لى قال نعم فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكا أبيض معشرا فاشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له كرامة ولكن أنا أيضا لى اليك حاجة فقال وما هى قال تخبرنى اذا البستم الانس ما الذى يخرجكم فقال له الجنى انى مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه فلما وافقه قال له خذ عنى من أخذ من بين عينى حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال وابس من حافره خاتما لم يقرب جنى قضى الانسى فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال على برؤها ففعل وصنع لها الخاتم والسير فحين دنا بهما منها صاح الجنى وقال له او على نفسى علمتك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه والبسها ذلك فذهب عنها *(النوع الثانى)* فى ذكر من كان وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى تلف او كاد ان يتلف قد اسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكاليف وتداخل اللطيف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقد

يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
والناس فى هذا البيت كلام وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان
ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
فى ليلة اسدلت جلباب ظلمتها
وعاركركبها عن أعين البشر
والفلك فى وسط الامواج تحسبها
عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت
صدرى فيا لك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك فى خلدى
وفى فؤادى وفى سمعى وفى بصرى
وقلت أنا فى رمل طريق مصر الى
الشام من مقامة
ولقد ذكرتكم برمل روعه
فى قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا
بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبرى هام كل مدجج
من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع فى الدجا
كوميض برق فى الدجا متلهب
وعلى العوالى كل نسر واقع
يفرى اديم الليث منه بمخلب
والرعد للارماح رعد قاصف
والبحر يهدر كالهزبر الاغلب
والبر يجرى بالدما والبحر
بالفرنج وكل كلب أجرب
وعلى السواحل غارة شعواء ما
فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا بأوتار القسى كاننى
فيه اغنى بالرباب وزينب
وأقول ليت أحبتى يدرون ما
أنا فيه من لهو وعيش طيب
وقال مجنون ليلى
ذكرتك والحجيج له ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن فى بلد حرام * به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما * جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركى * زيارتها فانى لا أتوب
والناس على هذا البيت الاخير كلام (وحكى) عن ليلى الاخيلية انها

روى استعداد كل لصاعد ونازل وان العشق سر يودعه الله في الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه ادلة التجربة والقياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوي الادب وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهي القول الى الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث انهينا الكلام في هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق في باقي أنواع الاعيان فننظم هذا النوع في خمسة أصناف *(الصنف الاول في الطيور)* هي الطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها في نحو الريش فلذلك داخلها التألم بالنوى حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد في معبد منقطع فوجد فيه حمامتين يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد احداهما تتخلف فتأتيها الاخرى بقوتها وداما على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجتا فاذا بباشق انقض فأخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تمرر ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الارض وتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فيها (ورأيت في كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه انه رمى به وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى ألقاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم اشعر يوما الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياما فبينما انا يوما اذا بالواحد منهم ساقط فنزل الغراب لحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره قلت ولم ازل اتفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة وغزل خيوطا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت القيت في النار فيذهب ما فيها وانه قبل ان يغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقان اعتراها فتمضي الى اماكن هذه الاحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء ... من

عرفت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح ٣٢ لسلمت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح فقالت دعه

فقال أقسمت عليك الا مادنوت منه فسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو حز بالسيف رأسي في مودتها
لمر يهوي سريعا نحوها راسي
ولو بلي تحت أطباق الثرى جسدي
لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي
لو يقبض الله روحي صار ذكركم
روحا أعيش به مادمت في الناس

(وقال آخر)

ولقد ذكرتك والظلام معبس •
وأنا قعيد في البيوت وحيدتي
والجو يصفر من قعودي في الهوا
ما فيه من خل يكون عميدتي
والبق والناموس حولي عسكر
يتقاتلون على شريب دمي
والفار يلعب في الزوايا دائما
وينط كالقعقاع فوق كويرتي
والعنكبوت يحوك حولي خيمة
يصطاد ذبانا تجوز كويتي
والاكل خبز مثل راسي يابس
والشرب مر من دخين بلدتي
وسماع نغمات طنين بعوضة
وصرير صرصر صرة وصفير بويبة
فوددت تعنيق القويرة كلما • نعات لانك مثلها في الخفة
باصابع لك شبهها في الرقة وحسدت أيدي العنكبوت لشبهها الهم
وطربت من صوت الصرا صر نغمة * اذ أشبهت نغمات صوت حبيتي

فبكيت شوقا حيث لا أنت معي * تتنعمين تنعمي في غرفتي *(الباب السابع والعشرون في طرف يسير من المقاطع الرقيقة والاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك)* ٢٣ أقول هذا باب عقدناه نذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلديّنا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيا عدلي يا طلعة البدر طالع
ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا
وعند التناهي يقصر المتطاول

وما كنت مجنون الهوى قبل ان يرى
لقلبي من صدغيك في الامر عاقل

ولولا سنان من لحاظك قاتل
لما كنت أدري ان طرفك ذابل

ولم لا يصح الوجد فيك وناظري
لنسخة حسن من سناك يقابل

ولو أن قدا واصفا منك وجنة
لاعجزه نبت بها وهو باقل

ثم هذا الباب من أوسع هذه الابواب مجالا وأجراها جريالا وأحسنها خطابا وأعذبها انصابا فيه يتميز سمين الشعر من غثه وجديده من رثه ولا يكاد يجود فيه الاذالك ولا يدركه الاكثير الدراية وما أدراك وقد تقدم ان أغزل بيت قالته العرب قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك
وأخشى مصارع العشاق

(وقال محمد بن العفيف) وأحسن ما شاء

وعيون أمرضن جسمي
وأمرضن لقلبي لواعج البلابل

ألهم كل نوع رشده (وفي الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات* وقالوا ان اوفى الطيور رفي المحبة القمري والشفنين أعني الفاختة وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى عن سفيان) ان بلبلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات* وأما قصة الزاغ فمشهورة جدا وهي ان السعدي قال وجه الي يحيى بن اكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد وبين قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى انسان والاسفل زاغ فقال لي كلمه فاستسميته فانشد

أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا * ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لي يخشى * ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستظر * ف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة في الظهـ * ـر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الاخرى * فلو كانت لها عروه
لما شككت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل انشدني غزلا فقال يحيى قد استنشدك فانشده فانشدته

اغرك ان اذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب
واكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيى أصلحك الله وعاشق ايضا ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الاما رأيت وقد وجهه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم افضه اظن فيه أمره وروبت هذه القصة عن سوى السعدي وانه كان عند احمد بن أبي دواد وان الابيات التي أنشدها للزاغ هي

وليل في جوانبه فضول * من الاظلام اطلس غيهبان
كأن نجومه دمع حبيس * ترقرق بين اجفان الغواني

(الصنف الثاني في ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق في اختلاف الازمان) حكى الشيخ قدس الله سره ان اعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيل وانها اقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الزردقة والخيل أحسن الحيوانات مزاجا وادراكا حتى انها لا تنزو على محرم أبدا قال الشيخ جيء لحصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف

وخدود مثل الرياض زواه * ما الايام وردها من زوال * لم أكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صالي (وقال أيضا) يحكي الغزال نظرة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن * أحسن خلق الله لفظا أوفما

انلم يكن أحق بالحسن فمن * فى ثغره وخده وشكله * الماء والخضرة والوجه الحسن ولهذه الابيات حكاية اتفقت
لابن تقى المقتول بالقاهرة (وقال أيضا) ٣٤ اذا مارمت حل البندقات * معاطفه منا الايحل وان حلت بوجنته مداه
يرى لعذاره دور ونزل
(وقال أيضا)
بدا وجهه من فوق أسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى
وقد طلعت شمس النهار على رمح
(وقال أيضا)
أحلى من الشهد من هويت وكم
قد تبت به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته
وثغره سكر سنيات
(وقال آخر)
ومليح قال صفنى
أنت فى القول فصيح
قلت قولا باختصار
كل ما فيك مليح
(وقال ابراهيم المعمار)
ومليح قال صف حسـ * ـنى
أزداد سرورا
كم حوى جفنى معنى
قلت الفا وكسورا
(وقال أيضا)
حاكمت فى شرع الهوى قاتلى
ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاته
يحقق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غريمى مال مع قده
(وقال خطيب سهود)
قال لى من هويت شبه قوامى
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صافحته يد النسيم فمالا (وقال السراج الوراق) قلت للاهيف الذى فضح الغصـ * ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك اذ
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت اخشى يا غصن ان يستميلك (وقال آخر) قال لى أهيف المعاطف صف لى

الثوب فعرفها فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفى لطائف الاسرار ان رجلا من اصفهان ولدت عنده فرس حصانا وأخرى أتى فاتفقا فكان اذا فرق بين واحدة وأخرى لا تعتنى كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت احداهما تدفع بيدها حشيشا الى الاخرى وان احداهما مامغلت فقصدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت فرغت تقسم افيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فاذا هى ميتة (وحكى) فيه أيضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فاحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر فى ذلك العسكر فغلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاء فانطرحا الى الارض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفى اللطائف أيضا ان غزالا كان يأوى الى محل فى جبل وان شخصا رآه يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلا فى غار وبيده ألم لا يمكنه المشى ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه أيضا) عن شخص بغدادى خرج فى بعض اسفاره فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب أقبل فأخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من اقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له ارز بلبن فجعل الطباخ اللبن فى القدر وخرج ليأتى بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى تهرت وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الارز ونزل وطلب أن يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا لا نعلم فقدم له طعام فامتنع وجىء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه فى الطعام وأكل فتفزر جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستنهرهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن ابى العيرانه كان عنده جار فمات فرآه فى النوم ينشده شعرا يقول فيه انه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذى كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته فى النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وابرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بى على الصيدلانى بعنى العطار قلت نعم قال مرت

اذ الذ انان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت فى ذلك شيأ قال نعم وانشد

هام قلبى بأتان * عند باب الصيدلانى
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبخد ذى دلال * مثل خد الشيقران
فبهامت ولو عشت * اذا طال هوانى

فقلت لها يا ابا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حمارا ومن كان أولا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من امور الحيوانات

(الصنف الثانى فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)

نقل فى لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جمع امور اقسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل فى النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفى الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفى الصحيحين أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم الحديث وفى الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب فى أصلها بفاس ويقول شخص آخر لاى شئ هذا فيقول الضارب دعنى أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها فى ضمانى العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) فى النفائس قال زرع شخص أربع نخلات متقاربات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى فى مقابلتها (وحكى) أيضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وبما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها فى تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك فى الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدرخت فأشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما ثبت من الاسرار بين أصناف الاحجار)

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك فى وجوده وهذا لكثرة وجود المغناطيس والا فلا اثرا المنطرقات أحجار من الجمادات تجذب المشاكلة بينهم ما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل *وأغرب منه ما حكى فى اختصار الكائنات للمعلم ان بالصرداية

هيف قلت يا رشيق القوام لك قد لولا جوارح لظبيك لغنت عليه ورق الحمام (وقال النور الاسعردى)

قد تمتعنا بالجمر والماء والخضرة والاهيف الرشيق القوام وتركنا مذ اصبت الناس زهدا ٣٥ * فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجة)

ومهفهف طاوى الحشى
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا
واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
مة والغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو أردت زيادة
فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

(وقال أيضا) من أبيات وهو أحسن ما قيل فى حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد فى الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومى)

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى أوجزت
ود المحدث انها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لا يمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى
فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتى فان مسامعى
تهوى حديثك مثل ما أهوا كا

(وقال آخر) ومليح قلت ما الاسم حبيبى قال مالك قلت صف لى وجهك الزا * هى وصف لين اعتدالك

قال كالبدر وكالغصن وما أشبه ذلك (وقال العطوى) ذات خدين ناعمين ضئيلين * نقيين ما من التفاح

كالارنب يتولد فى رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بأرض اللؤلؤ مما يلى جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر متطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحا واقطابا وطبعا وتسعت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فمثالها فى الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر فى قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقى وهكذا الى درج فى العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجادات الى غير ذلك مما بسطناه فى كتبنا الحكمية وجاريناه فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولوا الابصار وليتذكر أولوا الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه وانزفيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس فى تتمات يفتقر اليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الالباب)

وذلك هو المشرع الجامع لما ذكر فى المصارع وينحصر فى فصول مختلفة وان كانت فى الجنس مؤتلفة

(فصل فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استطف فى ذلك من الاقوال)

الاصل فى المحاسن والمطلوب عند العقلاء فى كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة فى الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق فى تلك المواقف مستمدا بالمراصد مستعدا للاوامر الالهية وتلقى ما فى تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المنقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات فى الدنيا والآخرة ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب

وثنايا وريقة كغدير * من عقار وروضة من اقاح (وقال امرؤ القيس) خليلى مرا بى على أم جندب
تقضى لبانات الفؤاد المعذب ٣٦ ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب وقال النميرى وأحسن فى الوصف

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لدى ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بينى وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها
(وقال ابن أبى ربيعة)
طفلة باردة الصيف اذا ما
معمعان القيظ أضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى
تحت ليل حين يغشاه الصرد
(وقال المتنبى)
ارخت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا
(وقال ابن المستوفى الاربلى)
رأت قمر السماء فاذكرتنى
ليالى وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رايت بعينها ورأت بعينى
(قلت) وللناس عليه كلام ولهم
على فهمه زحام حتى ان بعضهم
وضع فيه كتابا (وقال آخر)
بروحى وجسمى ذلك العارض الذى
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
درى خدها أنى أجن من الهوى
فاظهر لى قبل الجنون سلاسلا
(وقال سعد الدين محمد بن عربى)
لما تبدى عارضاه فى نمط
قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط
وقال قوم انها اللام نقط
(وقال آخر)
رأيت الهلال على وجهه من
رأيت الهلال على وجهه (وقال آخر) برزت وقابل ناظرى من وجهها بمرآة حسن بالجمال صقيل وصلاحه
أبكى فانظر أدمعى فى خدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى (وقال ابن قلاقس) فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار

وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور وسطها فالاعتدال للملامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم ما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلا بدل المروأة لانها تندرج في العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل او أخذ مال بل عقلا او زنا وتناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التي لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها اشارة المترسمين وفيها اغاب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح اوهو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة او مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدي الى الافكار وهذا معنى قوله الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولي

جملة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمة لم تلبس الوشي زينة * ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظي الورد في وجناتها * ومن دمي المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجني ما غرست فصدني * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن في نفس الامر كذلك ولكل ذي نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي أهل التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

ما اشتفى الرمان الا * وتبدى الجلنار (وقال الخبزارزي) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر فلولا التورد في الوجنتين * ٣٧ وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب
وكنت أظن الحبيب القمر
(وقال محمد السلامي)
بدائع الحسن فيه مفترقه
وأعين الناس فيه متفقه
سهام ألحاظه مفوقة
فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته
هذا مليح وحق من خلقه
(وقال ابن رشيق)
معتدل القامة والقد
مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه
اقرأ عليه سورة الحمد
(وقال أيضا)
شكوت بالحب الى ظالمي
فقال لي مستهزئا ما هو
قلت غريم ثابت قال لي
اقرأ عليه قل هو الله
(وقال شيخ الشيوخ بحماة)
سألته من ريقه شربة
أشفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما
ان تتبع الشربة بالجره
(وقال يحيى الخباز)
طلبت منه قبلة قال لي
اياك أن تطمع في القرب
البوس شاليش وقد اختشي
ان تتبع الشاليش بالقلب
(وقال ابن أسد)
أريقا من رضابك أم رحيقا
رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن في الاسماء ريقا (وقال السراج الوراق) قال من شبه ريق * بالزلال العذب زلا
انما ريقي شهد * قلت ذا من فيك أحلى (وقال آخر) ظبي ترى وجهك في وجهه * وتشرب الخمرة من فيه (وقال آخر)

هـذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة في العين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعني في الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج وأحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوي كعدم الطموح بالعين وأخذ شيء فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أياة الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر واحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعني يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسير ها ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها جماع الحسن اذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة تفنن في الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت وقال سقراط اذا احسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصي او قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتفاء موجبه فيهم وأوتي يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاولى الاول فانه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة وهي من الاعراض اللازمة والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد أن تفارق * (تنبيه) * قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وبأشياء مختلفة كالوجه

ما أنصفوا اذ لقبوه شاربا * من بعد ما أمسى لقلبي ا كلا (وقلت اه) يا صاح سترى من حوت حسنه وامه تعصن ان ساقي متى مالاح لي كاسه * ٣٨ ذكرني شاربه الآسا (وقلت أيضا) فتاة حين زارتني عشاء * رأيت الشمس بالاوسط داري

فورد خدودها مالاح الا
واحرق عاشقيه بجلنار

فصف لي شعرها الليلا وطوّل
وقل في الخصر قولا باختصار

تدير لنا مراشفها عقارا
قريب العهد من كاس مدار

(ومنها)

عذمت لشباعذولي فيه قل لي
اذا لاح العذار فما اعتذاري

كانك ما شعرت بأن حبي
غدا بعذاره حسن الشعار

غدوت مكاتبا فيه بخط
قريب الشكل من قلم الغبار

سقاني من مقبله شرابا
طهورا لم يدنس باعتصار

واعقب وصله هجرا فقلبي
على حرف من الهجران هار

اذا ما قادني يوما هواه
مشيت وقطر دمعي كالقطار

أيا معني بخفض العيش دهري
وجر الدمع فيه على الجوار

(وقلت) أيضا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان حسن

ترادفت التهاني والسرور
وبشرنا بوصلكم بشير

وبات بقلعة الجبل انشراح
وافراح وأحباب حضور

بروج الافق فيها فرد بدر
وافق بروجها فيه بدور

تغازل بالمواحظ في دجاها
فما نامت ولا فترا الفتور

(ومنها)

أغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفه فيها الستور اذا نشرت ذوائبها تبدّى * لميت الحب في الدنيا نشور بالبدر انها تغر بصون الدرجيا * يبيت عليه من خفر خفير وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

(الباب الثامن والعشرون) في ذكر طرف يسير من أخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الجمال وما في معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء ٣٩ بسماع الغناء من كل محب يشبب بالشباب ويغني بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لايلهيه غيره لاهيه ولاسيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطي النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ماشا كلها من النقرات ويحسن الاختلاس وملء الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشأن من القيان ممن جمع في ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

ماتغنت الاتفرج هم
عن فؤادي وأقلعت أحزان
يفضل السمعين طيبا وحسنا
مثل مايفضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عيال معبد واسحق الموصلي اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة
وماقصبات السبق الالمعبد

وقال البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن في نغماته
نبرات معبد في الثقيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في أيام الرشيد وأخباره أشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره وأما اسحق الموصلي فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وهو الذي صحح أجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز

بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والشهد والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع مارأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

نم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صدغاه كالجوزاء لاح لناظري * متبلجا فأزاح ليلا اليلا
من لي بغصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفا * من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فخط أسفل صدغه * ألفا ألفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة * من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاء حمرة خده * خالا فهم هواه قلبي المبتلى
قسما بضافتور جيم جفونه * لأخالفن على هواه العذلا

(وللشواء) من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

ارسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست بوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لاتقولي لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة)

اعلم أن الاساليب في هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبها به وفي كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وارفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولي من الفن الثاني

بروحي أفدي من لثامها حين أقبلت * على اثر حزن تنثر الدمع في الخد

قضيبا من الكافور يعطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح فى فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الاسلوب الاول

شمس الضحى بجبينك الوضاح * أف لمن جعلوه كالمصباح

ياقدها ما الغصن لولا الميل مع * داعى الهوى كالغصن بالارياح

أنا فيك سكران الفؤاد معذب * أبدا وان أظهرت فعل الصاحى

فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلنى يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة الى المشبه ما قلت

يهنا الدنيا قلب من زارتك فى السحر * ولم تخف ثم من واش ولا ضرر

حسناء لولم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى ما بدت يوما على بشر

ووجهها لو رآه البدر واحتجبت * عنه اذ كالم تخف نقصا على القمر

(فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

اعلم أن مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض فى البلغم أو الحمرة فى الدم أو الصفرة فى الصفراء أو السواد فى السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثانى يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذى تناط به أمثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ما تحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهى كالنار ان اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب وحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة أو تدريجا أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا ان نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا وجمع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لانجذاب الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج اصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعى بالامان أمانى

وأما حمرة المعشوق فهى اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته

الاصناف التى جعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها افترق عند مندقط مثله ومن كلامه حدود الغناء أربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة ٤٠ وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراد الغناء دعاه فأجابه الى ذلك وقال الواثق ما غنانى اسحق قط الا ظننت انه زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ أحد بمثلها ولوان العمر والنشاط مما يشترى لاشتريته له بشطر ملكى وجلس عند ابراهيم ابن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها
من الشمول واتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته
بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدى رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها فى داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذى أردت
وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت
وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف فى أخبار اسحق فى هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال فخلا معها فى قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفى جارية فى أحسن زى من احرار الثياب والجواهر فوصل الخبر الى أم جعفر فعظم ذلك عليها وأرسلت الى علية أخت الرشيد تشكو اليها فأرسلت اليها علية

احمرا والالوان وصفاؤها فأفضل الالوان الاحمر الصافى المشرق مطلقا حتى فى الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمران يعنى الخمر واللحم والنساء والاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا أزال مروعا

وقال المتنبى

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وأحب ما يكون اليهم منه ما كان فى الوجنات والشفاه قال أبونواس

يا قمرا أبصرت فى مأتم * تندب شجوا بين اتراب
تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشى عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم أرادوا انهما من المطالب التى لاتنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

(ومن ألطف ما يحكى) فى وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبى الحديد من قصيدته التى أولها

الصبر الا عن فراقك يجمل * والصعب الا من ملالك يسهل
يصفر وجهى حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل
فكأنما بخدوده من حمرة * ظلمت اليها من دمى تنتقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع فى هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل انشدهما الابن دريد فى النوم واعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة فى هذا الوقت يا بغيض * (تنبيه) * قد توسع الناس فى هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك فى كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل اما بداعية

لايغيظك هذا نوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان أصنع شعرا وأصوغ عليه لحنا واطرحه الى جوارى فابعثى الى كل جارية عندك والبسيهن أنواع الثياب والجواهر حتى التى عليهن الصوت مع جوارى ٤١ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفى جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما
قلبى عنه منفصل
يا قاطعى قل لمن
نويت بعدى ان تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو فى غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لاتترك فى الخزانة مالا الانثرته فكان مبلغ مانثره فى ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم وماسمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن القاضى أبى عبدالله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة . وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح
وزها بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه
نمت بعرف نسيمك الارواح.
واذا الحنادس البست ظلماءها
فضياء وجهك فى الدجا مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات ٦ تز نى على ظهر يده (وما أحسن قول ابن تميم فى عواده) وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل خاف من عرك اذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول (وقال آخر) سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى *

الشهوة أو النفع ولاضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثانى فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ فى نحو الحجاز انفع كما ان الحبشيات فى نحو الروم اجود لان حرارة الابدان تختفى فى الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين اجود والبيض للمحرورين كذلك وعندى ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشية الطف مما عداهم مزاجا وارق بشرة واعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقا ولكنهن فى معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات واما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ماقررناه من التحكم ومن الطف الاشعار المقولة فى التفضيل قول على بن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذى محك

قولوا له عنى اما تستحى * من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجى

اشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت فى ذلك

ارى السمر اشهى منظرا عند عارف * واشرف مطلوبا واسمى المطالب

فقل للذى قد فضل البيض جاهلا * رويدك لاترغب لغير مناسب

فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت فى عكس ذلك

بيضا تجلوا الهم عن ناظرى * بعين حق لابعين انتقاص

فقل لمن يرغب فى اسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا احكمت ماقررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك واكثروا فيه من التعجب والمسالك ومن الطف ماقيل فيه قول الوراق

يقول لى حين وافى * قد نلت ماترتجيه

فما لقلبك قد جا * بخفقة تعتريه

فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البهاء زهير

لاتنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر

ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وتطرف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابد من رقادى * فاضلعى هالك كالوساد

وكت منه أغصان وطابت مغارس فغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس (وقال ابن قاضى ميله)

جاءت بعود يناغيها ويسعدها * فانظر بدائع ماخصت به الشجر ٤٢ غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر

فلا يزال عليه أو به طرب

يهيجه الاغصان الطير والوتر

(وقال ابن حجاج)

هذا ومحسنة بالعود عاشقها

بذلك الطيب فى الاحسان مسرور

اذا اثنت وتغنت خلت قامتها

غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال آخر)

وجارية اذا غنتك صوتا

فمالك من فراق الحلم بد

كأن يسارها فى العود برق

ويمناها اذا ضربته رعد

(وقال آخر)

اشارت باطراف لطاف كأنها

أنابيب در قمعت بعقيق

ودارت على الاوتار جسا كأنها

بنان طبيب فى مجس عروق

(وقال النور الاسعردى فى جنكية)

لبنت شعبان جنك حين تنطقه

يغدو باصناف الحان الورى هازى

لاغرو ان صاد ألباب الرجال لها

اما تراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الاربلى وأحسن ماشاء

الجنك مركبه عقل فى تشكله

والرق قلع له الاوتار اطناب

يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى

يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال ابن دانيال فى دفية)

ذات القوام الذى يم تزغص نقا

لو مر يوما عليه طائر صدحا

تبدى على الدف كالجمار معصمها

أنقروه ان يشبه لبلها غناؤها برقيق الريح تزجيه فما ينقط الا كل من رشحا (وقال ابن عديم فى مغنية) فنم

والله لو أنصف الاقوام أنفسهم * أعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا ما أنت حين تغنى فى مجالسهم * الا نسيم الصبا والقوم أغصان

فيتم على خنقها هـدوا * كنومة الطفل في المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك اذا عاينتني وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لا يسكنه * شيء فيا ليت شعري ما يحركه
فقلت ما تدرين الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه
والطير ان الف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفي الابيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائرا عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب وأما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سنا الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال أين تحلقي * حذرا علي من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عرشا كان في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة)

وهي باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني وغمط شرعي فتبعث المنافة في الدين والمروءة على اصلاح ما انتقص باليد ان أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدعيا انه ليس بأهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية

وذلك قوله

(وقلت أنا) وغانية مكملة المعاني * بلطف ما عليه من مزيد اذا ما أطربتنا بالمثاني * تثنت بين زمان النهود تغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود سوالفها من الريحان أطرى * يواخيها الشقيق من الخدود

(وقال آخر)

بابي اغاني مطرب * ابدا وترضاه النفوس
يشدو وينزو بالكئو * س له وترقص بالرؤس

(وقال آخر)

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كان اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات ارواحا

(وقال آخر في مشبب)

ومطرب قد واتت في انامله * شبابة السرور النفس اهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

(وقال ابن قرناص في مليح مشبب)

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تدارك بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين احيانا

(وقلت أنا)

رعى الله ارباب اليراع فانهم * ازاحوا اعتذاري عنهم بالهوى العذري
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة * بجلبنا الهوى من حيث ادري ولا ادري

(وقلت ايضا ملغزا في شبابة)

وما خرساء ان نطقت رأينا * تناقض فعلها امرا عجيبا منقبة وليس لها ازار * تواقفنا ولم تخش الرقيبا فتاة ان خلوت بها وصحبي * رأيت لهم معي فيها نصيبا يثار على هواها كل صب * وان لم تشبه الرشأ الربيبا فكم من عاشق فضحته فينا * وكم جمعت بمجلسها حبيبا تجدد لي اذا نطقت سرورا * يعيد زماني البالي قشيبا

وأنزه اسمك ان تمر حروفه * من غير برتى بمسامع الجلاس
فاقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا أن فيه بحسب ما يظهر مناقشة فانظر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وادق منه واسلم وان كان هذا أسمج قول يزيد بن معاوية

الا فاملأ لي كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني * اغار عليها من فم المتكلم
اغار على اعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن ابي الحديد في هذا المعنى

فيارب بغضها الى كل صاحب * سواى وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيرى كما أرى * قبيحا سواها كل باد وحاضر
فياجنة فيها العذاب ولم أخف * حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

وقال أبو تمام

بنفسى من اغار عليه منى * وتحسد مقلتى نظرى اليه
ولو أنى قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذرى عليه
حبيب بث في قلبي هواه * وأمسك مهجتى رهنا لديه
فروحى عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى * بريق عليه الطرف منى باكى
تردد من فوق در منضد * سناه لانوار البروق يحاكى
فقلت وقلبى قد تفطر غيرة * ايا ليتنى قد كنت عود اراك
فقالت أما ترضى السواك اجبتها * وحقك مالى حاجة بسواك

(فصل في أحكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة)

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل كتمان الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسرى الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها معدود من اكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا واقف ماله فيه مذرة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح درة وأنا أنبه على من استنبع هذه الاراء

ارق من النسيم الرطب صوتا * واسرع في الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من * يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومى اذا ماهمت فيها * وانشدني من الشعر الغريبا ٤٤
وشبب لي بها أبدا وقل لي * ضروب الناس عشاق ضروبا
فاغدرهم محب ذو ملال
وأعذرهم أشبهم حبيبا

(وقال) المصيصى الخياط يهجو عوادا

واذا تربع لا تربع بعدها
وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها
في عوده يقرضن خبزا يابسا

(وقال آخر)

غنى أبو الفضل فقلنا له
سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه
فاشرب فأنت اليوم في حل

(وأبلغ) ماقيل في ذم المغني قول كشاجم

ومغن بارد النغمة مختل اليدين
ما رآه أحد فى دار قوم مرتين

(وقال آخر)

ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
قد ألفناه سكوتا * فاذا يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتهى القواد منا

(وقال آخر)

مغنية سوء الفاظها
تميت السرور وتحيى الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة
فلا للنكاح ولا للطرب

(وقال آخر)

ولرب زامرة تهيج زمرها
ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت اغلها على ضرباتها
وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت
تسعى اليه على خيار الشنبر

هذا مثل قولهم في المثل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة (وقال آخر)

كانها في حالة اعيان * خنافس دبت على ثعبان

(وما أحسن) قول الوجيه الدروى فيمن يغنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تمشوا بسوى المعذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب طورا يغني بالرباب وتارة * يأتي على يده الرباب وزينب

الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فأقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن الفارض افاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف عناياته فمن كلامه في المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

ولحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب بالخلي
اذا أودعوا اسرارا رأيت صدورهم * قبور الاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة

وابثثتها ما بي ولم يك حاضري * رقيب بغى سري بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق في المذهب الثاني

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل في هواك مجاهرا * فألذ عيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

ولبعضهم في المذهب الثالث

يا موقد النار الهابا على كبدي * اليك اشكو الذي بي لا الى أحد
اليك اشكو الذي بي من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

وللمعري في نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

أقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ما هم تعرفهم بسيماهم فمنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف في العفاف وهذا النوع فيما يظهر اعز من الكبريت الاحمر لم أره ولا رأيت من رآه وان وجدت اسمه فأين مسماه

فاشهد بصدق مقالتي * أولا فكذبني بواحد

هيهات بل قصارى أهل هذا العصر ان يعشق أحدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من أهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا لا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وأنشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه على نكاحها أشهد الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا * الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قلت يا ابن أخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد (وسئل اعرابي عن ذلك فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من أطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم أيها الحضري فقال العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد ورهز يوقظ النيام ويوجب الآثام فقال تالله ما يفعل هذا العدو فكيف الحبيب

والطف منه قول ابى جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل أمته * وصير من حشاك له حجابا

فما أودعت مثل النفس سرا * ولا أغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ماهو أدق والطف حيث قال

ومستودعى سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ولبعضهم

ياذا الذى أودعنى سره * لا ترج أن تسمعه منى

لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى ذهنى

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر ابن الفارض من انه نصر المذهب الثانى بقوله

وايسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلى فى دين الهوى أهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لان التهتك الذى اراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون عاره فى ذلك خصلة جيدة فاين هذا مما نحن فيه وقد أسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدللنا بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرته من قصة المنام كفاية للمتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولولا الهوى ماغيرا البعد خاطرى

ولكن جوى الكتمان صعده مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى

فشف لطول السقم جسمى من الذى * كتمت فابدته هنالك سرائرى

فنم به الواشون بينى وبينها * فصدت وقالت لا وفاء لغادر

فقلت وقد ضاقت هنالك مذاهبى * ومن كان قدما عاذلى صار عاذرى

فمن شافعى يوما اليها ومالكى * هواها وعن سرى يحدث ظاهرى

ومن الثالث

يامعشر العشاق أوصيكم * بكتم أسرار الهوى والغرام

الا مع المحبوب فى خلوة * فثم كتم السر عندى حرام

قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم فى العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهناك طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا الاشتغالهم بصناعتهم وطبقة أخرى يجلون بادبانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وماسوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بانصلوافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو أفسد أنواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو واضعفها لا محالة وأمر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء ويعجب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل امره وانطفأ بالبولة جمره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع فى الامرد العذار وقال للائم عن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتى على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل أمر * دخلت من التصابى كل باب

فيهوى المرد والشبان قلبى * ولا يأبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال)

أعشق المرد والكواعب والشيب * وعندى مثل البنين البنات

حبذا مايمشى ويعشق عندى * حيوان تحل فيه الحياة

(وقال أيضا) ومنه

أنا من قولى مليح * أو قبيح مستريح

كل من يمشى على وجه الثرى عندى مليح * حبذا ما ينكح عندى * حيوان فيه روح

ومنه أيضا

بوصالك والود الذي كان بيننا * حلفت ولا والله ما أنا غادر
لانت أعز الناس عندي وسرك * بقلبي باق يوم تبلى السرائر
فان لم يجد لي الدهر منك بخلوة * ففي الحشر تشكو اليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من احكمه غاية المطلوب وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادته اقيسة شعرية غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب وما الطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلي
واني لاستحيي لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر

أتنسب لي ذنبا ولم آت مذنبا * وتحلفني في الحب ما لي اطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا * ولكنه اجرا اليك اسوقه

وقال ابن ابي حجلة

لم اطلب الوصل من اجلي فديتكما * من زاد قلبي سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا * يقتص لي منك والدنيا مكافاة

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجة * اقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك في العشرين وهي نصاب

وقال بعضهم

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
قال كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

وقلت

ملكت اوصاف المحاسن والبها * وزينت ارباب اللطافة والعقل
فهذا عز الحاسدي تقوله * رمولك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور كلامهم * ولكن صليني وأبطلي الزور بالنقل
ولا تمطلي بالوعد قلبا معذبا * وان صح ان الشي يعذب بالمطل

وقال لي قد طلعت ذقنه
فقلت لا افكر في ذقنه

(وقال ايضا)
شب وجدي بشائب
من سنا البدر اوجه
كلما شاب يحيي
بيض الله وجهه

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وقد عنفوني في هواه بقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع
وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وكامل العارض قبلته
فصدني وازور من قبلتي
وقال كم انهاك عن فعل ذا
وانت ما تفكر في لحيتي

(وكتبت انا الى بعضهم)
ايمن مولانا حبيب لم يزل
بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه
انبتها الله نباتا حسنا

(فكتب الي الجواب عن ذلك)
يا مادحا للحية سلواننا
عن روضها المازهان يحسنا
مذ ابيتت فيه نباتا حسنا
قبلتها منه قبولا حسنا

(فكان كما قيل)
حاشى لمثلي عن هواه يتوب
هو دون كل العالمين حبيب
اهواه طفلا في القماط وامردا
وبلحية واذا علاه مشيب

(وقال ايضا) بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخو العقل يدري ما ارى من التقى * امنت عليه من رقيب ومن ضد وقالوا لوري قسمان في شريعة الهوى *

لسود اللحى ناسٌ وناس الى المرد فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد * صبوت الى هيفا سياسة القد وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا فآثرت ان ابقى بايضهم وحدى (وقال آخر وقد عشق عجوزا) ٤٨ كلفت بها شمطا شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(وقال ياقوت الحموى) وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)

كتب العذار على صحيفة خده سطرا يلوح لناظر المتامل
بالغت فى استخراجه فوجدته لاراى الارای اهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فن رايته لا يخرج عن هذا المذهب فلا ادرى لم يخص به اهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لا تخلو منه بقعة انما اهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما مالوا الى من فى عذاره شيب ويقولون هنا شعرة وشعرة اى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه زرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلدهم وقد رموا بهذا من بين اهل البلاد واهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطى قليستنا الا لمن ينفقها على عائلته وليدانه ما نعطيها لمن يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق

(فصل فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن الطف ما وقع فيه كلام الواوى الدمشقى

باقه ربكا عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كانك مازح
فان اعرضت عنى فقو مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضى مجد الدين

شكر النسيمة ارضكم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد اطالت بل اطا * بت فى رسائلها الذكيه
لا غرو أن حفظت اما * ديث الهوى فهى الذكيه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى

يا طيب نشر هب لى من ارضكم * فاثار كامن لوعتى وتهتكى
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا ريح ذكى

ويجب اختيار الرسول وان يكون ذا عفة وصيانة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب ان يكون بالحجة ناطقا وللعشاق فى هذا المساق كلام لا تحصره الاوراق قال ابن سنا الملك

راح رسولا فجاءنى عاشقا * وعاقه عن رسالتى عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضا

راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم

وما الطف قول الارجانى فى هذا المعنى

قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني * فغدا بجرمن الحيا ذليلا

ومن ألطف ما وقع فى الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذى يغلب نوره على ابن ذكاه ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فمنعه عنها فازداد غمه فارسلت اليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زر راس ذهب فلم يدر ما ارادت بذلك فأطلع على سره القاضى الفاضل فقال

اعة الفساق تاركى الذكران وتاركى النسوان وكيف اخذهم وهم فى خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم فى سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات مالم يجمعه على أمة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية

اهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر قليل الجمام

فالزر والعنبر معناهما * زره كذا مختفيا في الظلام

ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فأرسل اليها بمروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشراب وعود فارسلت اليه بخيط أحمر وصبارة وثلاث كونات سود وغاسول وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة مايدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة تروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكر النبات نبيت ليلة وبالشراب نشرب وبالعود الغناء وارادت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة ان تصبر وبالثلاث كونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما أظن

رسولي تلطف واجر ذكرى لها فان * رأيت الرضا في وجهها فابسط الشكوى

وان اعرضت فاطو الذي قد نشرته * ودعني بنيران الهوى في الهوى أكوى

فقد صرت أرضى كل ماترتضي به * واستعذب التعذيب في السر والنجوى

فعاد رسولي بعد عقل وحكمة * باضعاف ماعندي من العشق والبلوى

ولم أرض ارسال النسيم لانه * يرى البث في التدبير من سائر الادوا

نخفت عليه عشقها ان يحله * فأحمل وزر الست في حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت في هذا المنوال وسبكه في قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجر ذكرى عندهم * علهم ان ينظروا عطفا الى

فان في قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلوب وما أحسن قوله واجرى ذكرى فانه الطف من واذكرني لهم لانه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معاني كثيرة وكذا قوله عندهم أى ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فاني لست اهلا لمشافهتهم بذكرولهذا لم يقل واجر ذكرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا في بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن أو ظاهر الا ويوجد في مطاوى كلامه ولكن بلسان أهله

(فصل في ذكر الاحتيال على طيف الخيال)

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل اليه بالمنام واغماض العين والحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عيني لتصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال

فما اسعفت بالغمض لكن تسعفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففي البيتين مع مافي طيهما من التحسين البديعي مالا يخفى

(وقال ابن النقيب في المعنى)

من المتقدمين والمتأخرين قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا ضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما أخبر به في كتابه العزيز فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد

وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلة وصديد

يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدمكم ربكم بوعيد

فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا في العشق غير حميد

أتيتم به الذكران من عشقكم لهم * فأوردنا ذا العشق شر ورود

فانتم بتضعيف العذاب أحق من * متابعكم في ذاك غير رشيد

فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد

فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد

كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * وجمعنا في النار غير بعيد

٧ تز فى

(حكى) قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما أنا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو سبعة أذرع

صلى الله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا فأنت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا
قال لي يا أصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال أثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت
لا بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك أبو نواس (قلت) وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط

(فصل في النظر الى وجه الامرد)

ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفي الكامل) عن أبي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام أمرد فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمرو بن أزهر عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجواري العواتق * وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكى) عن أبي سعيد الجزار وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رأيت ابليس في منامي

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن اصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة في أخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة * اصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجي بقوله)

انعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني * أعطى وصالا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
قال العواذل يدعي بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي وملك يدي وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * ادري بذا وأنا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني * من فرحتي بلقائه حققته
مضى وفي قلبي عليه حسرة * لو كان يمكنني الرقاد لحقته

(وابن السروجي) هذا ذكره في منازل الاحباب في عشاق الغلمان وفي ثمرات الاوراق سماه تقي الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هذا البيتان الاخيران وانما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الامثال البحتري ومن قوله فيه

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدر
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة * تثنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله)

وليلة هومنا على العيس ارسلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذم غوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد

وقد انشدهما يوما عند الوزير الزيني وادّعى انه لا يمكن تثليثهما فانشد الحيص بيص بديهة

ومادرى ان نوى حسلة نصبت * لطرفه حين اعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

ياحبذا طيفك من قادم * ياأحسن العالم فى العالم

طيف تجلى نورا ساطعا * حتى رأته مقلة النائم

ياغائبا يحكم فى مهجتى * على طابت غيبة الحاكم

عار على حسنك ان يشتكى * حظى منه انه ظالمى

(واحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * على وقالت رحمة لمحبى

اخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا

ثم انتبهت وآمالى تخيلـــــــ * ـــف نيل المنى فاستحالت غبطتى اسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته فى المنام معتذرا * الىّ مما جناه يقظانا

ولان حتى اذا هممت به * أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت)

مليكة الحسن ماشئ يقال له * نوم فان جفونى ليس تعرفه

هل تسمحين بشئ منه يطرقنى * فيه خيالك ان القلب يألفه

يحيا به ميت عشق لا حراك به * اطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراؤهم فى التفنن فى الخيال (فمنهم) من رده مطلقا وجعلوا ويشبه هذا ما سبق من جهله القصير على ترك من حجر (فمنهم) طرفة ويقال انه أول من ذكر الخيال وفى ديوان الصبابة انّ أول من ذكره عمر بن قمئة وان طرفة اول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

وسيأتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة نذكرها هناك من رده عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * انّ الصحيفة اعوزت من حامل

وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وهو يترعى ناحية فقلت تعال فقال اى شئ اعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا ثم قال غيران لى فيكم لطيفة قلت وما هى قال صحبة الاحداث فأخذت العصا لاضربه فقال أنا ما أخاف من العصا انما اخاف من نوبة القلب (قال فتح الموصلى) صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث (وحكى) أبو عبد الله احمد ابن الجلاد قال كنت أمشى مع استاذى فرأيت حدثا جميل الصورة فقلت أترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال أو نظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم انّ النظر الى الامرد يوقع فى سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق الصور لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات

سكران سكر هوى وسكر مدامة
ومتى يفيق فتى به سكران

(أنشدنى بعض مشايخ العصر)

يامن غدا بالمرد ذا لوعة
ماأنت فى حبهم بالمصيب
فى الخرّد العين الذى تشتهى
منهم وبفضلن بحب الحبيب

(وقال آخر)

حبك الغلمان امــ * ـكنك النسوان غبن
انما يفسق فى الظهــ * ـر اذا أعوز بطن

على ان عشق النسوان أيضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه مافيه مما لا يدرك تلافيه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماتركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء (قلت) ولاسيما نساء هذا الزمان

من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب أو الطاق

(ومنهم) من ذم النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لاتترك عن الانسان حتى في النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم أنه احدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما احسن قول المتنبي في هذا المعنى

واحسب أني اذا هويت فراقكم * افارقكم والدهر اخبث صاحب
فياليت ما بيني وبين احبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم

ارى في منامي كل شيء يسوءني * ورؤياي بعد الصبح ادهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو أنني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وقال الاحنف العكبري)

واحلم في المنام بكل خير * فأصبح لا أراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي * لوافى الشر من قبل الأذان

(وقلت)

لك الحمد اني لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب
وفي النوم ان احلم بشيء يسوءني * من الصبح يأتيني بسوء العواقب
وان كان خيرا لا ارى منه ذرة * لسوء مزاج او قران كواكب

(ومنهم) من تظرف في وصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

الم الخيال بلا حمده * وابدلني الوصل من صده
وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر)

تركت حبا ابليس ثم مدحته * وذا الامر عز عندي سلوكه
يقرب من أهواه حينا فان أبى * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

ومما يصلح ايراده هنا المناسبة أن بعض المغفلين احب امرأة واجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم تفعل ذلك قال من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت انا عندك بنفسي فقم فانظرني

* (فصل في احكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا

كما قيل في معنى ذلك

كل جنس بجنسه قد تكفى * فعزاء يا معشر الفساق
شغل المرد بالدال واضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق

(وحكى) عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض ما ادى تريدان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة مما حقها أن يقال في حقها

مغرمة بالسحاق اضحت
تبكي عليه بكل عين
فما كنت في الهتوك الا
تضيف اسحاق في حنين

(حكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين ابن الوردي في نساء أهل العصر هذا الشعر

قولوا لمن تهوى السحاق الذي
حرمه الله وما فيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ
أقمت اسحق مقام الزبير

(وقال آخر)

قل لمن تدعي السحا
ق الى كم تساحقي
ليس يشفي غليلك
من جميع الخلائق
غير ذي الاصلع الذي
سر الحليق الموافق

(وقال ابن سناء الملك)

يا هذه لاتستحي * متى قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تنا * ءى ان ارى قد تغطى

وقصر

(وقال بعض مشايخ بصري)

اري اذا نديته * حاجة تختص بي
قام اهايته * ماهو الاعصبي

وقصر الهجر وقطعه اسرع من القضا وماتشعب فى ذلك بين
العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق)*

فما قال متصمهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

يا ليل طل اولا تطل * لا بدلى أن اسهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت ارعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم فى طول الليل وهجر الحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * بعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها * وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة * ان لم يزرنى وبالجوزاء ان زارا

(حكى) ان محمدا تأمل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مستحيا وآلى على نفسه ان لا يجلس فى حلقة حتى يتقن النجوم (وقال بعضهم) فى قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل * والليل اطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما اشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل فى زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجانى معتذرا عن طول ليل الهجر

لا ادعى جور الزمان ولا ارى * ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفسى * فلهم اصدأ وجهها المصقولا

(وسألنى) بعض الاصحاب أن انظم له مثل هذا ففعلت واستغفر الله وأتوب اليه
أيرى هذا صبى * يدخل مملت فى الدم
تأخرت حيضتها * قلت لها تقدمى

(وقال بعض مشايخ العصر)

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا
يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم
كأن الضعف قد ولى الوزاره

(وقلت أنا)

يا أيران مر الحبيب مسلما
وأشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك أحمقا
مالى وقوفك ساعة من باس

(وقلت) ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى فى الصيام الحب أنشدنى
يرى وقال اشترط ما شئت واحتكم
فالامر أمرك ما عندى مخالفة
ان صمت صمنا وان أفطرت لم نصم

(وحكى) قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان بعد ان رد قول بعضهم

ولقد قال لى صديقى لما
ان رآنى اضرنى الافلاس
قم نسكع بنا العمود فهذا الـ
ايرينجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى
اهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايـ
ـر على الراحتين ثم يباس
اين من كان عالما بمقاديـ
ـر الايور المكرمات النفاس

فقال قيل ان الامير فخر الدين ابن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين ابن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلا مامات (وقال آخر)

زعموا أننى خسرت عليها * ليت شعرى من أين تلك الخساره
من مغل من ضيعتى من قاشى * من بقايا أموال تلك التجاره
حضرتنى فقام ايرى اذا ما * لن يحاكى بقطبة أو حجاره

(وقال آخر)

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب

ازورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فى هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن ينقد عليه فى مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبى دقائق لطيفة الا ترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثانى لا يفعل الا الخير فيقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا فى قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة فى الصباح

كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده (وقلت جامعا الغالب هذه المعانى)

بذكرك يا من فى هواها ضنى حالى * شغلت فما منه أرى ابدا خالى

فنيت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر فى بالى

ولو زارنى طيف الخيال لقال لى * الا انعم صباحا ايها الطلل البالى

سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالى

فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا * ووالده بالحزن فى الدهر أوصى لى

متى تنتهى والشمس بالقوس ليلة * وفى ضده يوما على رغم عذالى

(وقلت ايضا مخترعا فيها الظن)

ألوم جميع العاشقين لذمهم * ضيا الصبح فى تفريق شمل الحبائب

وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا فى شرقها والمغارب

وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول اجتماع الحبائب

(فصل) فيما ذكروا واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى اوقعه فى الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى استقمت منه اهل الآداب فوجهوا

ويحك يا ارق أما تستحى * تخيلى ما بين جلاسى اطالع من طوقى كذا عامدا * تنكس العمة عن راسى

(وقال ابن مطروح) سألت من أمرضنى * فى قبلة تشفى الالم فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم فقال غضبا قلت لا الا تفضلا وكرم قال فسرا قلت لا الا على رأس علم قال خذها بالرضا منى حلالا وابتسم فلا تسل عما جرى واستغفر الله ونم

(الباب الثلاثون فى ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الاوصاف) أقول هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين ميلا وأظهرهم دليلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولاسيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول العشق مع العفة فى بنى عذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من أخباره فى هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق ان التسلى بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فمن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازى قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له ما احسبك سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال انى لفى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتنى شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت

البهستان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس في هذا الباب الطف من كلام سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

ياعاذلي في هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا اسربه * فليت عذالي حبي فيك مابرحت

وقال ابن العفيف التلمساني

أسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في عذلك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده)

ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليها من بعض ما يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زورا الكلام بعينه
وقال اسل عن هذا ودع عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فمر بهما المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما ملك عليه فانشد

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها راه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أنني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فلو ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

يدى عليها الريبة قط لما فقنا حتى ماتت سنة اثنتين وثمانين من الهجرة (ومن غريب) ما حكاه الزبير في أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بني عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم أشد الناس رخلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابي ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذري ورب الكعبة ثم قال ولم ذلك قال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام ياهذا بالله أصحيح ما يقال عنكم انكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت مالهم داء الا الحب (وقال) رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية و رق وخور تجدونه فيكم يابني عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رمينني * من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فياعجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال احل الحاظ وأحرم ماوراء الازار وأظهر للحب ما يرضى الرب (وقال) الحافظ أبو محمد الاموي ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع أمرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما أنت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما

ان قوما يلمون فى حب سعدى * لايكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال آخر)

من منصفى من عاذل جاهل * يخون بالوم لمن لايخون
ان قلت ماأحملك الأذى * قال وماعشقك الاجنون

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

يقول لى العاذل فى لومه * وقوله زور وبهتان
ماوجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

ايها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلى وكم لحبيبى * ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتى وأين منى ثقاتى * اين من ينتهى الى الوسيله
أنا ان مت قبلونى اليه * فسياقى وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذرى فى عاذل * يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا (هدا)

(وقال الوداعى)

يالائمى فى هواه * افرطت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال البهاء زهير)

وظبى حكى ريم الفلا فى نفاره * فما باله لم يحكه فى التلفت
يدافعنى عن وصله بتمجيم * فياليته لو كان يدفع باتى

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

ابغض العشاق منه انى * لم ابع فى حبه رشدى بغى
قات قد أضنيت جسمى قال قد * قات كى تذهب روحى قال كى

(وقال ايضا)

اليكم هجرتى وقصدى * وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

الا أنه قال والله لاجعلته أهون الناظرين لا أفعل بهلكتاليا الاما أفعله بحضرتها اهلها حين طويل وعظمن بعيد واثرك ما يكره الرب ويفسد الحب (وقيل لآخر) ٥٦ ماكنت صانعه لوظفرت بمحبوبك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان فى اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها الى ان نعلت هذا اللئيم ولم يلدنى كريم (قلت) وممن اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان اباك ألم بى فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

ارى ماء وبى عطش شديد
ولكن لاسبيل الى الورد

فقال له القاضى أوكلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد مافوق الخلافة مرتبة فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبته بركبته فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك فى شرفك احب الينا من شرفك فقال عظنى فقال من عف فى جماله وواسى من ماله وعدل فى سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدنى فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشترى خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكى) عن السلطان ملكشاه السلجوقى انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت ياسلطان العالم انى أغار على هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضى وتزوجها وأقامت فى والله

عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل اكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد ان السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الى وكنت قد ربيت السلطان فقلت في نفسي انا لله

والله ما خطر السلو بخاطري * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(وقال آخر)

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(وقال آخر)

قل للعذول اطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من رآه فقد * اضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

انت الحبيب الاول * ولك الهنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت واكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
قل للعذول اطالت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من * غضب الحبيب واسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر)

وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان أني رجب

المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي اسماء كانت مشهورة في الجاهلية

(وقال السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه وكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له سعد ام سعيد فيقول سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعا فقال له

وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني أياما وقال أحضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد أيام قال أحضره بعد العشاء الى الخيمة ونم أنت وأياه على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لا قتلنه قبل أن يقع في المعصية فأخذت كارة فأصلحتها وجئت بالمملوك وأنا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في أعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي وأحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وأنت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت ماشاء الله قال فلم جات الكارة وحدثتك نفسك بالسوء ما أنا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه لعله يذهب عني ما أنا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي أريد كل يوم أن أراه فأمرتك باحضاره فقالت أريد أن تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر

ماتركتني النفس أنام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان أصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى

الله عليه وسلم الذى عمر المساجد والمدارس والربط ختم أعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا عمر وقعلمت انه قد

حدث به سنتك وأما أنت فجزاك الله عنى خيرا والله ان القتل عندى أهون من المعصية ثم أحسن

الرجل قد قتلت هذا رجلا واخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعدل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اعاذلى ليس مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل
مادمت خالوا فما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على ولى

(وقلت)

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * للومهم العذال وهو عجيب
أماعذر المجنون مع ذى جهالة * لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وماعاقل ذاق الهوى فيذمه * ويعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل فى احكام الزيارة وماجاء فى فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثار انفاسه على نفائس الطيب)

قيل كان الشافعى رضى الله عنه يكثر من زيارة احمد وكان احمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعى انك لتزوره اكثر وهو المحتاج اليك فأنشد

قالوا يزورك احمد وتزوره * قلت الفضائل لاتفارق منزله
ان زارنى فبفضله اوزرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى دارها وخيامى
فرشت لها خدى وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلا منها ثم اشار الى اخذه فى اسباب السعى اليها بل شروعه فى ذلك رفعا لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول انه ليس أهلا لها ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يقل لها فقط بل اطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضا بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمعت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما اشار اليه ولما اعطى المقام حقه وتقلبته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات اشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذى تضمن ماذكرنا

عتبت ولم اعتب كأن لم يكن لى * وما كان الا ان أشرت وأومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت وماضنت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتى هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فأين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل فى الزيارة والمجانبة قول العكوك

الى (وحكى) عن فاطمة بنت الخثعمى انها ادعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالممات دونه
والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه
يحمى الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم فى المثل واحدة بشى التين وآخر يقطفه مع الله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو ما حكى انه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا
غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوى الغرام الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى وله فى ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونشر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شئ زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكى) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلانى انه دخل على أمير المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رأيت منه ما تنكره فقال لا يا أمير المؤمنين الا انى بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهى ثم يقول

بأبى

اللهم أنت تعلم أني أحبه وإني أراقبك فيه قال فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستصفت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت أن لا ينظر أحد

بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ فزعا
زائر نم عليه عرفه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاخطار في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال آخر)

زارت على غفلة الرقيب * كطيبة روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال انه أصدق ما قالت الاوائل

يقولون لي بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أبيكه

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حباني حبيبي * بعتاب يسبي النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يادجى بردا دارا

(وقال ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل * فجلى حسنه الدجى اذ تجلى
مادرى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * يجهل النزاع كيف استدلا

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة * عودي ولا تجعليها بيضة الديك

انما قال ذلك لانه قد اشتهر ان الديك يبيض في عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك واقول ان القياس لا يأباه لما تقرر في الطبيعة من ان البيض الريحي فضلات غلظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المني الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامي ومن له يد في الفلسفة سهل عليه علم هذا

وقال ابن أبي حجلة

زار الحبيب ووجه الورد خجلان * فأصفرت حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضرني ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان

إلى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني مغطي الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد بن واسع ينفق على محمد ابن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بأنواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق بأخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكاية غريبة أضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق وقال في أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما تأتي به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت في كتاب الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكثره ومن ألطف ما حكي عنه انه التقى هو وأبو العباس بن سريج في مجلس أبي الحسن بن عيسى الوزير فتناظرا في مسئلة من

الايلاء فقال له ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق من أن تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال محرما

وأجمل من ثقل الهوى مالوانه * يصب على الصخر الاصم تهدّما ويـنطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى ردّه لتكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن سريج فبم تفتخر

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا اذا استترت * وناب اشراقها لى لامع القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق فى الغلس

ومما تدرجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب ووصف عمرة بالطيب قال ابن النبيه

ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق

(وقال الطغرائى)

فسرينا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

(وقال المتنبى)

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

ومما ينخرط فى سلك الزياره وينتظم فى عقد الاشاره ذكر العياده وما ينجز الى المحب فيها من الافاده وهى فى الحقيقة زيارة جميلة تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت * اضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغير ما فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى
ورفعتموا مقداره بالابتدا * حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى)

يقولون لى أنت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد

ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه
وأكرر اللحظات فى وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدى عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك

أنزه فى روض المحاسن مقلتى
وامنع نفسى أن تنال محرما

قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف ما يحكى عن محمد) أيضا ما حكاه أبو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من أحسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأيانى تفرقا فآليت أن لا أدخل من باب كنت فيه السبب فى التفرقة بين المتحابين ودخل عليه ثعلب فقال له أسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله أياما لنا ولياليا
لهون بأكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة
وشاهد آفات المحبين غائب

(ومن شعره) لكل امرئ ضيف يسر بقربه * ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف فقلت

يقول خليلى كيف صبرك بعدنا * فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

فقلت له هبنى الذى قد ذكرته * فأين صلاتى منكم وعوائدى

(وقال ابن عباد)

مرضت فأشفقت الزيارة عامدا * وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر

ولكننى أشفقت من أن أزوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا

فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

(وقال الارجانى)

غالطتنى اذ كسا جسمى الضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

(ابن أبى حجلة)

شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من ألم البعاد

فقالت أنت حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

(ابن النقيب)

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى

وقالوا به فى الحب عين ونظرة * فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبى وما يعانى * قد حير اخاطرى ولبى

قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوافى فقلت قلبى

(ابن الوكيل)

وبى من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعدى

أقــــول اذا برق أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيرى من شاطر اغصبوه * تجـرد لى مرهفا فاتكا

وقال أنالك يا ابن الوكيل * وهل لى رجا سوى ذلكا

وتشبيهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت اذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت فى أصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها * ليل الشعور مخافة الرقباء

(وقال ابن السراج) فى كتاب مصارع العشاق وعن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذى مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم ... أورثنى ما ترى فقلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى أبى قال حدثنى سويد ابن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن أبى يحيى العقاف عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وأدخله الجنة ثم أنشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى دعج فى طرفه الساجى

وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمال دب فى عاج

وأنشد لنفسه

مالهم أنكروا سواد اعذا * ره ولم ينكروا سواد العيون

ان يكن عيب خده بذر الشعـ * ـر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس فى الفقه وأثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات فى ليلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس فى قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصرى أحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب أحد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه أنه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى فى كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء أعلوه بما ليس بعلة يرتبها يعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث * ونقل

فوثبت اجلالا لا أقبل نعلها * بل ترب الابرة من أدواتي
قالت لك البشرى فطب نفسا بما * أوليت من نعم وحسن وفاء
بتنا وكل جوارحي تشكو لها * شوقي وما صنع الهوى بحشاتي
فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيم انفاس لقلبي ارسلت * سحرا فأحييت الاحياء
لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثوب عفة وحياء
يا ليلة غلط الزمان بها ولو * عوضتها بالعمر كان مناتي

(وقلت أيضا)

افدى التي زارت بلا موعد * في غفلة الواشين والجاني
والوجه منها روضة أينعت * ما لاستها راحة الجاني
فقمت لاجني الورد من خدها * وهي بسيف اللحظ ترعاني
فقالت ما هذا وقد راعني * قالت حديد يمنع الجاني

وأما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت في الشرق انفاس طيبها * وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدي اليها الا من خص بالعناية الا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا اليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تفتق فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو انشقها في الغرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت في العيادة)

أقول لها هل تسعفي بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم
فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محال جمع روحين في جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدي الى الحاقه بها أهل العقول ما يجري على ألسنة الاحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبه ودوامه بين الاحبه والصحيح انما كذب الناقل ومميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين الحبيب الزور فهو احق بأن ينصر ومنه يستكثر قال في احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن اولى الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع في نفسه من اخيه شئ لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضي الى المقاطعه ويحدث الهجر

والممانعة

في كتابه المذكور أيضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء لهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم أطلق كالشيخ محيي الدين النووي فانه أطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميتة طلقا يعد من الشهداء هذا مع شدته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما أحسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا انهما لونا لانهما مختلفان لونا وقال الامام العلامة أبو الوليد الناجي

اذا مات المحب جوى وعشقا
فتلك شهادة يا صاح حقا
رواه لنا ثقات عن ثقاة
الى الحبر ابن عباس ترقى

(وقال عبد الكريم القشيري)

ان المحب اذا توفي صابرا
كانت منازله مع الشهداء
يرويه أقوام غدوا في صدقهم
علما وناهيكم بهذا الداء

(وقال الحسن بن هانئ)

ولقد كان روينا
عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده
قال من مات محبا
كان من أهل الشهاده

(وقال ابن رواحة الحموي) وأحسن ما شاء

لا تصغ لمن لاموا عليك وما دروا
ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى
او كان هجر فالشهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

يا طالب دع عنك الهوى واسترح
ما أنت فيه ما صادفا أمرا
أضعت دنياي بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

والممانعه فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا ووصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الاول العتاب مفتاح الوصال قاطع الهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة * فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفقت * يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب أخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الاحباب الا * من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك)

وأملى عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبي كي يطول عتابه
ومن غرني ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

(ابونواس)

أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب
تعد علي الواشيات ذنوبه * ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طبعت * حسنا أو البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان عظمت * منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

(ابوفراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا * دربونا على احتمال الملال
أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كل حال

(وقال آخر)

(وقال آخر) خليلي هل خبرتما وسمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد
نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى * وعف الى أن مات فهو شهيد

(وقلت كأني حاضر اخاطبه)

نفذ عن مقال أنت فيه مذبذب
فذلك ما قد كنت منه تحيد
سباق الذي يروي به ركب ذوي الهوى
به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم
فنهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما
تميل بهم سفن الهوى وتميد
أتبكي دوين العام من عام منهم
وقد حذ حولا للبكاء لبيد

قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود النقية النقود المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد

يسقي ثمر غروسها ويروي الجدب من طروسها
بعينين نجلاوين لو رقرقتهما
لنوء الثريا لاستهل سحابها

ومابقي الا ذكر مصارع العشاق وأخبار من أصبح من المحبين ميتا بالاشواق

ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل
فوا حيائي من العشاق وا خجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا
لا سيما بسيوف الاعين النجل
ياصاحبي اذا ما مت بينكما
دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل
قضى صريع القدود الهيف والمقل

(وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله) للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يافتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * عهد الوفا الذي للعهد ما نقضا

اذا مرضنا أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر)

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم

لا أستطيع أقول انت ظلمتني * الله يعلم أنني مظلوم

(وقال آخر)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز)

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ماغرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن علي يعني اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض

(وما أحسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من قادر * لاسيما عن غير ذي ناصر

يا غاية القصد وأقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر

ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فماله غيرك من غافر

أعوذ بالود الذي بيننا * ان يفسد الاول بالآخر

(وقال آخر)

زعمت أني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ

ونعم ظلمتك فاغتفرلي زلتي * هذا مقام المستجير العائذ

(ابن زيدون)

يا اقرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب

ألزمتني الذنب الذي جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب

فان من أغرب ما مرّ بي * ان عذابي فيك مستعذب

(وقلت)

رأيت أساليب العتاب كثيرة * وألطفها ما أكد الحب في القلب

قف واستمع راحما أخبار من قتلوا * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا

رأى فحب فرام الوصل فامتنعو * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال جرير)

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

(وقال آخر)

مازال يهوى المقلا * قلبي الى أن قتلا

الحمد لله الذي * مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى في ديارهم * كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا * ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

دعا لوحي فلوصكم معاد * وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى أهل التصابي * لماماتوا ولو وردوا العادا

(خاتمة الكتاب في ذكر من مات من حبه وقدم على ربه) من صغير وكبير وغني وفقير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم أسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب لاتوصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق مالا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا أشرع في ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح

(فمنهم شقي وسعيد)

ومنهم قتيل وفقيد

(فمنهم شقي وسعيد)

اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله * بلا سوى الشكوى اليهامع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منقرا * عقوبته الهجران فى مذهب الحب
ومن يرذنبا من حبيب فذع * وما الحب الا ان تسمح بالذنب

وهذا صدقة من مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدى عمر بن القارض حيث قال وكل الذى ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم كتاب المحبين الذلة فى الاعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد اجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدى عمر بن القارض حيث يقول

ولو عزفيها الذل ما لذلى الهوى * ولم تك لولا الذل فى الحب عزتى

(فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه فى باب)

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجنى حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند أرباب الهوى * ان المليح على التجنى يعشق

لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظلم من المظالم

(ابن النبيه)

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدى فى هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الاعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى يؤذيها وصبرى يسوءها * وتنفر من بعدى وتجزع من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها فتوجبوا الاجر من ربى

ولما كان التجنى من المحبوب وتعنته الذى يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشتد بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض بلجة هذه الشريعة وجب بعد اذ أشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثانى ونذكر ماله من الاقسام والمبانى

(حكى) أبو الفرج بن الجوزى قال ذكر لى شيخنا أبو الحسن على بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يتردد اليه فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم ألق فلانة فى الدنيا وأخشى ان اموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت أنا ما القيت صاحبى فى الدنيا واريد ان القاه فى الاخرى وأنا أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم أسمع باغرب من هذه الحكاية ولا اعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين ودارت عليه دائرة السوء فى الدارين وكيف لا وقد ورد بكساده فى الحب دار البوار وأصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا
شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدى يرثى حبيبا له نصرانيا وأحسن ما شاء حيث قال

أخى بوداد لا أخى بديانة
ورب اخ فى الود مثل نسيب
وقالوا أتبكى اليوم من ليس صاحبا
غدا ان هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا وان تلهفى
وشدة اعوالى وفرط نحيبى
ومن أين لى أبكى حبيبا فقدته
اذا غاب منه فى المعاد نصيبى

وكان هذا النصرانى موسوما بالجمال فمات فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به وأقام ببابيته فى الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة فى الاعياد والحدود طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع

مالكين فى ذلك مسلك ديوان الصبابة اذلامزيد فى هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا فى كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة فى هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير فى قوله

عتب الحبيب فلم أجد * سببا لذا العتب حادث
ما كنت أعلم أنه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفى هذا الاصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكرى أدام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا أوذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله فى غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال استاذ الوجود فى هذا المعنى

فنى نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضى الله عنه

وان لم أفز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبى افتخارا بتهمتى
ودون اتهامى ان قضيت اسى فما * اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به أحد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة فى غاية الرضا بذلك بعد اذ سأل الوصل أولا ثم نظرة ما فى يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة فى هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر فى الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالى عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضى الله عنه ولو عزفيها الذل يحقق ذلك وأما قوله

ونفس ترى فى الحب أن لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر يتقى ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال

ويدل هجركم على * أنى خطرت ببالكم

(وقال آخر)

أهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه قسما شديدا ان لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد فى احدى يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد فى اليد الاخرى ودخل داره واغلق باب بيته وبخر الفصادين فما شعر أهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذى هو فيه فأدركوه وقد أشرف على الموت فصالحه محبوبه النصرانى خوفا على نفسه (ومن شعره فيه)

انظر الى الشامة فى خدمن
ألحاظه باللحظ جراحه
كأنها من حسنها اذبدت
حبة مسك فوق تفاحه

(ومنهم شهيد)

ذكر التميمى فى كتاب الامتزاج عن أبى زيد الضوى عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل ذكرلى ان فيه راهبا حسن المعرفة بأخبار الناس وايامهم فسرت اليه فوجدته فى حجرة وعليه زى المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثنى انه كان فى هذا الدير جارية نصرانية من بنى تغلب كثيرة الاموال وأنها هويت غلاما مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تاتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ما تحب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا امست قبلتها وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعملت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وتبكى الى ان امست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد اودت بما فيها أسلمت روحي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى بمحبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه وأخذوا مالها فيئا مقسوما بما آل اليه امرها فرأيتها في المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

اصبحت في راحة مما جنته يدي
وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا
قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت الهك لم يولد ولم تلد
اتاني رحمة منه وأسكنني
مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت واسلم معي اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

(ومنهم شهيد)

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى ابا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتي الكتبيين فيما زعم يستكتب شعرا بقوله ليس موزونا ولا معنى له مخلصه انما كان من حكامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث أن جماعة قتلوا في المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف قتل هؤلاء قال له ما وافى

اني سألني أن نلتقي بساعة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثيرا التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

يا قوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

(وقلت)

عدي واضمري خلفا يلذ بخاطري * كوصلك وعدمك غايته الخلف
فعندي موتي في هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثاني هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد ومباحثته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة أصل وانما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو عمن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق ما رق يوما لعتق * لو تخليت عنه ما خلاكا

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا يحجبه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانقياد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال

وبماشئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضاحا لمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال

وقد صرت مستدع قضاك وما به * رضاك ولا أختار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما في الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولا وأما قوله

وماغدرت في الحب اذ هدرت دمي * بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشى على القسم الاول أو هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

وسماه بعض الصوفية الازلي يقال ان الجنيد رضي الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله في كفه ثم أخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون في نسب أوجبت العصبة وحققت المحبة وتدابر الاخر فحققت بين افراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوي غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز كل مخلوقاته وعبر اعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو انفقت ما في الارض جميعا الآية وهذا القسم والذي قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضي الله عنه وكل الذي ترضاه البيت لم يكن القسم الثاني فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤل الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون في الحقيقة ثناء اليه وقد يستخير عند تمادي الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر في الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلي وديني

سبيل الله ته الى فقال امولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فسجوه بثوبه فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده *(ومنهم شهيد)*

ذكر ابن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوي فتاة من حيه فلما علمت محبته اياها هجرته فزال عقله واشرف على التلف وصار ترحمه الناس فلما بلغها ذلك اتت فأخذت بعضادتي الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتني في السياق تعطفت
علي وعندي من تعطفها اشغل
أتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم اغمي عليه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من جواري القينات ووصلته فكان يظهر لها ماليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها في المنام ليلة وهي تقول له

اتبكي بعد قتلك لي علي
فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لي وفاء
ومن قبل الممات تسي اليا
فيا اقرا بري جسمي وروحي
وأهلكني وما ابقى عليا
أقل من النياحة والمراثي * فاني لا اراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكاء وخلد حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله

(ومنهم قتيل)

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نائب الكرك الساكن بالمرتفش ان استاذه تزوج امرأة اسمها اقطاو ملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له اولادا وأقامت عنده مدة سنين

وخلد دولة الاعطاف فينا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا)

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالي
واسبغ ظل اغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت ثمار الانس تجني * تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

(وقال آخر)

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فلا مسواك ولا كوس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العاثم)

واقسم ما أدعو على هاجري * الا بان يحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدتم في حقي

(وقال آخر)

أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا أراك الله هجري * او يريني بك ما بي
رب فاجعله لدعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى قلبك في مثل عذابي

(وقال آخر)

كم جفاني فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لا اشقى الله طرفه من سقام * وأراني عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم ما بي * وأنت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي * وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش * تفديك نفسي ومالي
دعوت اذ ضاق صدري * عليك ثم بدا لي

(وقال آخر)

ولما بدا لي انه غير راثني * وأن هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت ان يهوى ويصبا لعله * يذوق مرارات الهوى فيرق لي

فجنت فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بسهوه علاء الدين استاذدار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

(ومنهم شهيد)

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجلس أبي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة حسنة وصبي يقرأ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بلى بلى دفعات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية في الكرخ تقول في القضب

وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر بهذا وشاع وأخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهي يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج

(وقلت)

الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت فى كل معنى وصورة * من الكون لما أصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل فى الهوى * فما طلبى للوصل الا مكابره
ولكننى أرجو تبدّل ما بنا * من الميل واستكشاف حجب الساتره
فتطلبنى من بعد ما انا طالب * لها وتحيينى بحسن المحاضره
فيارب خذ منها بحق وانتصر * لنفس غدت فى ابحر الشوق حائرة
ولا تستجب منى وسلطان عزها * أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق فى سح الدموع والانحطاط من اوج الارتفاع الى حضيض الخضوع * واقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق وقصب السبق التى لا تدرك والجواد الذى لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد أشار فى هذين البيتين الى طرح حظوط نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد اثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لانه فى غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذى به حقق اثباته كما أشار بعده بقوله لفقد حميتى وأما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدى حىّ فى جفونى مخلد * ونومى بها ميت ودمعى له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله

وادمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحى كادمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى * ولولا دموعى احرقتنى زفرتى

لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطرفان بالنسبة الى اللجج فى الاول لانه انقلاب العناصر كلها الى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وان لم يكن مما

انبيته أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتى الناس بالحجج قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا فقالوا الى مالهم ٧٠ فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار

(ومنهم قيلان)

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكرونى له فاحضرنى بين يديه فلما رأى قبح صورتى كره النظر الىّ وأمر لى بعشرة آلاف درهم فاخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد ابن اسحق بن ابراهيم الموصلى وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علىّ الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا فى الحراقة وكانت دجلة فى غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فاكلنا ثم أمر بالنبيذ والغناء فناشدته ان لا يفعل فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوّادة ما سمعت أحسن من صوتها ولا أحذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا
ما ان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرون
ويقطعون فيصبرونا

وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا يتعذلون ويظهرون * نجلدا للعاشقينا فقالت لها العوّادة يافاجرة نحن فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها فى الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم

ألقت نفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى المذبة من يده وأتى الى الموضع الذي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء فقال

نحن فيه

وتحقت أخفافها فهي تمشي * من جواها في مثل جمر الرماد

حيث نسب تحفية الاخفاف الى حرارة الجوى التي شأنها الصعود عكس الاخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة استوعب الاحياز كلها وأما قوله

فلو بكى في قفار خلتها الجبا * وان تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فكثير لا يمكننا ادراك أقله وأني للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التي خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضي الله عنه حيث قال

فما منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسالة

وأصرح منه قوله

فما كان منه معجزا صار بعده * كرامة صديق له او خليفة

(رجع الى كلام المترجمين) قال القاضي الفاضل

قد استخدمت بالافكار سري * وما أطلقت لي بالوصل أجره

ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استقطرت سحب العين الا * وصرت بادمعي في الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسألني عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك ارخت * غرامي بمستهل وغره

(المتنبي)

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الاماق

(وله أيضا)

وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل

كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر)

ولم انس لا انس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد

وخدي يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار)

وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره

فعاطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

(وقال آخر)

وقائلة ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبي ادمعها هطل

أنت التي غرتني

كيف القضا لو تعلمينا

لا خير بعدك في البقا

والموت ستر العاشقينا

ثم ألقى نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم ير احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو لتحدثني حديثا تسليني به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين ان يخرج الى جاريته فلانة تغني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أتبع الرسول برسول آخر يامره بأن يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فأمره بالجلوس بعد أن لم يبق احد من بني أمية حتى خرج ثم امر بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل . وان كنت قد ازمعت هجري فأجملي

قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال لها غني

تألق البرق نجديا فقلت له

يا برق اني بروحي عنك مشغول

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لي برطل من شراب فأمر له به فلما شربه أشار اليها بأبيات فغنتها ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون

فقلت زنت عيني بنظرة طامة * فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السرى الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي

وسالت دموع العين بيني وبينها * كأن دموع العين تعشقه معي

(وقال آخر)

وقائلة ما بال دمعك اسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل

فقلت لها ان الدموع تجففت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي

فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء

فقلت ماذاك مني * ولم يكن بعناء

لكن ضلوعي شابت * من طول عمر التنائي

(وقال آخر)

كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فذنأوا قصرتها بعدهم حرق

قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

(ابن الساتي الاكبر)

بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لفقد الديار

كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال)

ومحجوبة مذ كلمتني كلمت * فؤادي وألقت بين سمعي وناظري

الى ان رأتها مقلتي فاض دمعها * على الارض أمثال الصور الزواخر

فقالت عقيقا ما أرى قلت بل دمي * جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل)

في نفي كدر الهم والصدود باستجلاب الاماني والوعود والتعلل بالاماني والطمع في التهاني وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته واعجب ما فيه أن الراضون به مع العلم بزوره أكثر العشاق واغلب من نودي عليه في هذه الاسواق وقد كشف عن غامض هذه

الطريقة

٢ كان الإسحق ينقل الى ماتريج الية جاريتي تغنيه واردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهلها ان كان لها أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهلها فلما توسطت الدار ونظرت الى حفرة في وسط دار يزيد قد اعدت للمطر ٧٢ فجذبت نفسها من بين ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا

لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت

(ومنهم قتيل)

حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك مالك مت قال لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وانشدني

سيدي خذ بي أتانا

عند باب الاصبهاني

تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان

وبغنج ودلال * سل جسمي وبراني

ولها خد اسيل * مثل خد الشيقراني

فبها مت ولو عشـ * ـت

اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيقراني قال هذا من لغة الحمير فاذا لقيتم حمارا فسلوه (قلت) وذكر جماعة من اهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي منصور وكان له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي

الطريقه واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقه الاستاذ رضى الله عنه فقال

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الوفا حسن المطل

وما الصد الا الود ما لم يكن قلى * واصعب شئ دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقه وانغمس فى بحار الحقيقه فانطوت نفسه الابيه فى مطاوى الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك نعد به * املى وماطل ان وعدت ولا تفى

وأما المترسمة فقد اكثروا فى هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى

واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

(وقال آخر)

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام افلاطون الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمنى مؤنس ان لم ينفع فقد الهاك * قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك

(ياقوت الرومى)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

(ابن الوردى)

وشادن قلت له * هل لك فى المنادمه

فقال كم من عاشق * سفكت فى المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراك

واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك

خدعات المنى تعللنى فيك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبى حجلة)

رقى لصب غدا ما يكابده * من دمعه الصب يجرى فى مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

(وقلت)

عدى فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه

فالهجر منك لكاس الموت يسلمه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

ولم يؤمن أحد غيرى ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وأنا أتوقع ان تركبنى وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت أعثر به عمدا فكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له النبى صلى ٧٣ الله عليه وسلم قد سميتك يعفور تشتهى الاناث قال لا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا نزل عنه بعثه فى حاجته فيأتى باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فصارت قبره

(ومنهم قتيل)

(قال محمد بن هرون) حدثنى فيما أذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت أن تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فخلت فلم تزل تضطرب فى دم الذكر حتى ماتت (وقال) ابو عبد الله محمد بن محمد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس ليس فى جميع الطير أوفى من القمرى والقمرية وذلك انه اذا مات أحد الزوجين تعزب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا مردا الى أن يموت

(ومنهم قتيل)

ذكر المكيخى فى تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى عقد على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

١٠ تى ى

(ومنهم شهيد) ذكر العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من أهل الادب نتجاذب الحديث الى أخبار

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والامانى وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير.

(الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز)

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فأكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها وما تبشى فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا

(وقال آخر)

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف * المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط الطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته

(وقوله)

الست ارى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذاك لنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسرا نظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بات حيث تبول

(وقال بعضهم)

العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا فقال لها أحسنت يا سيدتى اتاذنين لى أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت أهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس انا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة بلغها قول ابنتى ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة فى يوم واحد

(ومنهم شهيدان)

ذكر الشيزرى فى روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح أسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها سرا فابى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فابى فسلطت عليه الصغار فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل وكن رأيت الجارية الشاب قالت فاخذ يدى وانطلق بى الى الجنة فلما اردت أدخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه

فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لي ولك وأنا لاادخله الابك والي خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره وماتت في الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامي

وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت في ضيافتي بجميع عسكرك في جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها الى البحر وقال يانبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكره وعكس هولاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا في العين الاحول الذي يرى الشئ اثنين

(قال بعضهم)

وكدت وهو صجيعي ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومي)

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ماالقى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي غليله * تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشفه قدار الذي بي من الجوى * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب)

كانني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

(نفطويه النحوي)

ولما التقينا بعد بعد بمجلس * تغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه * فلم نفترق حتى توهمته بعضي

(أبو بكر الاربلي)

هم الرقيب ليسعى في تفرقنا * ليلا وقد بات من أهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى * فذرأى واحدا ولى على حنق

(وقال بعضهم)

توهم واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأى غير واحد

(أبو الفضل)

سقيا العيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفي حبائلكم * بسهم هجرك تنوى ثم تنويني

(ابن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي

(ومنهم قتيل) ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهي تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها بابه فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك ظهرت له السرور وقالت تشتهي أن تكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا ليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها فكان يمشي في الطريق ويقول

يارب قائلة يوما وقد جهلت * كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها * حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يارب قائلة يوما البيت حتى مات

(ومنهم شهيد)

ذكر أبو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن أبي الفرج الصوفي وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بأبي القاسم الشواء وكانت له عنزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغني في حقل

إن هواك الذي بقلبي * صيرني سامعا مطيعا
اخذت قلبي وغمض طرفي * سلبتني العقل والهجوعا

وبتنا كجسم واحد في عناقنا * وكالحرف في لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعدد الحرف المشدد بحرفين فلو قال في الخط لحسن مطلوبه * واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم أنا أشعر منك حيث أقول

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال أحسنت ولكني أشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعدا آذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه * نوما فما انفك لا خد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الاعطاف مهضومة الحشا * غرير بسحري عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لايخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وان كان في الحقيقة أصلا للبيتين الا ان ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر لانه أشد نفوذا وأما ابن عروس فلا الطف منه اذ لاشئ أشد سريانا من النوم وحاصله انه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية في المطلوب باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحق الوقوع في ضيق القفص ومن صفا له الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الاول

لقد صار يشفيني الهوا امزجه * بانفاسها مع ان دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمسا * لاني واياها بدركه سوا

(ومن الثاني)

ورب ليل ضممتها فيه حتى * لو فرقنا كهيولي وصورة
مع اني سألتها القرب مني * بخضوع وان تمن بزوره

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى اذ لا يتصور افتراق الهيولي والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه

(فصل في ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف)

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه

فاردد فؤادي وخذ رقادي * فقال لابل هما جميعا فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبي وأقبل ٧٦ نحوه كيف قلت فقال جميد وكان يقال له جميد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يسيح فؤادي فؤادي الى ان قضى عليه

(ومنهم شهيدان)

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق أسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا أبوه الى أبيها خالد فامر بحمله الى داره ليرق جهابه ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة فقضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشفق نسائها عليها صوري لي مثاله فاني أحب ان أزوره قبل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب أبو الفتاة الى أبيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسي هما ما متعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان)

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك ابن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا عافا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو منقلب منها الا ليت شعري عن غزال تركته * اذا ما أتاه مخبر كيف يصنع وصار

وصار بدر تمامها بل شمس آفاقها انظامه سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال

ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ومن لم يجد في حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

فانظر كيف اضرب عن ذكر ماسوى النفس وان عز وأمر ببذلها من بادئ الرأي فكم طوى في ذلك من المراتب وهذا في الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى * اسى لم يفز يوما اليها بنظرة

فانه أشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهي السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشئ اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحا قوله

بحيث ترى ان لاترى ماعددته * وان الذي أعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لايعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه في هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولوا الالباب فلنرجع الى كلام المترجمة

(الطغرائي)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

(ابن خفاجة)

وايل طرقت المالكية تحته * أجدّ على حكم الشباب مزارا
فخالطت اطراف الاسنة أنجما * ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه * من معشر فيك لولا أنت ماطلقوا
وفيك داريت قوما الاخلاق لهم * لولاك ماكنت ادري انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء وامام هذا الشان والمنفرد بالسبق في هذا الميدان الطغرائي قيل انه علق بملوك كالمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فاراد قتله واشهر شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائي ملحد فشده الى شجرة وامر أن تفوق اليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع مايقول الطغرائي وهو لايشعر فاذا هو يقول

فلو انني كنت المؤخر بعده * لما برحت نفسي عليه تقطع ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلي أمرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فاتاها من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التي أهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

تقول رجال زوجوها لعلها * تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت في النفس التي ليس بعدها * رجاء لهم واصدق أفضل قيل

وحدثني أصحابه ان مالكا صرم كاضي الشفرتين صقيل فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت

(ومنهم شهيدان)

قال أحمد بن محمد الغنوي فيما ذكره في ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءني ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان عاشقان وقد اعتل أحدهما فنريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر في وجهه فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه فجلس أصحابي حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من كبدي قال الصحيح أواه من كبدي واذا قال أواه من يدي قال الصحيح أواه من يدي الى ان قالوا قد قضى رحمه الله فشد أصحابي لحي العليل وشددت لحي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما

(ومنهم شهيد) قال أبو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وأبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هوى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان

صغير بن فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك ٧٨ فى كل يوم ولا يجد حيلة حتى راى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها الى ان قال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك لتسأل عن مولاتى فقال انها لابنة عمى وانها لتسر بموضعى لو أخبرتها قالت نعم فانى أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حى قالت نعم قالت قولى له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم انها أدخلته فى صندوق فمكث عندها حينا اذا أمنت أخرجته فقعد معها واذا خافت رقيبا أدخلته الصندوق واهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى أم البنين قال فدخل الخادم من غير ان يستأذن ووضاح معها فلمحه ولم تشعر أم البنين فأدى الخادم الرسالة وقال لها هبى لى من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذى رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهى فى ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هبى لى صندوقا من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هى لك وأنا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذى تحتى فقط فقالت إن فيه شيأ من امور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء ثم وضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شئ فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان كذبا فانما دفن

واقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى واطراف المنية شرع
والموت فى لحظات أحور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش فى فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لولم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فأطلقه ورفع شانه

(أبو عطاء السندى)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر
فوالله ما أدرى وانى لصادق * بنا فتكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسى)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائى)

انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم)

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبى ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(ابن رشيق)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما يليق وانه * ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضى)

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو مهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وانا وذكرك فى ألذ تناج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت نقع المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفى

(الصفي الحلي)

واقد كرنك والعجاج كانه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل * مناو بين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كانما * فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقلت)

لقد ردروحي عند ما رام نزعها * ملائكة ذكراك حين تلوته
فلو لم يكن موت البرية لازما * اذا فرغت آجالهم ما نسيته

(تتمة)

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها التالك الجلة من حيث وصف الحاجب والمقلة واثارة ماقر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعد ما حال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوى الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان أغزل بيت للمتأخرين قول بشار

انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكي الغزال مقلة وافتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن
في ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض أعيان الدولة مما كانها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا * لما تذكرنا بهن من سكن
وكم أقنا بالبكاء مأتما * اذ بعتهم روحي بغير ما ثمن

فاستحسن الجل أبيات الحلي ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الادب فمن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب

الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد ابن عبد الملك وفيه نظر

(ومنهم شهيد)

ذكر الشيزري في كتاب روضة القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها احبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أراد تزويجها فانظرته حتى أرسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشيزري فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام

(ومنهم شهيد)

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله

(ومنهم شهيد)

قال أحمد بن أبي الحواري فيما ذكره الخطيب بينما انا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صيحة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هي قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال أحمد فافاق عند سماعها وهو يقول

ألم يأن للهجران أن يتصرما * وللغصن غصن البان أن يتكلما * وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى * أما آن أن يبكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا حكى نقش الوشي المنمنما ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت

(ومنهم شهداء)

عن صالح المري قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ارني عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في أعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد غشي فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس في مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وبدر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى أدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم أتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاثة رجعت
أيام [illegible] *(ومنهم شهداء)* [illegible] ذكر ابن أبي الدنيا عن محمد [illegible] قال كررت [illegible] هذه الآية كل نفس ذائقة الموت

وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(وله أيضا)

قلت وقد أبدى جبينا واضحا * وفرقه لسل دلال قد سجا
أفدي الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران)

ظباء اعارتها المهاحسن مشيها * كما قد اعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت وقبلت * مواطئ من أقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندري)

لم ارقبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا
والسكر في وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجري)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ)

مشى غصنا ومد عليه فرعا * كظل حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(السراج الوراق)

ذو طرة بعد ذهاب الدجى * وطلعة بعد ذهاب الفلق
الماء والنار معا في خده * أما ترى الماء طفى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق أسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبي)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(آخر)

برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل

(ابن المعتز)

سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

(الجلي)

فنادى مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا *(ومنهم شهيد)*
قال محمد أبو يحيى التيمى كان يجلس معنا شاب من النساك يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن

رقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
(الخيزرانى)
رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وماراعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر
(التهامى)
وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن مافى أجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر
(آخر)
أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف * وكيف نجاتى بين سهم وعقرب
واللحظ ماطلته باللحظ من دمى * على وجنتيها والبنان المخضب
(وقلت)
لله بالناس لطف فى معايشهم * لولاه لم تر موجودا من البشر
اذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس فى نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب ابدى مسبل الشعر
(ومن الثانى قول ابن نباتة)
واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
أجيل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او أدنى
(الواوا الدمشقى)
يامن هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الجمر فى افعال مقلته
ومن برزقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ماخره الابزرقته
علات انسان عينى ان يعوم فقد * جارت سباحته فى بحر دمعته
(علاء الدين الوداعى)
رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى
ومالى ذا الذى من بدع * سهام الليل لاتخطى
(الصلاح الصفدى)
بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
أن مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه
(ابن نباتة)

الوجه يفتتن الناس اذا راوه فاكثر الناس القول فيه وفى صحبته اياه فمنعه أهله صحبته وكلامه فذهل عقل أبى الحسين حتى خشى عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لى قل له لاتقربنى ولاتاتن مجلسى فانى له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول
يامن بدائع حسن صورته
تثنى اليه اعنة الحدق
لى منك ماللناس كلهم
نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم
وشقيت حين أراك بالفرق
قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه
(ومنهم قتيل)
ذكر الشيزرى رحمه الله فى كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردى وأصله من حمص وكان فاضلا شاطرا فى فنه فافتتن بصبى من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبى من المضى اليه ثم انه أرسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدواله فاشتد مابه من الغرام والهيام ثم انه الجأته الضرورة الى ان كتب الى أبيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة اطرق

 الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم

قال ابن الجوزى كان ببغداد سنة ثمانين وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقى لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

(ومنهم شهيدان)

ذكر العتبى عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت فى سفر فنزلنا على ماء لطيئ فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما ابصرنى أنشا يقول

ألا ما للحبيبة لا تعود
أبخل بالحبيبة أم صدود
مرضت فعادنى عوادقومى
فما لك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكونى
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولى من ذوى رحمى عديد

قال ثم أغمى عليه فمات فوقعت الصيحة فى الحى فخرجت من آخر الماء جارية كانها فلقة قمر فخطت رقاب الناس حتى وقعت عليه فقبلته وانشأت تقول

عدانى ان أعودك يا حبيبى
معاشر فيهم الواشى الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهى
وعابونا وما فيهم رشيد
فأما اذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا فواقا ❊ ولا لهو ولا أثر جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة وها خدها

نسبوه حسنا للهلال وحسنه ❊ للبدر ينسب لا يليت بينه
فاذا بدا قالى هلال أصله ❊ واذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

يا بى سلطان حسن حسنه ❊ لقتال القلب فى الحب نوى
صال فى العشاق منه ناظر ❊ هو والسيف على حد سوا

(ابن نباتة)

ويح قلبى من كاسر الطرف أضحى ❊ فيه قلبى كاترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عنى ❊ وكذا السيوف تحمى الثغورا

(الصلاح الصفدى)

سيوف اللحاظ المرضى سفكن دمى ❊ ولم يطق دفعها حولى ولا حيلى
لولا السقام الذى فيها لما فتكت ❊ وربما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق)

ومقلة شادن اودت بنفسى ❊ كأن السقم لى ولها الباس
يسل اللحظ منها مشرفيا ❊ اقتلنى ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت بانى مخطئ ❊ وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى ❊ فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملاله ❊ منى وان وداده تكليف
لكننى لم أعنه لانه ❊ خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيده والآماق أدمعى ❊ فوكيل شوقى عاجز عن حبسه
أو كان مثلت الطرف اسم ناظرى ❊ فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدى)

غزال من الاتراك ماضاق لحظه ❊ لحظى الا كى تضيق مذاهبى
كان الخاطر وكاسر لحظه ❊ تصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن أسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن ❊ وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بلحظى خده وهو جارح ❊ بلحظيه قلبى والجروح قصاص

(وقلت)

يقولون ان الشمس تحرق كلما ❊ تجاسده من كائنات الكواكب

فهاخذها المريخ مع شمس وجهها * فقد اقترنا في سمت قوس الحواجب
ثم قضيا لي بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقني عن مطالبي

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصنوبري)

ذات خد يكاد يدميه وهم * من مشير بالجد أو بالمزاح
في بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

(محمد بن ياقوت)

مالي بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لي
حمرة خديه من دمي صبغت * ويدعي انها من الخجل

(علاء الدين المدني)

ياحسن ورد طفا في ماء وجنته * فزاد أهل الهوى في حبه شغفا
وراح يجني ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر)

وأغيد تدمي وجنتاه من اللمح * تخلق الامن صدودي بالشح
غدا قاتلي ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعيني * حين يزداد ديناري احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظي * في لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى)

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم)

فتنت بتركي جاني عشاقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
اراني كلما رمت لثمه * تخيل لي من سحرها انها تسعى

(عز الدين الموصلي)

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردي)

قال من أهواه صف صدغي بما * فيه توجيه وجيه الى

فخرج من بعض الاخبية شيخ فوقف عليهما وقال والله لئن كنت لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين فدفنهما في قبر واحد

(ومنهم شهيد) قال ذو النون المصري فيما ذكره عبد الله محمد بن جعفر القنطري في اماليه بينا انا في ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر فاذا هي ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وبياض النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك الله العلي القهار ثم أنشأت تقول

يامؤنس الابرار في خلواتهم * ياخير من حطت به النزال
من ذاق حبك لايزال متيما * فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هي ميتة فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا انا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها

قلت ان الصدغ لام قد كوى * نصبها قلبي فهذى لام كى

(برهان الدين القيراطي)

عنقود صدغ الذى اهواه تيمني * وقال لى ريقه لما رأى وصبي
ان كان فى الصدغ عنقود فتنت به * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

(وقال آخر)

وبين الخد والشفتين خال * كزنجى اتى روضا صباحا
تحير فى الرياض فليس يدرى * ايجنى الورد ام يجنى الاقاحا

(الصلاح الصفدي)

بروضة خده الحمراء أضحت * عليه شامة شرط المحبة
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحى فاتر الالحاظ ألمى * ملى الحسن حالى الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمساني)

ادنته لى سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
ماراعنى الابلال الخال من * خديه فى صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الحجبي)

وعذولى لج فى عذلى اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلى * لتفارقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحى افدى خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدي)

افدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردي)

لحبيبي شامة فى خده * لا علا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت فى خده انسانها

فغنينها حتى فضلتها ثم أقبلن بها الى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها ودفن خلفي ثم احتملتها ومضين

(ومنهم شهيد)

عن حماد المراكبي فيما ذكره المعاقبي فى كتاب الاندلس قال وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها وأعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وأنشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وأنشأ متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هي تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتني
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها وأصلح لها كل ما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح من حالها ما أمر به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وأنشأت وهى تجود بنفسها

(وقال

(وقال آخر)

ياسالبا قمر السماء جماله * البستنى فى الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبى فارتقى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(ابن تميم)

رأيت حبة قلبى حين لاح لها * محبوبها انفرت من حر أفكارى
ثم استجارت بخد منه فهى به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم)

له على حاجبه شامة * تنزهت فى الحسن عن عائب
مثل طواشى زاد فى حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غـدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسى الخدود قد استوى
وأرسل فى الاصداغ رسلا اعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر)

يريك بوجنتيه الورد غضا * ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا فى الزوايا

(وقال آخر)

أبو طالب فى كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهـل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر)

اهيب الخد حين رآه طرفى * هوى قلبى عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

(القيراطى)

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيها غلط

(وقال آخر)

ومهفهف يحمى ورود رضابه * بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية * فى خده سطرا من الريحان

(أبو عاب)

ن الزمان سقانا من مرارته * بعد الحلاوة انفاسا وارداننا ابدى لنا تارة منه فاضحكنا * ثم انثنى تارة اخرى فابكانا
الى الله فيما لايزال لنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا دنيا نراها تريناه من تصرفها ٨٥ مالايدوم مصافاة واحزانا
ونحن فيها كانا لانزايلها
للعيش احياؤنا يكون موتانا

(ومنهم شهيدان)

ذكر أبو الحسن القارى ان على ابن صالح ذكر له ان جارية من جوارى القيان عند أهل البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكلف به وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكره مراسلتها فحضر يوما عند بعض أهل البصرة وكانت عنده قال فلما طاب عيشنا فى يومنا لم التفت اليها فاطرقت هى أيضا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت أهل المجلس والقت المنديل فاخذه فاذا فيه

لعل الذى ابلى بحبك يافتى
يردك لى يوما الى أحسن العهد

قال على فما هو الا ان قرأت الشعر حتى وجدت فى قلبى من أمرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم أزل أعمل الحيلة فى ابتياعها من حيث لاتشعر فتيسر ذلك حتى ملكتها فلم أوثر عليها احدا من حرمى ولا أهلى ولم يبق عندى شئ يعدلها فتوفيت فانا لاعيش لى ولا سرور بعدها والله مالبث بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات أسفا عليها وكذا ادفن الى جانبها (ومما يحسن هنا)

فقى أخبرك ماصنع الغرام * عشية قوضت تلك الخيام سروا والليل فى ثوبى حداد * وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور * كواملل لايفارقها التمام وفى الاحداج ذولعس لماه * لنا كأس وريقته مدام

ساصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء فليقص الدليل كما اقضى
الا انه كاللام واللام شانها * اذا اتصلت بالاسم صار الى الخفض

(البدر الدماميني)

تحدث ليل عارضه بانى * ساسلوه و ينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار

(سيدى أبو الفضل بن وفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حمى حما

(ابن النبيه)

جنت بمنظره البديع عيوننا * فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فحجبت الجنات في النيران

(تاج الدين اليماني)

يحلت لواحظ من رآني مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام

(الصلاح الصفدي)

عذاره والطرف يا قاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(الطنبغا الجاولي)

عذاره والطرف قد ظهرا * جميع الذى فيهما يرمز
وأى بيان الهوى عنهما * وهذا ينم وذا يغمز

(وله أيضا)

سل قال عما قد بدا في خده * أحسبته شعرا به ما انصفا
عذال الشعر رام شهد تر يقه * فرأى تلهب خده فتوقفا

(محمد بن الرعاد)

أعد نظر اقاني الخد منت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

(عز الدين الموصلي)

لقد كنت لي رشدى و وجهك جنتي * وكم كانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خديك عارض * وراحني في ورد ريقك شارب

(ابن نباتة)

واحر بامن هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل

ربى وقلوبنا الاغراض فانظر * بعينك هل يطيش له سهام
ذكر المرزباني عن أبي (ومنهم شهدان)*
الحسن على بن الحسين الصوفي المعروف بر باح قال حدثني بعض اصدقائي انه دخل بمارستان ببغداد فرأى
شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد أحسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال على فمضيت وجئته بذلك و جلست مقابله حتى أكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا أظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان ييسرها قال تمضى الى نهر الدجاج الى درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغفلة فاطرق وقل ان فلانا قال لى
سر للحبيب وقل له
محبوبكم من أجله
قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت
ارجع اليه وقل له
عليلكم من اجله
فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت الى القوم فاخبرتهم فماتت فوجدت امرأة في الدار وقد ماتت المرأة
[illegible]
فذكر الاصمعي انه رأى بالبادية
رجلا قد ذهب لحمه ونحل جسمه و [illegible] جلده فتعجبت منه ودنوت منه لاسأله عن حاله فقالوا انه كره
[illegible] عاشق ... [illegible] المحبة فانه من المذهب

مذاره

عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)

سال العذار بخده فاذا الـ * ـمبيض في خديه مسود
ولسان حال الخد ينشدنا * هل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)

ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر * أولاح فالبدر بالانواء محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش * وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت)

ياوجنة من تحت أصداغها * لانفس العشاق كم تجذب
وهاجة كاد سنا برقها * يذهب بالابصار لم يحجب
أهل المجسطي لو رأوها قضوا * بشرف المريخ في العقرب

(وقلت)

ياعجبا للخال في خدها * كيوان بالمريخ يستمسك
نحسان دلا في اقتران على * ان دم الصب هنا يسفك
يامطلب طلسمه مانع * هل مطلب الاله مهلك

(وقلت)

سألتها عن بياض * في وجنتيها وحمره
اذا طريق اجتماع * قالت وراية نصره

(وقلت في العذار)

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب * الى انه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهما * غدا مصلحا للورد اذ فيه كافور

(ولبعضهم)

ولا تحسبن الخال في الشفة التي * يتيه بها المحبوب نقصا ولا خللا
ولكنه ختم على مابثغره * من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فيما كها في الخد واقنع بها * ماقارب الشيء له حكمه

(وقال آخر)

ومورد لي بقبلة * ارشفها من مبسمه
سوف بي ولم يزل * يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم أنشأ يقول

اخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكي فيطربني البكا وتارة * يأبى فيأتي من احب أسيرا

فاذا اتى سجع بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت له أخبرني عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت ضعيف

الا ما المليحة لا تعود * أبخل ذا بها ام صدود
فلو كنت المريضة كنت أسعى * اليك ولم ينهني الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك وسترتهما بثوبي خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جملة ابنة عمه قال الاصمعي فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن علي الابنوسي في اخباره

(ومنهم شهيدات)*

ذكر ابن دريد عن الرقاشي قال قال عسكر بن ابجح الاسدي كان لي صديق من الحي وكان شابا جميلا يعشق بنت عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتيني فيشكو شوقه اليّ فما لبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم يخرج اليّ مسرورا الى ان برئ عمه فقال

أبكي من الخوف ان يبرا فيحجبها * ولست أبكي على عمي من الفزع
[illegible] مات عمي ولا عري من الوجع * وعش ما عاش في اليأس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها أبوها فجاء الفتى فودعني وقال هذا وداع لا تلاقي بعده ابدا فقد [illegible] فاشتد الجزع وقد مال [illegible]

ذكرت ريق حبيبي * بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(جمال الدين بن نباته)

وأغيد في فيه المدام ولحظه * وفي ورق اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر)

نقل الاراك النبات بريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهري

(الصلاح الصفدي)

يا ثغره ليس الثنايا التي * تضيء غير الانجم الغر
فليقل المسواك ما عنده * فهو عن الضحاك والزهري

(ابن قلاقس)

جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

(وقال آخر)

خد وثغر جل رب * بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروى * وذاك يروى عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

يروى من ولي قولي بمهجتي * و ولي مناي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عني بسيف لحاظه * وحتام يحمي ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدي)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(ابراهيم بن المعمار)

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

احبيته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورثاه
وثغره الصادي من حسنه * يحار في تشبيهه الطائي

(يوسف بن مسعود)

راى ثغر من أهوى عذولي ذلامني * ولم يدر ان اللوم في حبه يغري

فقلت وأين تذهب فقال اذهب ما وجدت ارضا ونمض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه وليطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه ٨٨ *(ومنهم قتيلان)* ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسي كان جالسا مع ندمائه وقد أخذ الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع
اشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا
منك على رأسي فما أصنع

قال وعلى رأس محمد غلام على أحسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا

(ومنهم شهيد)

قال محمد بن بشر الانصاري رأيت صدقات بني عذرة فبينما انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت مابك فقال

كان قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفياني

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة ابن حزام العذري

(ومنهم شهيد)

يروى ان الحكم بن عمر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى شغلت

تعز بصبر لا وجدك لا ترى * بشام الحمى اخرى الليالي الغوابر كان فؤادي من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

شغلت بها وارتبطت بحسنه * واحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجى)

له ثغر للحبيب تجمعت * فى ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وختامه المسك الذى * هو فيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدى)

قد شبه الخل على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
بسبحة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك

(ابن ريان)

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التمام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد)

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * اشفى بها من كبدى حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجرة

(الحريرى)

نفسى الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين)

ياغزالا ارى الغواية رشدا * فى هواه واحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفتر عن نجوم الثريا

(ابن سنا الملك)

له فم يمنعه ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم
ما فيه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم

(وقال آخر)

كأن على انيابها الخمر مجه * بماء الندى فى آخر الليل غابق
وما ذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم من اعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس)

لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق

فوقفت وقال على بالرجل فجىء به فقال ويحك من أنت قال أنا رجل من أهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحى فقال مالى الى ذلك سبيل ولى بتلك البلاد أهل وولد قال انى أحملك الى أهلك وولدك فقال لا حاجة لى فى هذا قال ليس من ذلك بد وأمر به ان يحمل فاضطرب فى أيديهم حتى مات

(ومنهم شهيد)

عن الاصمعى قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركنى الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول من القبر

أنعم الله بالحبايبن قبرا
وبعمر الذيا سعادا لينا
وحشة مالقيت من خلل القبر
عسى ان نزالك أوان تربنا

قال فأرقت ليلتى فلما أصبحت دخلت الحى واذا بجنازة قد اقبلت فسألت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها فتعاقدا على الوفا فلم تزل باكية بعد ان مات وها هى قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من ذلك

(ومنهم شهيد)

حكى الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بنى نهشل فخرجت فى طلبه اريد اليمامة فلما صرت على ماء لبنى حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسألتهم القرى فاجابوا فاناخت ناقتى تحت بيت لهم من جريد النخل وفى البيت جويرية سوداء فخرجت جارية كأنها القمر فسألت الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت الى وقالت لضيفكم فعدلت الى وسلمت

وان كان من اقحوان النبات * فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر)

ثغر كلمع البرق حسن بريقه * يشفي فؤاد المستهام بريقه

قد بت الثمه وارتشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر)

بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب

كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بأنه رب

والعين لا تعبأ بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب

(ابو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)

واسقطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وساذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بني عليه الحريري المقامة الحلوانية فهو

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح

(الحريري)

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

واقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

(وقلت)

أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا قيما غير ذي عوج

يرى ثغرها خصرا على ذي حرارة * لان به شهد امع الخمرة امتزج

أغرك أن الخمر في مزجها * بشهد أتت بالحرف رابع الدرج

اما اعتمدت اذ جاورت برد ابه * تنضد والجريال في ذلك الفلج

وهبك جهلت الطبع ماذا تقول في * عقيق وياقوت ما فيه قد نهج

وبينهما خلف طويل مفصل * بكتب ارسطو والذي قبله درج

(وقلت)

أرى ريقها عند الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد

عليك به فهو الحياة لشارب * وان جاوز القانون فيه أو اقتصد

فهذي اشارات كنت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتقد

(وقلت)

عجبت من المسواك يرشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع

ويبقى جمادا كيف لم يحي بالحيا * وتفنى الليالي وهو اخضر يانع

وقالت ممن الرجل قلت من بني نهشل قالت فأنتم الذي يقول فيكم الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول قال نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول اخزى الذي سمك السماء مجاشعا * واحل بيتك بالحضيض الاوهد قال فاعجبتني فلما رأت ذلك في وجهي قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها اهل المروءة والكرامه

الا فسقى الاله سحاب غيث * يجود بسحه بلد اليمامه

وحيا بالسلام ابا نجيد * واهلا للتحية والسلامه

قال فانست بها وقلت اذات خدر ام ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * لكا لقمر المنير المستنير

ومالي في التبعل من مراد * ولو ردّ التبعل لي اسيري

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشأت تقول

تخيل لي ابا عمرو بن كعب * كانك قد حملت الى السرير

فان تك هكذا ابا عمرو انى * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسالت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه قد دخل اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية أعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته أو أخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة رضاب

رضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت أوصاله والاضالع
فقال خشيت الهجر منها فعاقنى * فحسبك عذر فى جوابى قاطع
بنفسى ثغر قلت اذ لاح نوره * أبرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع

وقد أكثروا من هذا النمط أعنى التشبيب بالوجه واعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر فى عضو بعينه أما فى ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا وأما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من ان أول من وصف الثدى عمرو بن كلثوم

وثدى مثل حق العاج رخص * حصان عن أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الامر ان المتأخرين الطف فى وصفهم الجيد فى ضمن غيره قول بعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فاقبلت * ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبى فيها ملاحة * هى السحر أو ادهى التباسا وأعلق

(دعبل)

اتاحك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فاولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومى)

صدور فوقهن حقاق عاج * وحلى زاى حسن اتساق
يقول الناظرون اذا رأوها * اهذا الحلى من هذا الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يعدوهن عيب * سوى منع المحب عن العناق

(المهلبى)

أقاتلتى بفتور الجفون * ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة * برأسيهما نقطتا عنبر

(الرفاء)

ومن وراء سجوف الحى شمس ضحى * تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدودة حفظت ايدى الشباب لها * حقين دون مجال العقد من عاج

(الثعالبى)

قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقده عطرى
كأنه والعيون ترمقه * عمود صبح فى دارة القمر

(وقال بعضهم)

فقد الالف وتحقق اليأس بغمران القلب وهلة واحدة فتضيق عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادهمه فيفيض الدم وتذهب الروح وأما هذه فلاطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الاعمار دعليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذى للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفئ

(ومنهم شهيد)

قال فى منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من أخبار المتأخرين فى تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوى انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه وأخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فيه بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشأنه فمن قوله فيه

هذا خيالك فى الجفون يلوح
لو كان فى الجسم المعذب روح
ياسائلا عما كابدت فى الهوى
هل يشتفى من قلبى التبريح
غادرتنى غرض الردى وتركتنى
لا عضو لى الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك فى دمى
لو بلغت جسمى الردى فتريح
لو عاينت عيناك قذفى من فى
كبدى ودمعى مع دمى مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا
وعلمت انى من فى مذبوح
قل للذى علقت منه منيتى
أأباح قتلى يا ظلوم مبيح
كبدى على صدرى بحرت والى متى
اغدو وأعزب فى الهوى وأروح

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق فى العاقبة مما ابتلى الله به الهادى من المحبة وعاقبه به أن كان مغرما بجارية له تسمى

غادرا وكانت أحسن الناس وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين ٩٢ فقال وقع فى فكرى انى اموت وان أخى هرون يلى الخلافة و يتزوج غادرا فامضوا فأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به انى اذا مت لا تتزوج غادرا فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولى هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التى حلفنا بها فقال قد كفرت عنى وعنك ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أحسن من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هى فى بعض الليالى فى حجره اذ انتبهت فزعة مذعورة فقال لها مالك فدتك روحى فقالت رأيت أخاك الهادى فى المنام وأنشدنى

أخلفت وعدى بعدما
جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى
ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى
صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد
ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصباح
وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين وان

كأن الثدايا اذا ما بدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هانى)

بأبى غادة تميس بقد * تتثنى فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قدى قد اغر الرمانا

(وقلت)

اذاب لهيب الخد منها بناره * بلينا فنه صبغ منبسط الصدر
وذلك برأى العين اما بلامس * فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم فى الارداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبى

قام فكادت لين اعطافه * تقصها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل)

وأهيف القد بت اشكو * له تلافى وما تلافى
فمال عطفا ورق خصرا * وانما ردفه تجافى

(آخر)

يا خصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس)

كسلت ارداف حبى * فدموعى تتوالى
أيها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدى)

أقول له قد رق عيشى والصبا * وعقلى وكاساتى وصوت الذى غنى
وقال الذى أهواه خصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا * يسبى الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى الطويل العريض

(ابن سنا الملك)

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

(ابن الوردى)

اذا قيل ما ردفى وشعرى أجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت فى تلك الساعة فلا تسأل عن حال هروث ومالقى بعدها *(ومنهم قتيل)* أخبرنا الشيخ
الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاى بسنده عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجى الطيبي الاديب قال

وان قيل هل ترعى عذارى مورديا * أقول له اى والذى أخرج المرعى

(الصلاح الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره فى ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عنى غمه
ضربت ثوب فتاة * أظهرت تبها رحشمه
فرأيت البطن والسرة * والخصر وعمه

(الباخرزى فيما يكتب على التكه)

لم لا أتيه ومضجعى * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانى * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

(بشار)

نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى
سترت لما رأتنى * دونه بالراحتين
فضلت منه فضول * تحت طى العكنتين
ليتنى كنت عليه * ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدى دخل على بعض جواريه وهى مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنهما فانشد نظرت فى القصر عينى وأرتج عليه فاستدعى بشارا فقال له أجز وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم ار فى العالمين * نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت الترا * ب كان ترابك للناس طيبا

(أبو الحسين الجزار)

وكم ليلة استغفر الله بتها * بنجد ونغر بين ورد وجريال
سرت راحتى غورا ونجدا الى الضحى * وماذا الا فى خصور واكفال

(الصفى الحلى)

* اذا انثنت بأعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكشان ممطور
رأيت أمواج ارداف اذا التطمت * فى لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر)

واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود

كنت اختلف فى النحو الى محمد بن الخطاب فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم بن سعيد الاسلى قاضى قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد ابن كليب كان من أهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول مستترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت فى المحافل فلعهدى بعرس فى بعض شوارع قرطبة والزامر يغنى بقول احمد ابن كليب

اسلمنى فى هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشى * على الوصل روحى ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهاره فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل فى بعض الليالى ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا فيه بيض وتعين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاى تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت

وعوجت كثب الروا * دف تحت أغصان القدود
شاهدت فى ايدى الظبا * ءقياد اعناق الاسود

(ابن نباته)

سألت النقا والبان ان يحكيالنا * روادفا واعطافا من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

(الصلاح الصفدى)

اقول وقد نامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام رقيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * لى وان لم آته لحبيب *

(ابن ابى حجلة)

مالت كغصن مع لارواح مياس * مصرية الحلى تبدو لى بعقياس
ماجئ ليلى وأمسى حليها قلقا * الاوثار بها جسى ووسواسى
ولابد اردفها الراسى اذا قعدت * الاوبات يدى منه على راسى

شمس الدين بن جابر النحوى وهو الشهير بالاعمى والبصير فى شرح الالفية يعنى باعتبار البصر فى الاول والبصيرة فى الثانى وبالعميان فى البديعية يعنى انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم يتطموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم اظفر بمن يشفى العلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذى هو ذايل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عادل

(وله أيضا)

سبب خفيف خصرها وورا * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الالان الحسن فيها وافر

(وله أيضا)

ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها من بين ذاك وبين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد

(وله أيضا)

تمليق ردفك بالخصر الخفيف به * ثلث الجمال وقد وقته اجفان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان

فقال اخبرك فى الضيعة الفلانية فأمر اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتأمله فعرفه فقال له يا اخى بلغت بنفسك الى ههنا تبعق أما كفاك انقطاعى عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على بابى نهارا حتى انقطعت عن جميع مالى فيه راحة وقد صرت كأنى فى سجن والله لافارقت بعد هذه الليلة قعر منزلى ولا جلست بعدها على بابى ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا لاحمد وخسرت دجاجتك وقفصك قال هات كل ليلة قبلة فى يده وأخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد بن الحسين فاخبرنى شيخنا ابو عبد الله محمد بن الخطاب انه عاده قال فوجدته باسوأ حال فقلت له الا تتداوى فقال دوائى معروف واما الاطباء فلا حيلة لهم فى البتة فقلت له ما دواؤك قال نظرة من اسلم فلو سعيت فى ان يزورنى لاعظم الله اجرك بفعلك وكان هو والله يؤجر قال فرحمته وتقطعت نفسى له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فاذن لى وتلقانى بما احب فقلت له لى اليك حاجة فقال وما هى قلت قد تعلم ما جمعك مع احمد بن كليب من ذمام الطلب عندى فقال نعم ولكن قد عرفت انه برح بى وشهر اسمى وآذانى فقلت كل هذا مغتفر فى مثل هذه الحال التى هو فيها والرجل يموت فتفضل بعيادته فقال والله ما اقدر على ذلك فلا تكلفنى هذا فقلت له لابد من ذلك فليس عليك فى ذلك شئ اقسمت

أقسمت بالمصحف السامي وأحرفه * ما مرّ بالبال يوماً عنك سلوان
ولا غبار على حبي فعندك لي * حساب شوق له في القلب ديوان

(وله أيضا)

وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمع في نظرة أرددها
فاعرضت والظباء تغبطها * في حسن اعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها

(وله أيضا)

رقم الخال خدها فأتاه * قرأ الأفق فيه نقطة ليل
قلت ابن الكثيب والغصن قالت * كلما قد ذكرته تحت ذيلي

(وله أيضا)

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر بان في الكثيب الاميد
فالحظها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

(وله أيضا)

أقبلت في لازوردي على * ناعم أبيض لدن معجب
والحلي والوجه والثغر وما * لبست والعطف والردف حبي
أنجما حفت ببدر في دجى * في سماء فوق بان الكثب

(ابن نباته)

أفدي التي تشتكي في مشيها ولها * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

(الشهاب الحجازي)

قصدت رؤية خصر مذ جمعت به * فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وأنا * مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

(وقلت)

ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من رفعة اللطافه
ما خصرها قد علا المقاعد * سواه في الظرف والترافه
ودونه الردف حط وصفا * مذ كان في غاية الكثافه

(وقلت)

قد غرت من عشاقها * وتركهم الغزل
في خصرها وشببوا * بردفها والكفل
قلت الى كم تلهجوا * بسافل لا بد لي

(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لا تحصى وغزيرة

وانما هي عيادة مريض قال فلم ازل به حتى اجاب فقلت فقم الآن فقال والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال نعم قال فانصرفت الى أحمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني على خطة صعبة علي وما ادري كيف اطيق ذلك قال فقلت له لابد ان توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض معي راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن في آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال لي يا سيدي الساعة والله اموت ولا اقدر انقل قدمي ولا استطيع اعرض هذا على لساني قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وتخرق الرداء وبقيت منه قطعة في يدي لشدة امساكي به ومضى ولم ادركه فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وقد كان غلامه دخل اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشرا قال فلما رآني تغير وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه اكثر من الترجيع فاستشنعت الحال وجعلت اترجع وقمت فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع مني واحفظ عني ثم انشأ يقول

اسلم يا راحة العليل
رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادي
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لي قد كان قال فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى

لاتستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فخب غرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال آخر)

لو كان مالك عالما بذوى الهوى * ومحله من اضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق

(المظفر الآمدي)

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(ابن الوردي)

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
ياليالي الوصل عودي * واجمعينا أجمعينا

(ابن نباته)

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبما عهدنا من تعاهد طولها
املت على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها

(الصفي الحلي)

لا غرو أن يصلى الفؤاد بحبكم * نار توججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم بصور شخصكم * فيه وكل مصور في النار

(وقال آخر)

صلوا مدنفا فقد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يجب ضرامها * ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

(الارجاني)

تمتعتما يا مقلتي بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(الملك الصالح داود)

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا ابصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

(ابن اسرائيل)

وقلت شهودي في هواك كثيرة * وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بني خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابي عبد الله محمد بن سعد الخولاني الكاتب قال فعرفها وقال لقد أخبرني ثقة انه رأى اسلم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشي في طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

(ومنهم قتيل)

حدث الخالدي في كتاب الزيارات باسناد عن أبي بكر احمد بن محمد الصنوبري قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان في دكانه مجلس كل اديب وقد كان احسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مضر وكان لتاجر بالرها نصراني من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبي في الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه

(القيراطي)

لما حدا بالركب حاديهم * وأسمع الداني والقاصي

أطاعني دمع يجري نهره * فدمعي الطائع كالعاصي

(لؤلؤ)

وأرقني خيال من حبيب * تناءت داره لما أتاني

فمن سهري يلم فلا أراه * ومن سقمي يطوف فلا يراني

(وقال آخر)

قد كان لي فيما مضى خاتم * فرق جسمي فتمنطقت به

وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتصالى ريقه وهو بارد

وكم يدعي صونا وهذي جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا)

اذا مارمت حل البند فالت * معاطفه حنانا لا يحل

وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وزنل

(وقال آخر)

قال لي أهيف المعاطف صف لي * هيفي قلت يارشيق القوام

لك قد لولا جوارح لحظيك لاغتدت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة)

مهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر

فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر

فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذا كا

وأطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثل ماتهوا كا

(ابن المستوفي)

رأت قمر السماء فأذكرتني * ليالي وصلنا بالرقتين

كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

(ابن نباتة)

علقتها هيفاء حالية الطلى * تجني على طرف المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي
وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي
فان ذلك لي برء من السقم
ترى العوالم لا تدري بأن كافي
وأنت أشهر الصبيان من علم

ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرها فلما كبر وشارف الاحتلام أحب الرهبنة وخاطب أباه وأمه في ذلك وألح عليهما حتى أجاباه وخرجا به الى دير زكي بنواحي الرقة وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فأقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فأغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام ويعتذر في خلال ذلك بعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه ان يدخله القلايته

(الدمياطي)

وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هي أعرضت
تصاممت لما ان سمعت كلامها * لتشفى قلبا بالاعادة أمرضت

(الوداعى)

قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسلت محتاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشق فقد سلمت علينا الغزاله

(ياقوت)

وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر)

تجلى محياها فخافت رقيبها * فأرخت عليه من ذوائبها سجفا
محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومى)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه ان نظرت وان هى اقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك فى الظلم
تبسمت فاضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

(ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(الارجانى)

وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى
تبسم عن درّ نظم مثله * فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

(وقال آخر)

نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم انى أحبها * فأثر ذاك الوهم فى وجناتها

(ابن مكانس)

علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى ويا جسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

(أمين الدين السليمانى)

وتوعدوه باخراجه من الديران
ادخله اليه فاجابهم الى ما آلوه
فلما رأى سعيد امتناعه منه شق
عليه وخضع للرهبان ورقق لهم
القول فلم يجيبوه وقالوا علينا فى
هذا اثم وعار ونخاف السلطان
فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب
فى وجهه ومنعوه من دخوله اليه
ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد
وجده وزاد عشقه حتى صار الى
الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى
داره فضرب جميع ما فيها بالنار
ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم
ويعمل الاشعار قال ابو بكر
الصنوبرى ثم عبرت انا والمعوج
الشامى ببستان فنافيه فرأيناه
جالسا فى ظل الدير وهو عريان
وتغيرت خلقته فسلمنا عليه
وعذلناه وعنفناه فقال دعانى من
هذا الوسواس اترايان ذلك الطائر

اضيف

أضيف الدجى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

(ابن الوردى)

ردفها والخصر منها * جل من ربي ودق
نهدها يطفي لهيبي * فهو رمان محقق

(أبو الحسين الجزار)

تكامل بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العذار * فأجرى دموعي لما وقف

(وله ايضا)

حمت خدها والثغر عن هائم شج * له أمل في مورد ومورد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

(ابن النقيب)

يا مالكي ولديك ذلى شافعي * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوخدك النعمان ان يليق * وشكايتي من جفنك الغزالى

(شيخ الشيوخ بحماة)

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملني بما يحيي سلوى * ولكن ليس في جوفى مراره

(وله أيضا)

حروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض أفعال أسماء

(وله أيضا)

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال في القلب والطرف
يلوح لعيني ما نقانون صدغه * فأعبد خلاقى على ذلك الحرف

(وله أيضا)

قالت وقد عقرب صدغاله * عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدست يارب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب

(وله أيضا)

سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق في الجرلى والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه * فكم له في دبيب النمل من قصص

(وله ايضا)

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وادامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

الذى على هيكل الدير واومأ بيده
الى طائر هناك فقلنا نعم فقال
وحقكما يا اخوانى انا انا شده منذ
الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى
عيسى ثم التفت الى وقال يا صنوبرى
هل معك الواحك قلت نعم قال
اكتب
بدينك يا حمامة دير زكى
وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما
الى قمر على غصن رطيب
وقولى سيدك المسكين يشكو
لهيب جوى احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انا مت فاكتب حول قبرى
محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش
فكيف بمن له مائتا رقيب
ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير

(مجير الدين الدمشقي)

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا)

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
انزلتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ابسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولوان قسا واصف منك وجنة * لا عجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا)

وافي بوجه كالهلال مركب * في قامة غصنية هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله ايضا)

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسي

(وله ايضا)

بأبي شادنا غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكو مع الاوراق

(وله ايضا)

لولم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابو لهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه وما زال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان امير البلد العباس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وباهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لا بد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها الزيارة اهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخول المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادري ما كان منه

مسكية الانفاس على الصبا * عنها حديثا ناقط لم يعلل
جنت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

(وله ايضا)

وشادن اوردنى هجره * ابهب حر الشوق والفرقه
اصبحت حوان الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعى)

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

(وله ايضا)

ألحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

(وله ايضا)

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

(وله ايضا)

فديت من مبسمه * زهر اغصن قده
فصدغه مطوق * فى روضة من خده

(وله ايضا)

وذى دلال اهيف احور * اصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاسانه * وقال ساق قات فى وسطى

(ابن نباتة)

بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على الاثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله ايضا)

وضعت سلاح الصبر عنه فاله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتى فليتق الله سائله

(وله أيضا)

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

(وله أيضا)

بروحى معسول اللمى مهجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * اتانا رقيب يتبع المن بالاذى

(وله أيضا)

يابى نائم على الطرق راحت * فى هواه وليس يعلم روحى

(ومنهم مدرك)
قال ياقوت فى تاريخه كان مدرك ابن على الشيبانى شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيي وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا وكان مدرك بن على يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لا غير فان حضر شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم فى حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة

فانم فى الكرى فاسكريا * ياله من مسكر مفتوح

(وله أيضا)

ومن الشقا ان الجفا وتشوّقى * لا ينتهى هذا وذاك الى الطرف

ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولا دينار وجنته انصرف

(الصلاح الصفدى)

وظبى معانيه بيان بديعها * لها حار فكرى اذ رأى كل معجز

قرأت مقامات الحريرى كلها * على خده مشروحة للمطرزى

(وله أيضا)

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده

فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

(ابن الوردى)

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان

برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمان

(وله أيضا)

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت

جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

(وله أيضا)

أنحلتنى حبيبة * أنحل الله خصرها

كسرتنى جفونها * ضاعف الله كسرها

(وله أيضا)

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج

تغدوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

(وله أيضا)

تقويم ثغرك صح يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم

انى لابكى من جفاك ولى أب * والثغر يضحك منك وهو يتيم

(وله أيضا)

وعدت امس بان تزور فلم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا

لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

(ابن الصائغ)

يا مليحا رووا التاعنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا

طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تطيب فى الدهر معنى

وطرحها فى حجره فقرأها فاذا فيها
مجالس العلم التى
بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة
غرقت بفيض دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها
قال فقرأ الابيات ووقف عليها
من كان فى المجلس وقرؤها
فاستحيا عمرو وانقطع عن
الحضور وغلب الامر على مدرك
فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل
يتبع عمرا حيث شاء وقال فيه
شعرا كثيرا قال الحريرى وقد
رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية
ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة
المزدوجة الغريبة العجيبة

(ابن مكانس)

بأبي عفيفة مرشف * برت وكانت قبل عفت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

(وقال والده)

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم منى
فقالوا لنا غوصوا على دره وما * يحاكي اذا ما اهتززنا لهم غصنا

(وله أيضا)

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عمن * بيومك رحت ثم تجور بأمسك

(وله أيضا)

يا لائمي اذ فقدت الصبر في قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
نبت سيوف اصطباري عنه حين بدا * آس العوارض في وجناته ونبت

(سيدي ابو الفضل بن وفاء)

ما خادم واسمه في درمبسمه * الا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التي انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول

(البدر الدماميني)

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده * فما انا بالسالي صفاها ولونها

(وله ايضا)

تناسبت اوصاف من وصله * ينفي عن القلب جميع الكرب
في الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله ايضا)

لاما عذاريك هما اوقعا * قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به * فقبلك قد هام بلامين

(وله ايضا)

قلت لعطار به صبوتي * محمودة والصبر لا يستطابه
اسقيتني كاس غرام به * ذبت وما احسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق في * قمر باد سناه
اسف منه مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

(وله ايضا)

المشهورة وهي
من عاشق ناء هواه دانى
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما اجادت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك

رسول أتى من احب فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

(وله أيضا)

ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت اعد وصالى قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا)

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله أيضا)

وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملالى

(وله أيضا)

تجرد من أحب فقال لى من * يلوم وأظهر الحسد المكتم
اجادك الحبيب بلثم جسم * لكالخزقلت نعم وأنعم

(التلعفرى من قصيدة)

رشأ عهده وجفناه والخصر * وجسمى كلا أراه عليلا
أشبهته البدو رنورا ولكن * ماحكته لونا وخصرا نحيلا
قرحا عل من القلب والطر * ف له فى سودها كحيلا
كلما ضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى فترة الجفـ * ن لانذار عاشقيه رسولا

(وله أيضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج أم خد
نقا بردفى فيك هذا منضد * أبين لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج اطيفان ركبا * بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
وغصان اذ وليت أم كفل يرى * وكثبان رمل فى الغلائل أم قد
وانك لو عاينت مابى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك أم وجد
اذا ما أتى من نحو ارضك مخبر * تضوع من ارجائه المسك والند

لطفتها نار الهوى وتذكى
كأنها قطر السماء تحكى

الى غزال من بنى النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى

ريم بدا بالروم رام قتلى
بمقلة كلا الامن كحل
وطرة بها استطار عقلى
وحسن وجه وقبيح فعل

ريم به أى هزبر يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل هاتالت الالحاظ قد
كأنها ناسوته حين اتحد

ما أبصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا

وقفت فاضجرت الرسول مسائلا * وأنشدته بيتاله المثل الفرد
وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني * شجونا فزدني من حديثك يا سعد

(وله من قصيدة سلف صدرها في الغيرة)

خذوا بدمي ذات الوشاح فانني * رأيت بعيني في أناملها دمي
ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتي بمأتمي
وقولوا لها يا منية النفس انني * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمي
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وابدت في الحشى حرق الجوى * مقالة من في القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته * فلاتك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك نائيا * وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي وهذا الاثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم
منعمة الاعطاف يجري وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كأن الدر فيه منظم

(وله أيضا من قصيدة طويلة)

قالت على يدها مالم تنله يدي * نقش على معصم اوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في أناملها * او روضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ما طلعت * من بعد رؤيتها يوما على أحد
سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سالت عني فقيل لها * ما فيه من رمق دقت يدا بيد
واستطرت البيت السابق في الثغر (البهاء زهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت تم جميل
ودنا فيا للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل
اهوى أما خصره فمخفف * طاو وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا * أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثني والثنايا لم يزل * لي منهما العسال والمعسول

أحسن من عمر وقد ديت عمرا
ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بقده مقدود
والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود
لولم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام
فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام
وجاز في الدين له الحرام
ياليتني كنت له صليبا
اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا
لا واشيا اخشى ولا رقيبا
ياليتني كنت له قربانا
الثم منه الثغر والبنانا
اوجاثليقا كنت اومطرانا
كيما يرى الطاعة لي ايمانا

أحبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبرى لقليل
ايخاف قلبي غدركم مع انه * جار اقام لديكم ونزيل
فأصدق حتى لا يقال متيم * وأزور حتى لا يقال ملول

(وله أيضا)

رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى * وسلم من لم يسخ لى بسلامه
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى * ولم آلُ يوما ناقضا لذمامه
وانى على صبرى على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفى لحظه فى خياله * ويشتاق سمعى لفظه فى كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا * بكائى وشكوى حالتى بابتسامه
فـارق من شكواى غير خدوده * ولا لان من نجواى غير قوامه

(وله أيضا)

كأسى والمدام فى فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله علىّ وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

(وله أيضا)

يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * والعقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح فى قناع * والغصن يميس فى غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس فى الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف * والانس بمن احب كامل
مولاى يحق لى بانى * عن مثلك فى الهوى اقاتل
لى فيك وقد علمت عشق * لا يفهم سره الا وائل
فى حبك قد بذلت روحى * ان كنت لما بذلت قابل
لى عندك حاجة فقل لى * هل انت اذا سئلت باذل

يا ليتنى كنت لعمرو مصحفا
يقرأ منى كل يوم أحرفا
او قلما يكتب بى ما ألفا
من أدب مستحسن قد صنفا
يا ليتنى كنت لعمرو عوده
او حلة يلبسها مقدوده
او بركة باسمه معدوده
او بيعة فى داره مشهوده
يا ليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
واكبدى من خده المضرج
واكبدى من ثغره المفلج
لانى مثل الطرف منه الادعج
اذهب للنسك وللتحرج
اليك أشكو يا غزال الانس
ما بى من الوحشة بعد الانس

فى وجهك للرضا دليل * ماتكذب هذه المخايل
ماأطلب فى الهوى شفيعا * لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعرى * هل يحصل لى رضاه قابل
ها عبدك واقف ذليل * بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هو النمازج روحى قبل تكوينى * وانت ظلما بنار الهجر تكوينى
صبرت فيك على أشياء ايسرها * ذهاب نفسى وقوم عنك تلوينى
وكلما قلت صحت لى محبتها * أرى ودادك ممزوجا بتلوين
قد حل عقد اصطبارى طول هجرك لى * وليس غير وصال منك يبرينى
اذا شممت شذا رياك منتشقا * فانسيم أتى من نحو يبرين

(وقلت)

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال فى ثوبى حيا ودلال
تسبى القلوب بامرها لجميعهم * فى أسرها لكن بقيد جمال
ياوجهها الحاوى لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالى
اذ فيك كل عجيبة ما بين تفـ * ـاح وورد يانع ولآلى
والشهد والخمر الحلال وقرقف * مع برده يسلى ولست بسالى
ياجفنها الغزال كم من عاشق * بك فى المحبة مثل شن بالى
عجبا لميت العاشقين ونحن لم * نعرف سوى الاحياء للغزالى

(وقلت)

وسالبة بالحسن عقل ذوى النهى * لطلعتها اسنى الدرارى آفل
اذا ماتجلت دك طور قلوبهم * وخروا الى الاذعان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب * سواك اليه تستحث الرواحل
ويا طلعة أضحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولى اشدد واقصر فكل جوارحى * لها عن سماع الزور والعذل شاغل
اذا ما أطلت اللوم لا ينتهى * وعند التناهى يقصر المطاول
لئن لم تزرنى او تمن بنظرة * وينعم دهرى بالذى أنا آمل
فيا موت زران الحياة ذميمة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

(وقلت)

أفدى فتاة فتنت مهجتى * وقد أذيب القلب من صدها
مالى وللدنيا اذا لم تزر * اذ ليس يحلو العيش من بعدها

يامن هلالى وجهه وشمسى
لاتقتل النفس بغير النفس
جدلى كما جدت بحسن الود
وارع كما أرعى قديم العهد
وامدد كمدى عن طويل الصد
فليس وجد منك مثل وجدى
ها أنا فى بحر الهوى غريق
سكران من حبك لا أفيق
مجترعا ما سقى حريق
يرثى لى العدو والصديق
فليت شعرى فيك هل ترثى لى
من سقم ومن ضنى طويل
أم هل الى وصلك من سبيل
لعاشق ذى جسد نحيل
فى كل عضو منه سقم والم
ومقلة تبكى بدمع وبدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم
منه اليه المشتكى اذا ظلم

يقول لى الآسى وقد راعه * ما بفؤادى من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معا * تشرب بالماءين من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها

(وقلت وفيه نكتة حكمية)

نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحرّان * افى الرطوبة محرق ما اضمره
فلذاك احرق مهجتى تصعيدها * قطرته اجفانى وخدك حمره
اذ فيه ماء حيا العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهى ما اردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف بديع النكت واللطائف فلنورد منها ما الطف

(قال بعضهم فى النقش)

كان خضرة نقش فوق معصمها * شبابك مسك على كف من البرد
فى ملا مقلتيه من محاسنها * كان الامان لعينيه من الرمد

(ابن المعتز فى الحناء)

اشرن على خوف باغصان فضة * مقوفة أثمارهن عقيق
سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة)

خضبت باحمر كالنضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاء
واها لهن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويدا قلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب
فى كل أنملة ليل به شفق * كأنه البسر فى اطرافه الرطب

(الشواء)

محجبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن العباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال رنا فى
أشار بقضبان من الدر قمعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

أقول اذ قام بقلبى وقعد
يا عمرو يا عامر قلبى بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد
ان امرأ اسعدته لقد سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح
الا استمعت القول من فصيح
يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم يتكلم
بحق من بعد الممات قمصا
توبا على مقداره ما قصا

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها * فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها قتالة أعطافها * تزري بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * في الخد أو في العين أو في الهادي
خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردي)

مصرية كلنها * بدر بخل من خلق
تعلقت مكرا ولا * ينكر من مصر الملق

(وله أيضا)

بالمتقي حاشية زركشت * يوما بكفي هذه الجاريه
قد أصبحت في الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله أيضا)

عوّادة عوّادة * بالنغم الملذذ
قالت لنا أوتارها * أنطقنا الله الذي

(الشهاب الحجازي)

في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

(ابن تميم)

جاءت بعود كلما لعبت به * لعبت بي الأشجان والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها * شجر الأراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدي)

أتتنا بعود حركته أنامل * هي الماء لطفا في اتباع الأناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسي * بأوراقه لما جرى الماء في العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار في البديع عظيم الفائدة في الإيصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوي الفهم ولم تدر الاغبياء وجل علماء المعاني على ان التلميح يرادفه والصحيح انه أخص *فمن طريق ما حكي فيه ان أبا العلاء المعري حضر مجلس الشريف الموسوي فنال من المتنبي وكان أبو العلاء بتعصب له فقال الشريف لو لم يكن من شعره الا قوله

لك يا منازل في القلوب منازل

وكان لله تقيا مخلصا
يشفي ويبرئ أكمها وأبرصا
بحق محيي صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا
مستعملين بعيدون عيسى
بحق ماري مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس

لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال انما قصدت قوله فى القصيدة

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

وأثنى سيف الدولة يوما على المتنبى فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال أشتهى أن تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرنى بمعارضتها لتعلم انك اركبته فى غير سرجه فقال بديهة عارض قوله

* لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى *

قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبيرا مرتعا ان هنالك نكتة فأعملت الذهن فى اخراجها فاذا أنا به قد أراد قوله

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

وحكى ان ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن تعدبها الدهر ولوع بالوزير أبى الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لأخصى على

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهما به ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت ٢ فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو على فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر

ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبى اليك قالت قتلت رجالى واخذت اموالى فقال ممن انت قالت من بنى برمك فقال اما الرجال ففاتوا واما المال فيأتيك ورده اليها وسأل احد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال من انت قالت انا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزى قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله ابا العلاء المعرى وافترقا فتبعها رجل فقال لها اقسمت عليك الا ما اخبرتنى ما اراد وما اردت فقالت اراد بابن الجهم قوله

بحق ما فى قلبه المبرون
من نافع الادواء للجنون
بحق ما يوثر عن شمعون
من بركات اللوص والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر
وعيد انسمونى وعيد الفطر
وبالثمانين العظام القدر
وعيد مرمارى العظيم الذكر
بحق شعيا وبالهياكل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهادى
بحق اثنى عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم

٢ قوله فأقسطت الصواب فقسطت تأمل

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا ادرى

واردت بقولى ابا العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبى مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يقتله فهرب فامر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتى فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبى ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وارسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفا بعد النون المشددة وهذه من الطف الاشارات فان الكاتب اراد بان قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين واراد المتنبى بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها

(ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد انه مشتق من اللحن بمعنى الفطنة وان فائدتها التخلص من انشوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الالجاء (قيل) اسر شخص من تميم عند بكر بن وائل او سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى اهله لحاجة فقالوا اليكن بحضرتنا لئلا تنذرهم قال لكم ذلك فجاؤه بمولد فقال اخاف ان يكون احمق فقال الرسول ما انا احمق وانى لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا ادرى وانها كثيرة فقال له النيران اكبر ام الكواكب قال الكواكب وكل كبير فاوما الى الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومى التحية وأن يكرموا الاسير فان قومه يكرمونى وأن يعروا ناقتى الحمراء فقد اطالوا ركوبها وير كبوا جملى الاصهب وقل لهم قد اربى العرفج واشتكت النساء بما كانت معكم الحيس واسألوا الحرث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد انذركم فقوله أكرموا الاسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى العرفج يعنى لبس الرجال السلاح واشتكت النساء جعلت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اختلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) امثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة كقولك ما سألت فلانا حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته اى ضربت رئته ولا كلمته اى جرحته ولا اعلمته اى شققت شفته العليا ولا اخذت له شعيرة اى راس مسمار فضة ولا ثوبا اى قطعة من أقط ولا كسرت له سنا اى قطعة عشب ولا ضرسا اى قطعة من المطر ولا لبست له جبة شئ

حتى اذا اصبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله فقازوا بالحكم
بحق ما فى محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبا جليل
روبه جيل قد مضى عن جيل
بحق من عبد الشفيق الناصح
بحق لو قاذى الفعال الصالح
بحق علينا الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به لابس الامساح
وعابد لك ومن سياح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للاكباد
بابعينك من السواد

يستربه السنان ولا اخذت له حجارا ولا انا اضرتان معر وقتان ولا عنزا اكف و داء ولا نجاجة كبة من غزل ولا فر وجا مدرعة ولا جشة صوف كالحلقة ولا ظلمته اى ماسقيته لبنا ولا جلست له على حصير لجة في جنب الفرس ولا اخذت له جرابا ماحول البئر ولا بيضة يعني الخودة ولا فرخا هامة الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كتبت جمعت ولا لى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر الفرس ولا لعبت سال لعابي ولا رويت الحديث شددته بالرواء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا فخذا قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلا قطعة الجراد ولا وجها اى قصدا ولا أبصرته اى رأيت قشرا على الجلد

(خاتمة)

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع أبي وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به في الزمان فقال جرير هل لكم ان نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها ان تكون سببا لما أردتم فقالوا انعم الرأى وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

سرت الهموم فبتن غير نيام * واخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
يجري السواك على اغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجلت ولا صنعت صنع الحر الكريم لا استراقه بجليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بكاف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد اغتمنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم القائل

الا حبذا البيت الذى انا هاجره * فلا أنا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولا زال مغشيا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * واسعد ربي جد من هو جاذره
به كل موشي الدراعين يرتعي * أصول الخزامى ما ينفر طائره
هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره

بحق ما قدس سمعانيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي
وقدموا الكاس لكل حاسي
بكل ناموس له مقدم
يعلم الناس وما يعلم

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى أم قتيل نحاذره

فاصبحت فى أهلى وأصبح قصرها * مغلقة أبوابه ودساكره

قال أبى يعنى الفرزدق أنا قلته فقالت ماوفقت ولا أصبت أما ايست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار

بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت اغزلت وأحسنت ولا كرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبنى ياعز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * ومدك أسباب الهوى حين يطمع

وانك لاتدرى غريم امطلته * أيشتد ان لاقاك او يتضرع

وانك ان واصلت أعلمت بالذى * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد

يقولون جاهد ياجميل بغزوة * واى جهاد غيرهن أريد

وأفضل أيامى وأفضل مشهدى * اذا هيج بى يوما وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت ادخل فلما دخل سلمت فقالت سكينة أنت الذى جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم

وهذه الحكاية هى التى سبقت الاشارة اليها فى فصل الخيال من الباب الخامس

واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبى ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدونى أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يابثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت

ولو ان جلدا غير جلدك مسنى * وباشرنى دون الشعار شريت

ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى * بمنطقها فى الناطقين حييت

(وأنشد كثير)

بابى وأمى انت من مظلومة * طبن العدو لها فغير حالها

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وما حوى مفرق رأس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق
بالقصص يامهذب الاخلاق
الا رغبت فى رضا اديب
باعده الحب عن الحبيب
وذاب من شوق الى المذيب
اعلى مناه ايسر القريب
فانظر امرى فى صلاح امرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر
فى نثر الفاظ ونظم در

قيل ثم ان مدركا يئس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان ابن محمد بن عيسى فحضرته عائدا

وسعى الى بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نقالها

(وأنشد ابن أبي ربيعة)

الاليت قبري يوم تقضى منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
الاليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا وهنا في جنة او جهنم

فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا فقالت ألست ظريفا قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائر ماهممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبياتا لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كأنك كنت حاضرا معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة * وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به (يا أمين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

(فقالت)

بسرور سيدي أخدمه * ان رضي بي وبسمعي والبصر

فلما أصبح أحضر أبا نواس وقال له اجز (يا أمين الله ما هذا الخبر) فأنشد

طال ليلي حين وافاني السهر * فتفكرت فأحسنت الفكر
قمت أمشي في مكاني ساعة * ثم أخرى في مقاصير الحجر
واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر

فلمست

مع جماعة من اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو قال فمضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو اخذ بيده وقال كيف تجدك ياسيدي فنظر اليه ثم اغمي عليه ثم افاق وهو يقول

أتاني عافية الامن الشوق البكا
أيها العائد ما بي * منك لا يخفى عليكا

فلبست الرجل منها موقظا * فرنت نحوى ومدت لى البصر
واشارت وهى لى قائلة * ياأمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حيكم * يرتجى المأوى لى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى * اخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال لها كنت معنا قال لا ولكن ألجانى الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل فى النوادر والحكم)

(نادرة)

قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود فى يدى واذا بشاب على اجل ما يكون من الهيآت قد دخل على فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد

الا غنيالى قبـــــل ان نتفرقا * وهات اسقنى صرفا شراباً مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلى من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتى وقال ابليس منعما بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ما حكاه لى ابى انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه السبت لانه كان يستثقله نخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على احسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلانسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت ان اقضى فروضت نفسى فـذاكرنى الادب وايام العرب حتى ظننت ان غلمانى حيونى به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعد ما ابى من الطعام واخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغنى شيأ مما فقت به فخشمت المشقة وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فزاد غضبى ثم استأذننى فى الغناء فاذنت له معجبا من تجريه بحضرتى فاصلح العود وانشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشتروها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى * انين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى اصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما * شربن حميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فو الله ما سمعت باحسن منه واقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل احد فرجعت واذا بهاتف من جانب

لانه وجدها وعد قلبها
رهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشو
ق بسهم من مقلتيكا
ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فبادرنا حتى دفناه رحمه الله تعالى

(ومنهم قتيل)

قال العلامة ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزى فى كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من اهل شيرز تزوجت رجلا جنديا اعجميا وكانت تحبه وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر عنه لحظة وكان اذا مضى الى نوبته الى القلعة تاتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا

البيت يقول لاباس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة واخبرته ان الشيخ اخبرني اني احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي (وحكى) عنه في الاصل ايضا وفي غيره عن ولده اسحق قال اصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان لا ياتيني احد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولى النهار فذكرت جارية اهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بعرس الفتى قد أغمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها والبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاءبك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها * وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر

بوجه اذا ما غاب عني حكى لي * وان لم يكن في حسن صورته البدر

فلما أضاء الصبح فرق بيننا * واي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الي فانكرت اذلم أعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندي هكذا في الاصل وفي غيره ان الجارية حين استقربها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق أنا قالت لا انت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا الليلة فقال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غن فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان أموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت * أيدخل محبوب على الباب واقف * فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب باوقات الزيارة عارف

وماراعني الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل اترضاها واحلف اني لم أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

الا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفي البنان المخضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم أزل * أعضض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت انه أبو مرة فتمثلت بقول أبي نواس

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أظهر من نيته

أبى على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

دخل عليها الا عليها وقبلها فيسكن بعض ما تجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة ثم لم يرفع طرفه اليها فقوي عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك ان غضبه لاجلها فرجعت وجعلت في رقبتها حبلا وشدته في السقف فاختنقت به وماتت

(ومنهم شهيد)

قال الوداعي حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلي ان شرف العلاهوي غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي

(قال بعض الادباء) كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية)

قال بعض الحكماء اوله ونقله في الاحياء لاتتزوج حنانة يعني الى ولدها الذي من الزوج السابق ولامنانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيأ ثم تمن به عليه ولاأنانة يعني على زوجها الاول وعليها نقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لماتزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فحنق عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدي فصفي لي بعض مارأيت من حسنه قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فاركبني وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها اسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع الى فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها قال اين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره * وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب والا احتقرتك ولكن هي فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها

(عجيبة)

قيل أعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون اواني الذهب مملوءة بالفضة واواني الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر احد على تقويمه وضبط ماخرج فكان خمسا وخمسين الف الف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلي ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ماخرج من بيت المال فكان اربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين واوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيأ منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي اوقد فيها قد نقل باربعة آلاف بغل اربعة اشهر فلم يكف حتى اوقدوا الكتان

(فائدة)

في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق واول الشهر ماعدا رمضان قبل وليلة النصف

الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد في نواحي حلب قيل له ان شرف العلا في هذه الارض فأرسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان في مجلس الشراب قال لبعض ندمائه اسق الامير قدحا كبيرا والق شرف العلا به فلما رأى القدح اخذه بيده وشربه وانشد في الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملي
فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعني
حتى اقبل نعلك

(لطيفة و وصية)

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت و كفت و رضيت باليسير و ما كثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المراة الى طلب شئ ولم يعصها فى الخلوة ولم يطمعها فى شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعنى حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها و كفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطمعها فى الشهوة يعنى المقضية الى تبذلها كالخروج و رفع الصوت لانها تشتهيه من مأكل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لايذكر الرجل محاسن المراة لاحد فان ذلك يؤل الى نزعها منه وعلى ذكر الصب ولو بالكلام نقل ابن الجوزى عن بعضهم قال قالت لجاريتى الا تلبسين الحلى قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقالت لها اجلسى بنا فى القمر فقالت ما ولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوما فقالت ما كسفت الاحيا منى

(لطيفة)

اللذات اربع لذة ساعة وهى الجماع ولذة يوم وهى الحمام ولذة جمعة وهى النورة ولذة حول وهى تزويج البكر

(نادرة)

جاءت امراة الى عمر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل و كررت ذلك وعمر يقول فى كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا امير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فاحضر الزوج وقال ان امراتك تشكوك فقال لم اقصر فى شئ فانشدت

يا ايها القاضى الحكيم رشده * ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست فى حكم النساء احمده
زهده فى مضجعى تعبده * فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها

زهدنى فى فرشها وفى الحجل * انى امرؤ اذهلنى ما قد نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب)

ان لها حقا عليك يا رجل * نصيبها فى اربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فأعطها ذا ودع عنك العلل
فان خير القاضين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال له ان الله قد احل لك اربع نساء فاجعل لها ليلة من اربع فقال عمر رضى الله عنه

(ومنهم قيل)

وهو مما رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله انكر فعراه ليضربه بالسياط فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى لا تضربه فانه ما قتله وانما قتلته انا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل وأطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه القصة واطلع

لا ادرى باعجب من حالك أم من فهمك وولاه البصرة

(وصية)

قيل كانت العرب توصى بناتها بما يوجب الالفة فتقول للواحدة كونى له أرضا يكن لك سماء وكونى مهادا يكن عمادا وامة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربى فيملك ولا تبعدى فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك الا حسنا ولا يشم الا طيبا ولا يسمع الا ما يرضى ولا تفشى سره فتسقطى من عينه ولا تفرحى اذا غضب ولا تغضبى اذا فرح

(لطيفة)

قال ابو العلاء اغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوفى الرجل

واشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * او تنزلون فانا معشر نزل

(أخرى)

قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها اسالت دمها فقالت له أرسلنى الى مجنونة فدخل عليها فقال لاى شئ فعلت بالمرأة ما فعلت قالت أحببت ان لا ينظرنى غيرك فان رأيت حسنا كنت اول من نشره او قبيحا كنت اول من ستره فعظمت عنده

(نادرة)

قيل جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة فاشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالامس الى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك واعلمها انى حبوتك بها وعاودنى ففعل وأمر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان باقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال ان لم تاتنى بالالف دينار التى أخذتها من موضع كذا الاضرب عنقك فجاء بها واحضر الخليفة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه فى زوجته

(فصل فى المجون)

قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين اعنى ظرفين من عسل فاتاها خوات بن جبير وكان فاتكا فى الجاهلية فحل احدهما وذاقه واعاده فمسكته باحدى يديها وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لاهنئت قال بل هنئت وانشد

على باطنها توقف فى قتله وأمر بحبسه فلم تمض الأيام قلائل حتى حضر ارغون الكاملى من حلب عوضا عن ايتمش فى نيابته بدمشق فكان أول شئ حكم فيه من الدماء شنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها واخبرنى عن القاضى زين الدين بن السفاح واخيه القاضى شمس

وشدت على النحيين كفي ضنينة * واعجلتها والفتك من فعلاتي

وبه ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوات (قال الاصمعي) بينا نحن بطريق مكة اذا باعرابي يقول من احس من بعير بعنقه علاط وبانفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لا رد الله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت انما ينشد ايره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل في عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعني الناقة * وجيء لابن ابي مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداك بلغني ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالي الى عرفات فقال لاصحابه وما يمنعكم ان تاتوا الي على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد امرهم اعظم فرفعوه الى الوالي فقال الم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون علي فقالوا للوالي اجمع حمير مكة وارسلها فان لم تات بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته بجرده ليضربه فقال اوضاربي انت قال نعم فقال افعل فوالله ما بي الا قول اهل العراق ان اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفي منازل الاحباب) قال غلام جئت حيا قد ازمعوا الرحيل وامرأة على احسن ما يكون من الحسن والهيئة والشباب قد تخلفت تهيء امرها فاجئتها يسيرا فقالت ايما احسن عاريا الرجل ام المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان تتجرد وامشي الى تلك الاكمة واعود وتعاهدني ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهي وانا على اجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين ومشت كما ذكرت وعادت وسألتني الوفاء ففعلت فلم امش المسافة حتى تدرعت ثيابي واعتقلت سيفي واستوت على جملي ومضت فلم اجد حيلة الا اخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحي ان الحق القوم وهم يصرخون علي حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى اوصلتني اليهم فجاءت امها فقالت اي بنية كم اتعبتنا في هذه الليلة وادخلتني الستر فلما عرفوني واستخبروني عن القصة اخبرتهم بها فقالت لي امها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعني خبالا في عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندي اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه مانعته ساعة واتت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم بغلا فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه * وفي الحلية عن الشافعي قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة الا توصي للمساكين قال بالمسئلة قيل في مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكني اقول ثم احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد ادار فاعجب بها فامرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت

الدين وجماعة من اهل حلب الموجودين الآن انهم اخبروه ان ناصر الدين محمد بن يكنوب احد كتاب المنسوب المعروف بالقاندوري انه كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه في كيس حرير اطلس معلق في رقبته تحت ثيابه فاذا حضر في مجلس ولم يتفق حضورها فيه اخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكي فان لم يتفق له بكاء شديدا انشد

لا تبعث عن محب بما
يشعرها انه لم تسمع

ثم انه يامر من حضر بان يطربه وضربه عليها حتى يبكي انتهى

هو خير لك لم تخرج من الاصطبل بعد وأتى كثيف نخاسا فقال له اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بى السوارى ولا يدخلنى تحت البوارى ان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضى حمارا قضيت حاجتك * وشدد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى النهى عن المعاصى كشرب الخمر فقال لصاحبى عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فائتيانى به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهى المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقونى وقالوا لا تغنى ولو سقوا * جبال حنين ماسقونى لغنت

فقالا له اما تستحى وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بى فقد شربت مع اخوان احداث فحين أخذ الشراب منى أخرجونى فقال صاحب العسس لصاحب الخبر اكتم على وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان فى الليلة الآتية رأياه كذلك وهو يغنى

انما هيج البلى * حين عض السفرجلا
فرمانى وقال لى * كن بعينى مبتلى
ولقد قام لحظه * لى على القلب بالقلى

فقالا له اين التوبة فقال ان اخوانى الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا على وحلفوا ان لا يخرجونى اذا عمل بى الشراب فغلب على وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغنى

ارض عنى قطالما قد سخطت * أنت ما زلت جافيا مذ عرفت
أنت ما زلت قاطعا لا وصولا * بل بهذا فدتك نفسى ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنو النا * س باحبابهم فلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما قالا ولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت ابكى وما حنت لهم ابل * فما أقول اذا ما حمل الثقل
كأنى بك نضو الاحوال نديه * تدعى وأنت عن الداعين مشتغل
مقلبوك بايديهم هنالك وقد * سارت باجمالك المهرية الذلل
حتى اذا استيأسوا من ان تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

ما اخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهى ما حكاه المستردعن التميمى أن رجلا قدم على ملك كسرى انوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال اخلاقه المحموده فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكى اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالمفارقة فى بلده فطله كسرى بالاذن وجعله على التسويف فبينما هو على هذه

فقالا له لم يبق عضو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه
حتى افاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا أمير المؤمنين لاني عبد وقد جلدتني
حد الاحرار فقال أخطأت اذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين
واجعل الاربعين سلفا عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس اذا
رأيت مثل هذا فارفعه الي واجتمع قوم عند بصبص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة
وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل احد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا بخل مزيد
فقالت انا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي
واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن
مصعب فرآه في مسجد المدينة فقال لها يا أبا اسحق أما تحب ان ترى بصبص جارية ابن
نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم اكن اسأله ان يريينها منذ
سنة فما يفعل فقلت له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأته طالق ان برحت
من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت
المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فاكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا
فاقبلت بصبص على مزيد فقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان اغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهـ ـربوا منا فلم يئلوا

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة
وقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات
واغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وباي ارض
تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي ان تقبلني شوق البين واغنيك هزجا

انا ابصرت بالليل * غلاما حسن الدل
كغصن البان قد اصبـ * ـح مسقيا من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق ارأيت أسقط من هؤلاء
يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحق هلم درهما اشتري به
ريحانا فوثب وصاح واحرباه اي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي
الذي كان يوحى اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتها لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم
واعاد القوم مجالسهم فكان اكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) ابو
يعقوب قال حضرت مجلس حماد بجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حرز المكان
الذي ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب

الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده
ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه
فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت
بالكسري فاذا هي كلام موزون
بالموسيقى يشاكل من الشعر
العربي

لا تعجبن بحب ما
يسرها ان هي لم تسمعه
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يضرم
فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا
فأسعدته عينه اليسرى ولم تسعده

على فاخذت يده وجعلتها على عينى العور انما اعرف ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم * وروى ان نصرانيا وجد مع مسلة آخر يوم صومه فاكره على الاسلام فأسلم وضرب مائة سوط واخذ منه مائة دينار وكان اول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام كيف حالك فقال كيف حال من صام خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى أخرى وزوج نابرة * وسأل رجل عالما فقال افطرت يوما من رمضان سهوا قال صم عوضه قال صمت عوضه واتيت أهلى وعندهم طعام فسبقتنى يدى اليه فاكلت منه قال تقضى يوما آخر قال قضيته وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فأكلت ساهيا فماترى قال ارى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * ودخل رجل على الشعبى وعنده امرأة فقال ايكما الشعبى فقال هذه * واشترى جحا دقيقا واعطاه الحمال فلما دخلوا فى الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال اخاف ان يطالبنى بالاجرة * وقدم الى أبى حازم القاضى سكران ليحده فقال له من ربك فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله * وولى رجل تفرقة مال على العميان والايتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتنى فى القواعد فقال ويلك انهن نساء لا ازواج لهن وأنت رجل فقال أثبتنى فى العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور قال وأثبت ولدى أيضا فى الايتام فقال أفعل ذلك لان من انت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدى يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية فامر له بثمانية آلاف درهم فاخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من عيالى قال من هو قال أنا فضحك المهدى وأمر له بمثل ذلك * مر يهودى فى سوق وكان كاتبا فصاح به صبى ياعم قف حتى اصفعك فالتفت اليه وقال أنا مستعجل اصفع اخى عنى وقال له بعض السوقة هذه النعل فى قفاك فقال له اذا كان فى رجل اختك ومثل ذلك رجل قال لامرأة فى يدها خفيفة على كتفى فقالت بشرط ان يكون فارغا * وقال رجل لآخر انى اعرف صناعة الفضة واريد ان اعلمك ولكن أحتاج الى الف درهم للآلات فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمنى كيف صناعة الفضة اى اخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن افعل مثله فعلت

(فصل فى ذكر نبذة من لطائف الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب)

وفى غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف .:.

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادى من حمام ومن شعب

سقيت الغوادى رب خود خريدة * اصاخت لنقض من غنائك اونصب

العين فاقسم ان لا يتطربها ما عاش فى الدنيا ان لم تسعده بالبكا على حبيبه وهى أقوى حاسة من البسرى فكان يسمى الصابر (قلت) ومن غريب ما يحكى ان ناصر الدين القلندرى المتقدم ذكره كان يضع المحبرة فى يده الشمال والمجلد من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغنى ويضرب برجله الارض ويكتب فى هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن وأخبرنى بعض من كتب عليه ان من غريب

فان يرتحل صحبي بجثمان اعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا اشكو هوالدّ فانني * اخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضنى صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

(ابو عكرمة الضبي)

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو أن انفاسي اصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الاصل)

وروض اتيناه عشية اقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ تعلقني الهوى * فاشربها الا ودمعي مزاجها

(صاحب الاصل)

انا الكاسات اني في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود
وقدر مناتزوّجها ابن مزن * فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضا)

ولما رأيت البدر أتى شعاعه * على نيل مصر والسفين بنا تجري
تخيلته نسرا يسير بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله ايضا)

ولما رايت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر
تخيلت هاتيك القلوع وسفنها * قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا شذرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه * الينا ونبدي ظاهرا بيننا هجرا
فان غفلوا عنا رأيت خدودنا * تصافح او ثغر اقرعنا به ثغرا
ولو قذفت اجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى اذا قذفت جمرا

(صاحب اصل الاصل)

لحى الله يوم البين كم مات عاشق * ارى قومه لا يطلبون بثاره

ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ومات عقيبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها
ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت ولكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي

وعاذلة

وعاذلة اضحت تلوم على الهوى * انا لوعة لم يستفق من خماره
واغيد في جيش من الحسن يقتدى * لماه وعيناه وخط عذاره
حكى الظبي ظبي الرمل جيداً ومقلة * فياليته لم يحكه في نفاره

(ابو العلاء الرقي)

احبك ياسلمى على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره
فقدمات قلبي اول الحب فانقضى * فان مت امسى الحب قدمات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذا الحدق * فليدن من بفؤاده يثق
لوانهم عشقوا الماء ذلوا * لكنهم عذلوا وما عشقوا
عنفوا على يلومهم سفها * لوجرعوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فأعلم ما * قدنال منه الشوق والقلق
ما الحب الامسالك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق

(احمد بن يحيى)

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى * كانك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرا لكل صديق

(صاحب اصل الاصل)

اذا كنت من اسر الهوى غير منفك * فدع جسدى يضنى ودع مقلتى تبكى
الا قاتل الله الرقيب وموقفا * بكيناه والبين يغتر بالضحك
وغرّب غربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرق بالوشك
فياويح ذى العشاق امست دماؤهم * تطل غراما وهى هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب الاشعلة قدحت بها * عيون المهابا لحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفى وفى القلب فعلها * كفعل الذى جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول اناس لونعت لنا الهوى * ووالله ما ادرى لهم كيف انعت
فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت موقت

(وقال آخر)

لى فى محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبى وارتعاد مفاصلى * وصفار لونى واعتقال لسانى

(وقال آخر)

فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون

جلد حين سقط بصر اوطار
وكيف لا وقد سقطت منه على
الخبير واتيت من اخبار من
غفر الله لنا ولهم بالجسم الغفير
فشم داؤه من اعيان المشاهد
وقتلاؤه وان اختلفت اسباب
موتهم فداؤهم واحد ففى ذلك
والحمد لله كفاية وان كان
التقصير قصرا غير مقصود عن
الغاية على انى فى رحلتى نشر
العلمين فى زيارة الحرمين ماهو
كفص الخاتم لهذه الخاتمة

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصرى)

شوق اضر بمهجة المشتاق * اجرى سوابق عبرة الآماق
لعبت يد العبرات فى وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد اوردفى الباب الثانى فى قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

اقول لورقاوين فى فرع أيكة * وقد طفل الامساء او جنح العصر
وقد بسطت هذى لتلك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة * ولادب فى تشتيت شملكا الدهر
فلم أر مثلى قطع الهجر قلبه * على انه يحكى قساوته الصخر

(وقال آخر)

قالت ومدت يد الحوى تودعنى * وروعة البين تأبى ان امد يدا
اميت أنت أم حى فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لى ولا والله ماذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق يطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * تروق بكم أن النوى سريع

(العباس بن الاحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه
كلما جد النحيب به * زادت الاسقام فى بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجا * هاتف يبكى على فننه
شاقه ما شاقنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه

(وله أيضا)

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وماذاك الا حين اخبرت انه * يمر بواد أنت منه قريب
يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكنى أكناف دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضى)

ومن حذرى لا أسأل الركب عنكم * وأعلاق وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلابد أن يلقى بشيرا وناعيا

(وقال آخر)

والامواج العظيمة لهذه الابحر المتلاطمة لاجرم انى لم اذكر من اخبار اهل الحجاز الا ما اشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه فكم فى الرحلة المذكورة فى ذكر من مات على هذه الصورة من اخبار متيم استمتع من هجوعه واصبح غريقا بسحاب دموعه لدى سمرات الحى برق يسامره يذكره بالثغر ما هو ذاكره

أياظبية الوادى التى سفكت دمى * بلحاظها بل يامهاة الاجرع
لى أن أبثا البك ما القاه من * ألم الجوى وعليك أن لاتسمعى

(أبونواس)

يانظرة ساقت الى ناظرى * أسباب مايدعو الى حتفه
من حسن ظبى حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
فى البدر من صفحته لمحة * ولمحة فى الظبى من طرفه
مقاتل الانفس فى ثغره * وفى ثناياه وفى كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمى ولم تتورعى
هل تسمعين بيذل ايسر نائل * أن اشتكى بثى اليك وتسمعى

(أبو الحسن السلامى)

ظبى اذا لاح فى عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام ألحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى)

ياجفونا سواهر اعدمتها * لذة النوم والرقاد جفون
ان لله فى العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم ار فى الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذى يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته فى الفة النار
بل المحب الذى لا شئ ينفعه * او يستقر ومن يهواه فى النار

(وقال آخر)

ارانى منحت الحب من ليس يعرف * فما أنصفتنى فى المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت * وفى اصبعيها أسمر اللون اهيف
اصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب لهانى ودهرك معجب * يقوّم تصريف العباد محرف

(بشار بن برد)

وكاعب قالت لاترابها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير

يذكره عهد العذيب وماحوى
على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليمانى لعينه
فما هو الاوشيه وحبائره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
تعارضه من دمع عينى مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه
أوائله لا تنقضى واواخره
تطاول ليلى فى هواه ولوبنا
لقصر من جفنيه مقاصر
فيا الهوى العذرى ما العذر عندما
تغادر يومى مثل ليلى غدائره

هل يعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان عيني لاترى وجهها * فانها قد صورت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

اذا المرء لم ينصف اخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوما أو حضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة)

تشمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما * وجد على اكليل برأس جارية
والله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
بالله تطمع أن أبكي اسى وجوى * وأنت تلتذ طيب العيش والوسن

(وعلى عود)

يا أيها الزاعم الذي زعما * أن الهوى ليس يورث السقما
لو أن ما بي بك الغداة لما * لمت محبا اذا اشتكى ألما

(وعلى ميل)

لو كان يدري مالك ما الذي * ألقى من الاحزان والكرب
وما ألاقي من أليم الهوى * عذب أهل النار بالحب

(وعلى كاس)

الحمد لله على ما قضى * قد كان ذا في القدر السابق
ما تحمل الارض على ظهرها * اشقى ولا اوثق من عاشق
فبينما يمشي على مرمر * وبينما يسقط من شاهق

(وعلى اترجة)

يا لك اترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدي
لو ان أترجة بكت لبكت * رحمى هذه التي بيدي

(وعلى تكة)

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

(وعلى خاتم)

قلبان في خاتم الهوى جمعا * فأرغم الله أنف من قطعا

(وعلى آخر)

تمنيت القيامة ليس الا * لالقى من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت في الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وما وجدنا

فيا ما صحا من زال في الحب عقله
بسكرة حب لا تزال تخامره
أيبعد ما القاه جاري وقد
سباني ظبي فاتن الطرف فاتره
احاول منه وصله كل ساعة
فتمنعني استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى
بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسري جواده
فيحضر في قلب المتيم حافره
فلولا مما أمضى أمير ذوي الهوى
ولا نفذت في العاشقين اوامره

لا كثرهم من عهد والثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمى به الى من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما تعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وعلى الثانى ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط فى هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على أول جزء منها

هذه كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده * وتطلب الراقى فعز الراقى
فاذا تصفحه اللبيب رثى لهم * اسرى هوى أيسوا من الاطلاق

(وعلى الثانى)

مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صده تصونه * عن كشف ما فى الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه فى الطرق

(وعلى الثالث)

مصارع العشاق مجموعة * فيها المنية رؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوى الهوى * لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناحه سيوان * اعدمه يوم النوى صبره

(وعلى الرابع)

كتاب مصارع أهل الهوى * ومن فتكت فيه أيدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى

(وعلى الخامس)

مصارع قتلى من العاشقين * ما اذمامهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فاصبح سكرانا الشارب

(وعلى السادس)

كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحا منهم وسكراه
تصنيف من كاد ان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا * يعجب قارئه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جارت يد البين والنوى * عليهم فاضحوا فى ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد أباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا

ولولا سطا السلطان فى مصر ما مشى
مع الذئب ظبى كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذى
يباطنه ما جار فى الملك ظاهره
له فى سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه فى الثغر عقرب تبله
وبمر عواليه بمصر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو اهله
فكم امنت فى قطرها من يجاوره

تدرعت من نبل الهوى الصبر جنة * فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن)

كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صرعاهم * وسكراهم فيه لا من افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * تجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما الـ * ـمشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحى مصيخا للنذير الذى علا * مفارقه ينعى الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيه امتزاج
فصرعتهم اذ حسوها فهم * مرضى ينادون الا من علاج
تصنيف من شاركهم فى الهوى * فليته مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادى عشر)

مصارع اللابسين قمص الهوى * ضفت عليهم كل يجر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته الصفو وما فاته مكدرها
يطوى أحاديث وجده ودمو * ع العين فى فيضهن تنشرها

(وعلى الثانى عشر)

كتاب تضمن أخبار من * اطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلا وته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فالوا سكارى ما لهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاقى
فرقا لهم مما لقوا عاشق أبت * تجنبه بعد الفراق أماقى

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى * افاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت * به فجعات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

كتاب مصارع العشا * ق من عرب ومن عجم

سجواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت فى السبق عنا ضوامره
فما عابه أن الجنود جنائب
وما ضره أن البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم
واشهب كالبازى ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر فى علاه لاجل ذا
تباهى به فوق السرور سرائره

ليعتبر الخلى بما * لقوا شكرا على النعم
مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع أبناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فأصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذى لقوا * فألف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من أخبارهم فى هواهم * أحاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه * مصارع قتلى من العاشقين
سقاهم سلافته مازجا * هواهم فأبوابه خاضعين
غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا
اذا ما تصفحه سالم * من الحب أخلص لله شكرا
جمعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة * وكيف تفانوا بآجالهم
فلو ذقت ما ذاق أهل الهوى * لكنت لحقت بأمثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلا * فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادى والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها صرفا فصرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء أجفانه وكفا
جمعت كتابا فى مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق تألفا

(وعلى الثانى والعشرين)

قد صنف الناس حقا فى الهوى كتبا * فمن صحا بعد سكر منه أو عطبا
وأكثروا غير أنى قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * عجما وجدتهم فى الناس أو عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذى

وتستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأى نوال ما أضاءت شموسه
وماهى ان حققت الا دنانره
هو البحر الا أن منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن يجرى وتلمى دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذكاره فكرى بالثناء تباكره

اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه اذهو أكرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤب اليه الآيب قائلا

كتبت وقد أيقنت ان جوارحي * ستبلى ويبقى كل ما أنا عامله
فان كان خيرا سوف أحمد غبه * وان كان شرا اوبقتني غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذي * كتبت ومما قلت أو أنا قائله
فيارب بالهادي النبي محمد * نبي على كل الورى فاض نائله
وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذي هو حامله
أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله)
ولم لا وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى افراس الصبا ورواحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أردنا تحريره وانتهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بأنا لم ندع من أصله شيأ يعتد به الا وقد اودعناه في مطاويه اللهم الا ان بأتي غبي يتكل على المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الابواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطئ وما علم ولو لا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تميز بين أقوالنا وأقواله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه * (قال مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر شوال وايار الموافق العشرين بنفس رخامسة الجوزاء للشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل الى مولاه بالقطب الحقيق ابراهيم عبد الغفار الدسوقي مصحح دار الطباعه أعانه الله على اداء واجب هذه الصناعه

تم بعون الملك الخلاق طبع تزيين الاسواق بالمطبعة العامره الزاهية الزاهره المشرقة كواكب سعدها المتوفرة دواعي مجدها في ظل من تعطرت بثنائه الاندية وتنضرت بغيث كرمه الاودية سلالة السراة الصناديد ونتيجة الولاة الاماجيد الراقي بهممه الى كل مقام معتلي خديو مصر العزيز اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي لازال متمتعا بوجود انجاله الكرام واشباله الفخام خصوصا الوزير الشهير النبيل

اذا نام مدحي في دجى ليل نفسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور رفاوما
الى وقالت انت والله شاعره
فدحي له مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبي لسان يقاس بغيره
لاني قيس الحب فيه وعامره
وقدمات قلبي أول الحب وانقضى
ولومت أمسى الحب قدمات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء
والمرسلين والحمد لله رب العالمين

الاصيل رب المعارف المشهورة والعوارف المشكوره من هو باحسن الثناء حقيق
سعادة محمد باشا توفيق ثم سعادة الوزير صنو الكمال مظهر الجلال والجمال أسد
العرين اشم العرنين. من به جيش الجور تلاشى سعادة مدير الجهادية حسين كامل
باشا ثم حضرة ثالث كرام الانجال المعدود في ميزان الرجحان من فحول الابطال
حسن الصفات والاسم ومن له من حسن الصيت اوفى قسم من انتعش به البهاء
انتعاشا دولتلو حسن باشا لازالت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالي منيرة ببدور
حلاهم وكان طبعه الرائق وتمثيله الفائق مشمولا بادارة من خاطبته المعالي بيا الذي أعني
سعادة حسين بك حسني ونظارة وكيله السالك جادة سبيله القائم مقامه فيما
ينفع ويغني حضرة محمد افندي حسني وملاحظة ذي الرأي المسدد
حضرة أبي العينين أفندي أحمد وامام تمام طبعه فكان في
اثناء ثاني الربيعين من سنة احدى وتسعين والف
ومائتين من هجرة خاتم الرسل الكرام عليه
وعلى آله افضل الصلاة والسلام
ماسرى النسيم واهتز
كل غصن قويم
آمين

